الرهان الإسرائيلي

على جنوب السودان

تقديم
الرئيس جعفر نميري

تأليف
عادل رضا

المكتب المصري الحديث

الرهان الاسرائيلى على جنوب السودان
القضــــية ، الحــــل ، والرجــــل

الطبعة الأولى
مارس ١٩٧٥

الناشر : المكتب المصرى الحديث للطباعة والنشر
القاهرة : ٢ ش شريف مكتب ٥٣١٢٧
الاسكندرية : ٧ ش نوبار تليفون ٢٦٦٠٢

الرهان الإسرائيلي على جنوب السودان

القضية ، الحل ،.. والرجل

تقديم
الرئيس جعفر نميري

تأليف
عادل رضا

الناشر
المكتب المصري الحديث
للطباعة والنشر
تليفون ٢٦٦٠٢
الإسكندرية

بسم الله الرحمن الرحيم

تحيتهم يوم يلقونه سلام وأعد لهم أجرا كريما..

"صدق الله العظيم"

وعلى الأرض السلام، وللناس المسرة

المسيح عليه السلام

اهـــــداء

●● الى القارة الأفريقية المتطلعة الى الوحـــدة بعد الشـــتات ، والتكامل بعد الانغلاق ، والتحرير بعد القهر .

●● الى القارة السمراء المؤمنة بحتمية الاتصال بالأمة العربيـــة على طريق التحرير والتنمية والعدل والرخاء .

●● الى شـــهداء افريقيا ، لومومبا ، كابرال ، والمهدى بن بركة الذين سقطوا تحت راية الوحدة .

●● أقدم هذه التجربة التى تعكس نتائج حكمة القرار ثم شجاعة المثابرة على التنفيذ رغم ضراوة المؤامرات ، لكى ترتفع رايات الوحـــــدة لا لتظلل السودان وحدة وانما لتكون بشيرها على امتداد القارة الافريقيـــة وعبرها .

المؤلف

تقديم

بقلم الرئيس جعفر محمد نميرى

لعلنى اكون بالحديث تكرارا لما كتب عن جنوب السودان ، لو قدمت لهـذا الكتـــاب بالحديث عن خلفيات المشكلة أو أسبابها حتى أسـلوب تجاوزها ، ذلك لأن لب هذا الكتاب هو حول هذا كله وعنه .

والكتاب ـــ والذى هو بحق جهد فكرى هام فى مجال الاعلام ـــ لأكبر انتصار يتحقق بارادة خالصة لأبناء الوطن ، هو بذل لا يشكر عليه صاحبه الأستاذ عادل رضا المعلق الســياسى بمؤسسة أخبـــار اليــوم الغراء ، فالصحفى هو الباحث عن الحقيقة ثم الباسط لها والناقل بكل أمانة الكلمة وصدق التاريخ ، وهو من هذا المنطلق يؤدى واجبا تفرضه عليه مسئوليات مهنته ، ولا ثناء على الفروض .

انه كتـــاب يأتى بعد انتصـــار حققناه على صعيد ما كان يســمى « بمشكلة الجنوب » ، وهى مشكلة كانت تؤرق مضجع كل وطنى يحـــس بالوطن هموما وآلاما ، ويعانى مع معاناة أبناؤه على امتداد أرضه الشاسعة .

لقد كانت الثورة وهى لا تزال خططا وآملا فى نفوس من اضطلعوا بها تضع فى حســاباتها أبعاد مشكلة الجنـــوب ، كانت تعى أن المسالة ليست (قضية جنوب السودان) ، بل هى (قضية السودان) ، كانت تدرك أن رخاء الوطن واســـتقراره يبدأ من جنوبه ، وكانت تعلم أن الشـــمال دون الجنـــوب قدرة محـــدودة ، وأن الجنوب دون الشـــمال امكانيات مهدورة ، فالجنوب هـــو ذلك الامتداد الجغرافى الهائل لبلادنا تماســا مع خمس دول افريقية يجمعنا بها الأخاء والمودة . هو جسور من التعاون بيننا وبينها .. هو نافذة مفتــوحة علينا جميعا ينقل اليها ثم ينقل منها ، يصل بيننا وبينها بالصداقة والعمل ، بالتبادل الثقافى والحضارى .

ذلك الامتــداد الطبيعي الهائل من مناخات (السافانا) الى مناخات النباتات الاستوائية من معطيات الطبيعة واشجار ومراع وغابات وكنــوز وثروات منها ما هو تحت الارض ومنها ما فوقها ، قدرات اقتصادية هائلة تنتظر الاستثمار لتعطى وتثمر .

● هـــو :

تلك القدرة البشرية الهائلة بملايينها الثلاث ، وهى تلك الطاقات الغير مستثمرة ، الايدى العاملة المكثفة بغير عمل وبغير انتاج .

● وفوق هذا كله فهــو :

ذلك الجــزء العزيز الغالي من الوطن . قطعة من الكيان ، لا نرضى لها ان تكون عن باقى الوطن تخلفا ومعاناة ـــ هـــو الســـودان الشـــعب والتراب .

وهكذا كان همنا ونحن نخطط في كل خطوة نخطوها في الجنوب ، أن لا نكون كمن سبقنا ارتجالا في معالجة قضية مصيرية ، وكما فعلنــــا في المجالات الأخرى عمدنا الى دراســة وافية لابعادها واسس وضـــع حل مناسب لها ووضعنا تصورات مختلفة . تعمدنا متابعة كل احداث الجنوب بالدراسة والتحليل والتمحيص ، كل هذا قبل ان تصبح الثورة واقعا ، ولقد تجمعت من نتـــاج هـــذه المتابعة دراســـات متعددة حـــول حلول مقترحة تناولناها جميعا بالبحث حتى توصـــلنا فيهـــا الى ما رايناه اكثـــر ملائمـــة ومناســـبة .

وهكذا فانه حين اصبحت الثورة حقيقة واقعة في البلاد ، كان تصورنا (لقضـــية السودان) واضحا ولهـــذا السبب فقد جاء بيـــان ٩ يونيو بعد اسبوعين من تاريخ ميـــلاد الثورة رجاء يحمل تصـــورا موضوعيا لابعادها واسلوب حلها .

ولقد كان حل مشكلة الجنوب بالنسبة لنا يعنى الكثير :

● اقتصـــــاديا :

كان حل مشكلة الجنوب يعني أن الثورة قد قطعت نصف الطريق نحو التقدم بالسودان ، ذلك أن كبريات اسباب التخلف في السودان كانت مشكلة الجنوب بكل ابعادها الســـياسية والاقتصـــادية والاجتماعيـــة ، فمواردنا الاقتصـــادية المحـــدودة كانت كلها تذهب اعتمادات للعمليات الحربيـــة في الجنوب . ثم رجالنا من ابنـــاء الشمال والجنـــوب على حد ســـواء ذهبوا ضحايا تلك الحرب الغريبة التى يحارب فيها الشقيق شقيقه .

● هـــو :

وهكذا توقفت عمليــات التنمية والبناء وتراجعت في سلم الأفضليــات وظل المكان الأول منها للعمليات الحربية ، توقفت محــاولات تغيير الواقع الاقتصادي والبحث عن موارد جديدة للبــلاد وحتى الموارد القديمة لم تجد من العناية ، والاهتمام ما ينهض بها ويجعلها أكثر عائدا .

● ســـياسيا :

كان حل مشكلة الجنوب يعني أن الثورة استطاعت أن تخطو خطوة كبيرة على طريق تدعيم النظام السياسي للسودان كله فبعــد أن تم تذويب الفوارق القبلية والطائفية والحزبية ، ثم انتهت الى الأبد تلك الصراعــات السياسية والتي لم تكن بأي حال من الأحوال في صالح البلاد ، حتى استرد السودان موقعه بعد أن كان بلدا دون هوية لا يعرف طريق يسلكه ، حتى يتغير منه بارادة الأقوى ، من هنا فان تجاوز مشكلة الجنوب مع تجــاوز مشكلات البناء السياسي كان يعني أن السودان اصبح قدرة وقوة فاعلــة ومتفاعلة ســـياسيا .

● عربيـــا :

كان السودان قبل حل قضية الجنوب بالاسم انتماء له ولم يكن بالقدرة يشارك ويتفاعل . كان الجنوب يستنفذ الطاقات والموارد ، ثم كان يقلص القدرة والمبادرة . كان السودان — بحق — مستغرقا في ذاته ، يرى حجم مشاكله اكبر من حجم قضايا أمته لكبرى . ثم كانت احتمالات الخطر على الأمة العربيــة كلها واردة مع استمرار الحرب هناك ، ذلك أن الباب كان مفتــوحا دون رقيب لاسرائيل بل هي كانت بالفعــل محــاولة للتغلغل والبقاء على اعتبار أن طعنــة الظهر هي أقوى وأغدر أنواع القتل للأمــة العربية . وهكذا فان حل القضية على أساسها المقبول كان بادرة استطاع معها السودان أن يكون بالعمل والفعل تجاوبا مع قضية الأمة ثم كان تفاعلا مع الأحداث والوقائع واستطاع أن يكون ظهرا للأمــة العربية وعمقا يفي بالتزاماته وواجبــاته .

● افريقيـــا :

كانت الحرب في جنوب بلادنا علامات للخطر لاقطار في افريقيا ، ينزح اليها المكتوون بنار الاقتتال فيشكلون عبئا على امكانيات الدول وقدراتها ثم كان السودان أيضا تباعدا عن قضايا القارة وهمومها ، بعيدا عن مسئولياته نحو اشقاء يخوضون حروب التحرير في غابات افريقيا واحراشها ثم لم يكن بالطبع قادرا على أن يسهم بالجهد في تطور القارة وتقدمها ، وكان تجــاوز مشكلة الجنوب نموذجا اشادت به افريقيا واعتبرته مثــالا للحكمة والقدرة الافريقية والتي استطاعت لأول مرة في تاريخ القارة ، أن تعمد الى قضاياها تعالجها بقدراتها الذاتية ، ثم كان تجاوز المشــكلة قدرة للسودان اصبح بعدها عضوا فاعلا في المجموعة الافريقية ، ثم قطرا رائدا اسهم مع الاشقاء في حل قضايا القارة عبر منظماتها ثم قدم من اجل رواد الحرية كل جهده مالا

وسلاحا ، ثم قدم أرضه تدريبا للرجال ، وتاهيلا لهم على طريق الاستقلال لبلادهم .

● عالميا :

كان السودان ذلك القطر الذى بهر العالم بما حققه تغلبا على أعقد مشكلة واجهها قطر بعد قضية الانفصال فى نيجيريا . ولقد كانت دهشة للعالم أن يكون السلام بديلا للاقتتال بعد عشرين عاما ، وأن يكون الأخاء والوئام بديلا للشقاق . أن يلتقى من حمل السلاح لسنوات وسنوات ليعيدا معا ما تهدم طيلة تلك السنوات .. من هنا فقد كان العالم كله عونا لنا فى عمليات اعادة الحياة الى الجنوب . كان حجم ما تحقق فوق ماتصور ، فكان اندفاعا على طريق تثبيت هذا السلام ، وأصبحنا محط أنظار العالم واحترامه وتقديره ومضينا نحن بالعزم نبنى السودان كله .

ولعلنى اختتم تقديمى لهذا الكتاب بأن أقول أن انتصارنا على صعيد هذه المشكلة ، لا تعد وقفا علينا ، بل اضافة بالقوة الى الأمة العربية ثم اضافة بالقدرة الى القارة الافريقية .. هو جهد على طريق السلام فى العالم كله .

فالسودان المستقر صمام أمان للأمة العربية . والسودان المتكامل فى وحدته قدرة عمل من أجل افريقيا كلها ، والسودان الرخى عون للعالم فى مواجهة سنوات الشدة المقبلة . وهكذا فاننا اثبتنا أن رخاء الوطن يبدأ من جنوبه ، وأن قدرة الوطن بشماله وجنوبه .

جعفر محمد نميرى

كلمة المؤلف

عبر لقاءات متعددة لى مع الرئيس جعفر نميرى استطيع أن أقول أن فكرة الثورة فى وجدان رئيس السودان وان كانت قد تاثرت بالشمال فان هدفها الأكبر هو الوصول الى حل حاسم لما كان يجرى قبلها فى الجنوب .
ولقد لاحظت أن احاديث الرئيس نميرى عن التحرر الافريقى تبدأ دوما من الجنوب كذلك فان حديثه عن مستقبل العلاقات العربية الافريقية يرتكز على الجنوب أيضا ومن ناحية ثانية فان نظرته لمسار قضية التنمية فى السودان بطموحها المشروع نحو تحقيق فائض هائل انما يبدأ مع حل قضية الجنوب.

وغنى عن القول ان المجال الحيوى والذى كان متاحا لاسرائيل ، انتعاشا اقتصاديا ، وتطويقا للأمة العربية ، ومحاصرة للمد العربى داخل افريقيا يؤكد ما يردده الرئيس نميرى دائما من ان السلام فى الجنوب لا ينفصل عن السلام فى القارة الافريقية اتصالا وتحالفا مع الأمة العربية فى نضال مشترك ضد الكيانات العنصرية هنا وهناك .

وليس سرا أن التجربة فى جنوب السودان واحتمالات النجاح فيها قبل حل المشكلة كانت دون الصفر الا ان النجاح الذى تحقق هناك فاق تقدير كل متفائل ، ذلك انه وبغير أية انتكاسات استطاع أن يستمر وأن يستقر وأن يفرخ فى الجنوب مؤسسات سياسية وأجهزة تنفيذية ومشروعات اقتصادية وأهم من ذلك كله الثقة فى استمرارية الحل بعودة مئات الالوف من خارج الجنوب الى داخله حيث يتكاتف جهد الكل تركيزا لنتائج التجربة ثم الانطلاق بها على طريق الرخاء والسلام فى السودان كله.
ولعل أهم ما يلفت النظر فى تجربة الحكم الذاتى فى جنوب السودان أن أطراف الصراع المسلح من (الانيانيا) والقوات المسلحة السودانية كانا اكثر الأطراف استجابة للحل وهى استجابة تعدت الموافقة وحمايتها الى الانصهار والاندماج فى جيش قومى يجمع اليوم بين صفوفه من كانوا فى الامس القريب مواجهة فى مواقع متصارعة وأصبحوا اليوم اصبع واحد على زناد واحد حماية لوحدة السودان ، سلامه وأمنه وهذا ما يؤكد أن ما كان بين الجنوب والشمال انما كان مفروضا ومفروزا بقوى خارجة على السودان ومصالحه وفى اليوم الذى عاد فيه السودان الى اصحاب المصلحة الحقيقية فيه كان من البديهى أن تتوحد المصالح ويسقط جدار الشك المزروع والمصنوع .

وهذا الكتاب رغم الجهد الذى بذل فيه هو مقدمة لدراسات اعمق وادنى

الى الدقة حول القضية منـذ كانت والى ان وصلت الى شواطىء الوفاق .
ولقد كانت رحلاتى المتعددة للجنوب ثم لقاءاتى بالجنوبيين مواطنين وقيادات وقبل هذا كله حماس الرئيس نميرى واهتمامه الدائم برعاية الحل الذى تم الوصول اليه بالاضافة الى ما هو مســـموع ومهموس حول التحركات الاسرائيلية قبل حل القضية وبعدها مدخلا لهذه البداية والتى يمثلها هـذا الكتاب .

ولسوف أعتز دائما بما أبداه الرئيس جعفر نميرى لى عندما سمع عن رغبتى فى اعداد هذا الكتاب من استجابة فورية تمثلت فيما خصصه لى من ساعات طويلة لحوار متصل استمعت خلاله بكل الصـدق والصراحة لتصوره لحل القضية قبل تفجير الثورة ثم اصراره على الوصول الى حل حاسم لها فور نجاح الثورة ثم تصوراته لمستقبل السودان الموحد بدوره المتكامل عربيا وافريقيا ثم بما وجه به لى من تسهيل مهمـــة اعداد هذا الكتاب حيث تعددت زياراتى للجنوب واطلاعى على الوثائق الخاصـــة بالقضية ثم المعايشة المباشرة لتجربة عشرات السودانيين فى مواقع القيادة فى الجنوب والشمال . ولقد كان حصيلة هذا كله هذا الكتاب الذى صحح الكثير من المفاهيم الخاطئة التى واكبت اعلان الحـــكم الذاتى للجنـوب سواء منها ما يتعلق بالتشكيك فى امكانية اســتمراره وانه بداية انغلاق سودانى عن العالم العربى وانفتاح مستغرق فى القارة الافريقية فقط .

وفى جنوب السودان تبدو تجربة الاتحاد الاشتراكى أكثر نجاحا فى بعض جوانبها عن شمال السودان . المؤسسات الدستورية تواجه المشـكلات الطارئة فى حيوية ملحوظة تعكس عراقة تبدو غريبة بالنسبة لحداثة عهدها ولعل ما قاله الرئيس نميرى تعليقا على أحداث الجنوب الاخيرة لمراسل صحيفة البارى ماتش يعكس هذه الحقيقـة ويؤكد مدى الانفتـــاح والرغبة فى تجسيد شعار وحدة التراب السودانى حيث اكد ان الأحداث التى قادها عدد محدود من الطلاب فى مدينة (جوبا) كاستجابة لشائعات مصنوعة حول مشروع قناة (جونقلى) قد تمت محاصرتها تماما بواســطة التنظيم السياسى فى الجنوب والمؤسسات الدســتورية هناك وبدون اى تدخل من الحكومة المركزية فى الخرطوم ثم كان اجمـــاع مجلس الشعب الاقليمى فى الجنوب بالموافقة على تنفيذ مشروع (جونقلى) بعد ذلك دليلا على أن حل قضية الجنوب جاوز النجاح المطلوب واســتحال الى واقع يفرض وجوده حتى بالنسبة للمشكلات اليومية والطارئة . وفيما يتعلق بالجنوب والقضية العربية فيكفى فى ذلك أن نســـبة كبيرة من القوات السودانية الموجودة الآن على جبهة السويس من الجنوبيين والذين يحملون السلاح دفاعا عن الحق العربى بالاضافة الى الدور الفعال للرئيس نميرى فى تنقية الصف العربى وتوطيد التضـــامن العربى الافريقى وهو دور يؤكد ما يردده الرئيس نميرى دائما من أن النجاح فيه لم يكن متاحا قبل حل قضية الجنوب .

ثم يبقى بعد ذلك السبب الاهم والاقوى فى اصدار هذا الكتاب وهو أن قضية الجنوب كانت رهانا اسرائيليا طالما حاولت من خلاله أن تصنع منه كيانا فاصلا بين افريقيا العربية وأفريقيا الزنجيـــة كما كان فى وهم اسرائيل ، كيان من الممكن أن يكــون بالتطويق محاصرة للسودان ومصر ، ثم والأخطــر امكانيــة التحــكم فى احــدى المصــادر الرئيسية لميــاه النيل من هناك . ولقد انتهت القضية وســقط الرهان الاسرائيلى الا ان السؤال يظل قائما الا تحاول اسرائيل من جديد ؟ بل الم تحاول من جديد ؟! هذا هو السؤال الذى يجب ان يكون مطــروحا للامة العربيــة والقارة الافريقية فى وقت واحد ، وهو سؤال مطروح للحركة وللعمل وليس للتامل والجمود . ذلك ان النجاح هو وحده الذى يحرك الحاقدين لمحاولة تقويضه والقضاء عليه . واذا وضــــعنا فى الاعتبار ان الامة العربية والقارة الافريقية ايضا لازالت بعض أجزائها تعيش تجربة جنوب السودان فيمــا قبل الحل فان القضية النموذج تصبح جاهزة للاهداء للاخــوة فى العراق والمناضلين فى ارتيريا والنوايا الحسنة فى اثيوبيا .

عادل رضـــــا

البـــاب الاول

اطلالة سريعة على التطـــور التاريخى لمشكلة الجنوب قبل استقلال السودان

منذ تفجرت الثورة المهدية فى السودان فى ينـــاير ١٨٨٥ ونجحت فى القضاء على النفوذ التركى فى البلاد ، واتجهت الثورة السودانية فى ذلك الحين تعمل كقوى مستقلة أدرك الاستعمار البريطانى أن استقراره وتحكمه فى منطقة الشرق الاوسط بأجمعها يتوقف وبصورة حاسمة على القضاء على استقلال السودان وذلك لاعتبارات متعددة منها :

● مد ســـيطرته على وادى النيل من مصـــبه الى منبعه والتحكم فى موارده وفقا لمتطلبات الاقتصاد البريطانى ، والمصانع البريطانية والتى تم تخطيط أغلبها على الاعتماد على الموارد الاولية من المستعمرات التى تمثل فى نفس الوقت مناطق تسويق الانتاج البريطانى .

● مواجهة التحرك الاستعمارى الفرنسى وخاصة فى غرب افريقيا والتى بدأت طلائعه فى غزو « فاشودة » فى غرب السودان .

● مواجهة الاستعمار الالمانى والذى بدأ حينذاك يتغلغل داخـــل القارة الافريقية ، والانتقال بهذه المواجهة من المناورات السياســـية الى الالتصـــاق الفعلى داخل القارة الافريقية .

● احكام السيطرة على السودان وخاصة الاجزاء الجنوبية لتكون عازلا فاصلا بين المستعمرات البريطانية فى منطقـــة شرق ووســـط افريقيـــا وحركات التحرر التى بدأت تجتاح فى المناطق الواقعة شمال الصـــحراء وخاصة منطقة الشرق الاوسط وشمال افريقيا .

وتحقيقاً لهذه الاهداف مجتمعـــة ، تحركت القوات البريطانيـــة لغـــزو السودان مشتركة معها قوات عسكرية مصرية بحكم الاحتلال البريطانى لمصر وكان الهدف من اشتراك القوات المصرية وتسمية السودان بالسودان الانجليزى المصرى بعد أن تم احتلاله فى سبتمبر ١٨٩٨ هدفا مزدوجا :

الاول — أن تتكبد القوات المصرية الخسائر المحتملة لمنــــع وقوع خسائر فى القوات البريطانية المهيمنة على مصر والتى ســـــتهيمن على السودان أيضا كنتيجة للغزو الناجح .

ثانيا — اثارة روح الشقاق والفرقة ، بل والعـــداء بين أبناء وادى النيل والقضاء فى وقت مبكر على أى كفاح مشترك محتمل بين الشـــعبين المصرى والسودانى ضد الاستعمار البريطانى بتصوير المصريين كقـــوى مشاركة فى قهر السودان .

وبالرغم من أن هذا المخطط بدأ ناجحـــا للوهلة الاولى فى تحقيق أهدافه الا أن الأحداث السياسية التاريخية التى تتابعت بعد ذلك أثبتت أن كلا الشـــعبين الســـــودانى والمصــــرى على وعى كامل بأهداف عدوهم المشتـــــترك .

(ثورة ١٩٢٤ انذار بارز للمستعمرين البريطانيين)

وما أن تفجرت ثورة أكتوبر الاشتراكية فى الاتحاد السوفيتى سنة ١٩١٧ وساهم تفجيرها فى كشف المؤامرات الاستعمارية ومعاهداتها السرية وأهمها من ناحية الآثار على منطقة الشرق الاوسط ، معاهدة سايكس – بيكو حتى بدأت بوادر ثورات الشعوب العربية التى خدرتها وعود الاستعمار ابان الحرب العالمية الاولى وهكذ اندلعت ثورة ١٩١٩ فى مصر وتلتها بعد ذلك ثورة ١٩٢٤ فى السودان بقيادة العسكريين الذين رفعوا شعار تحرير وادى النيل شماله وجنوبه .

ولقد كانت ثورة ١٩٢٤ بمثابة انذار للمستعمرين البريطانيين أدركوا بعدها أن كل محاولات الفرقة بين كفاح الشعبين المشترك لابد وأن ينتهى الى مزيد من التلاحم بغرض تحقيق الهدف المشترك وهو تحرير وادى النيل ، فبالرغم من ابعاد جميع الضباط المصريين الذين اتهموا بالاستعداد للاشتراك فى ثورة سنة ١٩٢٤ المسلحة فان عمليات القهر والارهاب التى اتبعتها سلطات الاحتلال البريطانى فى السودان (فى صورة اعدام عدد من الضباط السودانيين وارسال عدد آخر الى السجون بما فى ذلك المدنيين وخاصة أعضاء جمعية اللواء الابيض) قد وجدت صدى سريعا وعاجلا فى مصر واذ تم اغتيال السير لى استاك فى نفس السنة فى أحد شوارع القاهرة سارع البريطانيين باستثمار الحادث على الفور فتم توقيع عقوبات مالية على مصر كما تم ابعاد وجلاء كل وحدات الجيش المصرى من السودان .

محاولة استثمار الفوارق العرقية بين الشمال والجنوب

وهكذا انفردت الادارة البريطانية بحكم السودان ، الا أنها وبحكم هذه الاحداث وما تشير اليه من دلائل لم تعد مطمئنة من ثبات مواقع الاستعمار البريطانى فى السودان ومن ثم لجأ الاستعمار الى تكثيف مخططه الاستعمارى فى السودان عن طريق استثمار الفوارق الثقافية والعرقية والدينية بين شمال السودان وجنوبه لتحقيق عدة أهداف :

أولا : احاطة جنوب السودان بعزلة كاملة تمنع تعامله مع باقى أجزاء القطر الشمالية بحيث يمكن الاعتماد عليه كشق معرقل لاى تحركات وطنية محتملة فى شمال السودان .

ثانيا : تحويل جنوب السودان كأداة طيعه فى يد الاستعمار البريطانى وذلك باكتساب ولاء أبنائه للثقافة الغربية وبالتالى نفورهم من الثقافة الشائعة والسائدة فى شمال السودان .

ثالثا : وضع بذور التعصب الدينى ، المعادى للاسلام والمسلمين

والذين يشكلون اغلبية السكان فى مناطق القطر .

وتنفيذا لهذا المخطط وجه حاكم عام السودان فى نهاية ١٩٢٩ السير جون وفى السكرتير الادارى لتنفيذ السياسة الجديدة فى جنوب السودان والتى تعتمد على الامور التالية :

- الالتجاء الى العرف والتقاليد فى جنوب السودان كمصادر للتحكم بين أبناء الجنوب واهمال القوانين القضائية الحديثة .
- العمل على تثبيت الحياة القبلية بكل تقاليدها المختلفة .
- تشجيع اللهجات المحلية .
- العمل على نشر اللغة الانجليزية وجعلها لغة التخاطب والتفاهم بين القبائل المختلفة من قبائل الجنوب .
- محاربة اللغة العربية والاسماء العربية .
- محاربة العادات والتقاليد التى انتقلت من الشمال للجنوب .
- تشجيع العرى ومحاربة الازياء .
- نقل ضباط الادارة والحكومة المحلية الشمالية من الجنوب .
- اقصاء التجار الشماليين من الجنوب وتشجيع التجار اليونانيين والاجانب على العمل بجنوب السودان .

وبناء على ذلك فقد تم على الفور ترحيل كل قرى المسلمين من المديريات الجنوبية الى مديريات النيل الأزرق وكسلا ودارفور .

ولقد صدر انذار بريطانى بعد ذلك حدد بموجبه اليوم الحادى والثلاثين فى سنة ١٩٣٠ كآخر تاريخ لاكتمال هجرة الشماليين من الجنوب، تلى ذلك بالطبع تعليمات مشددة بعدم السماح للشماليين بدخول المديريات الجنوبية الا باذن خاص يصدر من السلطات البريطانية كما دعمت هذه السياسة بحملة ارهابية شنتها السلطات البريطانية على أبناء الجنوب فى صورة عدم الاعتراف بالاسماء العربية بينهم واجبارهم للارتداد عن الدين الاسلامى ، كذلك تم فصل المسلمين الشماليين والذين كانوا يعملون بالبوليس أو أى عمل حكومى آخر .

ومن ناحية أخرى مهدت الادارة البريطانية لبعض رجال الكنيسة من ذوى الافق المتعصب ليفرضوا سطوتهم بحيث أصبحوا هم المهيمنين على شئون التعليم والذى لم يكن يخرج عن نشر بذور التعصب لديانة ضد أخرى متجاهلين تعاليم الديانة المسيحية السمحاء وحتى تتمكن من ازكاء روح التعصب ضد الاسلام والمسلمين اوعزت الى هؤلاء النفر بالقيام بنشاط اجتماعى مكثف وسط الجنوبيين تحت ستار ان مطالبهم المحدودة لا تتطلب اجورا عالية وعلى هذا الاساس تم تخفيض الاجور الى أدنى حد

ممكن فلم يكن أجر العامل اليومى يريد عن ثلاثة قروش ، وبالطبع فان اجراء كهـــذا أدى بالفعل الى دخـــول الكنيســـة لتقديم أى عـــون مادى أو عينى للمواطنين للموازنة بين حاجاتهم الضرورية وأجـــورهم المنخفضـــة الأمـــر الذى دعم نفوذ الكنيسة وسيطرتها على العاملين بالقطاع الحكومى فى المدن دون الاهتمام الحقيقى بمهمتها الدينية البحتة ، ولقد ظل هـــذا المخطط يمارس تأثيره على كل من تعهدتهم بعض الكنائس من الجنوبيين منـــذ الثلاثينيات وذلك دون وجود مخطط مضاد من جانب الشماليين فى الوقت الذى كانت فيه الحركة الوطنية فى شمال السودان تمضى فى اطار متكامل مع الحركة الوطنية فى مصر وتعددت فى تلك الفترة صور رائعة للكفـــاح المشترك بين البلدين خاصة فى عام ١٩٤٨ خلال حرب فلسطين الى أن توج هذا الكفاح بتفجير ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ .

(اتفاقية القاهرة عام ١٩٥٤)

ولعل فى اتفاقية القاهرة سنة ١٩٥٤ والتى تم بمقتضاها الاتفاق على جلاء المستعمر من السودان ما أكد هذا الكفاح المشترك فكانت الاتفاقية بحق طعنة تحملتها بريطانيا على أمل ردها فى أسرع فرصة ممكنة .

ولم يكن هناك ثمة مجال لنقض الاتفاقية الا عن طريق واحد يقيم ظروفا تسمح بانهيار دستورى فى الســـودان أو يخلق قلاقل داخلية تهـــدد الامن بصورة خطيرة الامر الذى يمكن بريطانيـــا من عدم الالتزام بنص الاتفاقيـــة .

ولما كان المخطط الاستعمارى الانفصالى فى جنوب السودان يهيىء مثل هذه الظروف خاصة وقد كان أفراد القوات المسلحة فى الفـــرقة الجنوبية من أبناء الجنوب فقد تحققت هذه الفرصة عن طريق بعضهم حين تفجير التمرد فى الجنوب فى اغسطس سنة ١٩٥٥ الا أن الحكومة الوطنية انذاك تمكنت وبصورة سريعة من السيطرة على الموقف على أساس أن التمرد يمثل مشكلة داخلية بحتة وبالطبع ما كان للاستعمار الا يتدخل لولا موقف حكومة الثورة المصرية فى صف السودان .

وبالرغم من هذا كله فان النتائج التى ترتبت على واقعة التمرد فى الجنوب ظلت تتفاقم وتتصاعد بفعل مؤثرات داخلية وخارجية متعـــددة يمكن رصدها من خلال تطور هذه المشكلة بعد عام ١٩٥٥ .

(مشكلة الجنوب والحكم الوطنى)

واجه السودان أول عهده بالاستقلال مشكلة متفجـــرة بالرغم من تمكن القوات المسلحة من القضاء على التمرد بصورته الظاهرة .

فمن ناحية نجد أن أعمال القتل والتنكيل التى واكبت واقعة التمـــرد وراح ضحيتها العديد من المواطنين الشماليين نساءا ورجالا واطفـــالا والذين تصادف وجودهم هناك بالاضافة لاعمال السلب والنهب لمتاجرهم

ومهلكاتهم كل ذلك ادى الى خلق جو من التوتر وانعدام الثقة بين الجنوبيين والشماليين .

ومن ناحية اخرى نجد أن وجود المبشرين وبعض رجال الكنائس بعد الاستقلال قد استثمر بصورة واسعة الظروف الجديدة وخاصة بعد ان تمت محاكمة المشتركين فى التمرد من افراد القوات المسلحة الجنوبيين . وبرزت فى ظل هذه الظروف أصوات جديدة حاولت أن تجد مبررات سياسية للتمرد يمكن انجازها فيما يلى :

● ان التخلف الاقتصادى والاجتماعى فى الجنوب يخلق هوه سحيقة بين الشمال والجنوب لايمكن تجاوزها عن طريق التكامل وانما يمكن حسمها من طريق الانفصال .

● أن مباحثات القاهرة والتى جرت قبل الاتفاقية التى حققت استقلال السودان ، لم يشارك فيها الجنوبيون بأى صورة من الصور .

● إن الفروق العنصرية والدينية والثقافية بين الشمال والجنوب تشكل عوائق تحول دون تعايش القوميات فى الجنوب والشمال فى اطار سودان موحد .

الانفصال : هل هو الحل الوحيد ؟

وكان واضحا أن هذه المبررات رغم ضرورتها من وجهة نظر مردديها فى الجنوب لا يمكن أن ترقى لمستوى مبررات مقبولة للانفصال وذلك للأسباب الآتية :

● فالتخلف الذى يعيش فيه الجنوب تعانى منه الكثير من مناطق شمال السودان خاصة الشرق والغرب ولقد كان من نتاج السياسة البريطانية .

● كذلك فان الاستعمار نفسه من خلال عزل الجنوب عن الشمال حال دون اشتراك الاشقاء الجنوبيين فى المباحثات مستفيدا من حقيقة انعزالهم عن المعترك السياسى ضد الاستعمار وعدم وجود تنظيمات سياسية مستقلة عن الكنائس .

● من ناحية ثالثة فان الفروق العنصرية بين الجنوبيين والشماليين تبدو فى حجمها اقل بكثير من الفروق المحلية بين القبائل المختلفة فى الجنوب وهى خلافات جذرية عرقية واقتصادية أدت الى كثير من الاشتباكات والاقتتال فيما بينها .

والواضح أن كل هذه المبررات كان يقف ورائها المخطط

الذى فرضه الاستعمار على الجنوبيين خاصة بين الكوادر ، هذا بالاضافة الى أن حالة التخلف الفظيع الذى خلفه الاستعمار فى الجنوب أدى الى انعدام أى صورة من صور النشاط الاقتصادى أو أى مقومات أخرى يمكن أن تكون مصدرا لدخل قومى يكفل قيام كيان مستقل فى الجنوب الامر الذى يشير بجلاء الى أن مؤيدو الانفصال فى تلك الفترة لم يستوعبوا واقع السودان كله من ناحية والواقع الخاص بالجنوب من ناحية أخرى ، بمعنى أن غياب النظرة الشاملة لتكامل قضية الجنوب مع قضايا السودان كله كانت وراء استقطاب بعض العناصر الانفصالية من الجنوبيين مشكلين بذلك النواة الأولى بحركة الخوارج المنظمة والتى بدأت فى التطور على أساس أرضية سياسية انفصالية .

الحكم العسكرى فى السودان ١٩٥٨ ـ ١٩٦٤

وجهة نظر فى قضية الجنوب

كانت وجهة النظر التى حركت الحكم العسكرى الذى تولى السلطة فى السودان فى الفترة من نوفمبر ١٩٥٨ الى أكتوبر ١٩٦٤ لا ترى فى قضية الجنوب الا الجانب العسكرى منها ، جماعات مسلحة تواجه بالقوى المسلحة ولقد كان الرأى المطروح فى تلك الفترة من جانب حكم الفريق عبود فى الداخل والخارج على النحو التالى :

« فشلت الحكومات الوطنية بعد الاستقلال فى حل كل مشكلات السودان الاساسية وفى مقدمتها مشكلة الجنوب ومشكلات التنمية الاقتصادية والاجتماعية على مستوى السودان كله .

ونظرا لما واجهته هذه الحكومات الحزبية من معارضة قادتها لحركات المنظمات الديمقراطية وجماهير الطلاب والعمال والمزارعين وهى معارضة موضوعية كانت تهدد مصالح الطائفية والاقطاع بصورة مباشرة فقد عمدت القوى الحزبية المسيطرة على الحكم فى سنة ١٩٥٨ الى تبسليم السلطة لقادة القوات المسلحة والذين كانوا يمثلون مجموعة متجانسة من حيث الافكار اللبرالية وعليه فقد مارس الحكم العسكرى رغم صوريته من ثورة لصالح الجماهير نفس السياسة التى مارستها من قبل القوى التقليدية بالاضافة الى القضاء على كل صور العمل السياسى ، وهكذا عاد النواب البرلمانيون الجنوبيون الى مناطق ذويهم فى الجنوب بل انطلق بعضهم الى الخارج لمعسكرات اللاجئين ومعسكرات الخوارج رأسا .

ومن هنا برزت مشكلة الجنوب مرة أخرى فى الخارج على أساس انها قضية تحرير خصوصا وقد أستدر قادة الانفصال فى ظل الحكم العسكرى عطف حكومات الدول المجاورة خاصة فى وسط وشرق أفريقيا، الامر الذى شجع الكثيرين من الجنوبيين للهجرة للدول المجاورة وتكون فى

هذه المرحلة ما يسمى « باتحاد المسيحيين بشرق افريقيا » والذى تزعمته مجموعة من قادة الانفصاليين ولقد أدى اضفاء الطابع الدينى على هذا الاتحاد الى استقطاب البسطاء والتمويه على حقيقة نشاطه ، ولكن سرعان ما كشف هذا الاتحاد أهدافه الانفصالية حين برز فيما بعد كمنظمة سياسية تحت اسم « سانو » حيث انتقل نشاطها الى داخل السودان وعليه فلقد قابلت الحكومة العسكرية هذه الاعمال باجراءات عسكرية مضادة الامر الذى أدى الى تضاعف الهجرة خارج البلاد وتمكن قادة الانفصال عن طريق اللاجئين من تقبل الدعم المادى بما فى ذلك الاسلحة والذخائر وتمكنوا من اقامة مراكز تدريب فى الحدود المتاخية وفى هذه المرحلة اتهمت الحكومة العسكرية أثر بعض النشاط الكنسى الموجود داخل جنوب السودان بأنه وراء الدعم المعنوى والمادى بالاضافة الى اتهام المبشرين بالقيام بدور المخابرات لقوات الانفصال برصد تحركات قوات الحكومة ومواقعها . وهكذا قررت الحكومة العسكرية طرد المبشرين القساوسة الاجانب من الجنوب بعد أن رفضوا الالتزام بواجبهم الدينى وقصر نشاطهم على عمليات التبشير وآداء الطقوس الدينية .

ولقد كان هذا الاصرار من جانب بعض القساوسة مقصودا لدفع الحكومة لاتخاذ قرار الطرد وذلك تحقيقا لاهداف تكشفت بعد تنفيذ القرار، اذ سرعان ما نشرت الصحف الغربية ذات الاتجاهات الاستعمارية حملة اعلامية واسعة لمهاجمة السودان واتهامه بأنه يمارس حربا اسلامية ضد المسيحيين فى الجنوب · ولقد تمت هذه الحملة بغرض استدرار عطف الرأى العام العالمى خاصة الغربى على الجنوبيين لتقديم العون اللازم ومحاولة خلق رأى عام ضاغط فى الدول الافريقية المجاورة لفتح حدودها للاجئين وتقبل فتح حدودها لفلول الخوارج لشن غاراتهم الارهابية » ·

الا أن هذه الاجراءات لم تضع حد للتصاعد الخطر لقضية الجنوب بابعادها السياسية والاقتصادية والتى انعكست على السودان كله ·· بحيث كان الرأى المطروح فى أواخر حكم الفريق عبود أن قضية الجنوب لايمكن أن تحل الا فى اطار حل قضية السودان كله · تلك القضية التى تفجرت فى ٢١ أكتوبر ١٩٦٤ بالثورة التى أسقطت حكم الفريق عبود ، وكانت أولى الشرارات فيها قضية الجنوب وبغض النظر عن سؤال ملح حول النجاح الذى حققته ثورة أكتوبر بالنسبة لقضايا السودان الاقتصادية والسياسية والاجتماعية فان الحكومات التى توالت بعد أكتوبر كان لها وجهة نظر طرحتها بالممارسة لمواجهة قضية الجنوب ·

قضية الجنوب وحكومات ما بعد أكتوبر ١٩٦٤

بالرغم من ان محاولات مواجهة قضية الجنوب أثناء فترة الحكم العسكرى لم تسفر عن أى نتائج ايجابية .. بل على العكس أدت الى تفاقم المشكلة وتصاعدها .. بل وبالرغم من أن قضية الجنوب كانت هى الشرارة

التى تفجر بها حكم الفريق عبود . الا ان حكومات ما بعد اكتوبر لم تواجـــه القضية باعتبارها قضية قومية بقدر ماتصدت لها باعتبارها أداة للمناورات الحزبية والتيارات السياسية التى برزت فىالساحة السودانية مرة اخرى بعد الانتصار المرحلى لثورة أكتوبر مباشرة .

الشيوعيون كانوا يرون أن قضية الجنوب هى قضية مؤجلة لايمكن حلها الا فى اطار حل (التناقض الطبقى) وانتصار الطبقة العاملة فى الشمال والجنوب والتى تستطيع آنذاك بوحدتها أن تفرض حلا (يتعالى) عـــلى النوازع الوطنية والقومية .

التيار الاسلامى كان يرى أن الدعوة الاسلامية ودخولها الى الجنوب ثم انتشارها بعد ذلك سوف يؤدى الى حل القضـــية فى اطار التضــــامن

الاسلامى .

حزب الامة كانت بعض قياداته تعمل فى الجنوب وبالطبع كانت قيادات بغير قواعــد ومع هذا فلقد كان الظن بالنسبة لحزب الامة بأن وصــــوله الى السلطة كفيل (باقطاع الجنو بعن طريق هذه القيادات) .

الاتحاديون : كانت نظرتهم للمشكلة تتراوح ما بين امكانية التغاضى عنها وبين النظر اليها كقضية يمكن حسمها عن طـــريق الانتخابات اللبرالية وبروز تيارات جنوبية داخل البرلمان المركزى كخطوة لحل قضية الجنـــــوب

وفى هذا الاطار كانت الدعوة لمؤتمر المائدة المستديرة والذى تجمـــع حوله ممثلى الاحزاب الشمالية والتنظيمات الجنوبية فى حوار كان من المؤكد أن اطرافه لا يتبادلون وجهات نظر وانما يطرحون وجهـــات نظر لمجــــرد التسجيل .
الغريب ان الاحزاب الشمالية فى مؤتمر المائدة المستديرة كانت مختلفة حول ما تراه حلا لقضية الجنوب .. كذلك التنظيمات الجنوبية التى اشتركت فيه والتى تراوحت اتجاهاتها مابين الانفصال الكامل والاتحاد الفيدرالى أو حق تقرير المصير .

وكان من الطبيعى أن يحقق مؤتمر المائدة المستديرة فشلا جـــديدا يضاف الى اخفاق الحكومات السابقة على اكتوبر فى مواجهة قضية الجنوب .

الوزارة الائتلافية

بعد النجاح المرحلى لثورة اكتوبر تشكلت حكومات ائتلافية تراوحت نسب الاحزاب فيها تدرجا على النحو التالى :

اولا : عددية كبيرة من الوزراء الشيوعيين فى حكومة سر الختم خليفة الاولى .

ثانيا : عددية أقل فى حكومته الثانية بينما تعادل حزب الامة والوطنى الاتحادى من حيث عدد الوزراء فى هذه الوزارة ·

خلال تشكيل وزارة سر الختم خليفة الاولى والثانية تم ضم عدة عناصر جنوبية الى الحكومة وهى عناصر تميزت للمرة الاولى بأنهـا تمثل التيارات الفاعلة فى قضية الجنوب بينما كان الحل قبل ذلك هو ضم وزير أو وزيرين من الشخصيات الجنوبية المعروفة .

الا أن دخول العناصر الجنوبية الجديدة فى حكومة سر الختم خليفـة الاولى والثانية والتى تمثل تيارات فاعلة فى قضية الجنوب لم يكن هـذا الضم يمثل قبولا بمنهج مشترك لحل القضية بقدر ماكان انضماما شكليا حاول كل طرف أن يفرض وجهة نظره من خلاله .. ولهـذا فان القرارات التى أصدرتها حكومة سرالختم خليفه بالنسبة للجنوب لم تؤد الى النتائج المرجوة .

المؤيدون للقرارات كانت وجهة نظرهم على النحو التالى :

١ ـ ان اعلان العفو العام سوف يتيح الفرصة لاعداد كبيرة من الجنوبيين للعودة الى السودان من الخـارج مـ مايحقق نوعا من الاسـتقرار فى الجنوب يصلح لتحقيق تقدم نحو تسوية القضية ·

٢ ـ ان ضبط قوا تالامن فى الجنوب سوف يحقق هـو الاخر جوا من الاستقرار بحيث تنتهى حلقات الفعـل وردود الفعل بمضاعفاتهـا الخطرة .

والمعارضون لقرارات الحكومة كانت تحفظاتهم على النحو الآتى :

اولا : ان العفو العام يعنى عودة عـدد كبير من النازحين من الخارج وبعودتهم يزداد رصيد القوى العاملة من أجل الانفصال فى جنوب السودان .

ثانيا : ان ضبط قوات الامن ومنعها من الحركة سوف يؤدى الى خلخلة هيبة الحكومة المركزية واظهار المسـلحين الجنوبيين بمظهر القـوة والتى لايقبلها ردعا مناسبا ·

وفى هذا الجو . جو المعارضة والتأييد لقرارات الحـكومة بالنسـبة لقضية الجنوب كانت تصريحات الشماليين والجنوبيين فى الوزارة يبرز فيها الاختلاف أكثر مما ينعكس فيها أى اتفاق فى وجهات النظر ثم كان يوم الاحـد الاسود والذى شهدته العاصمة السـودانية نهاية لامل الوفاق فى شـكله المطروح فى الساحة السودانية ،

الاحـــد الاســـود

فى ٦ ديسمبر ١٩٦٤ كانت جموع من الجنوبيين تنتظر فى مطار العاصمة السودانية طائرة كان مقررا ان يصل فيها احد الوزراء الجنوبيين من رحـلة كان يقوم بهـا فى الجنـوب .

كما هى العادة بالنسبة لطائرات المنطقة العربية فان مواعيد اقلاعهـا او وصولها تتحكم فيه الصدف والظروف . تأخرت الطائرة لبعض الوقت وتململ المنتظرون وبدأ السؤال بريئا فى البداية لمـاذا تأخرت الطائرات ؟ ثم كانت الاجابات الغـير بريئة بعـد ذلك والتى تحدثت عن اسـقاط متعمد للطائرة أثناء عودتها الامر الذى دفـع ببعض الجنـوبيين الى العـودة إلى المدينة فى مظاهرات كان طابعها العنف . خلال المظاهرات حدثت اشتباكات بين بعض الشماليين والجنوبيين استمرت لليوم التالى ثم اليوم الذى يليـه وبالرغم من ان القيادات الجنوبية مع القيادات الشـمالية واجهـزة الامن تعاونت جميعا فى محاصرة مضاعفات تهذا الحادث الا ان يوم الاحد ٦ ديسمبر كان مؤرخا كالاحد الاسـود فيما قبل ثورة مايـو سنة ٦٩ والاسباب على النحـــو التالى :

١ ـــ ان ما جرى فى هذا اليوم عكس فقدانا كاملا فى الثقة لم تنجح مشاركة الجنوبيين فى الحكم المركزى فى ترميمه .

٢ ـــ ان الخطوات التى تمت كانت تعتبر آخر ما يمكن ان يصل اليه فكر الاحزاب كحل ممكن لقضية الجنوب وبانهياره خلال أحداث الاحـد ٦ ديسمبر فان الامل فى حل القضية أصبح مرادفا لليأس .

٣ ـــ ان الصـدام فى يوم الاحـد مهما كان محدودا فانه كان صداما بين شماليين وجنوبيين وفى غير الجنوب لاول مرة .

ولقد كانت هذه الاحداث دليلا فى واقع الامر على ان الذين توهموا ان قضية بحجم قضية الجنوب بامتدادها عبر سنوات وسنوات يمكن حلهـا بمجرد تمثيل شـكلى لبعض العناصر الجنوبية فى حكومة ائتلافية وان قضية الجنـوب كأى قضـية لها اسبابها وجذورها التاريخيـة والاجتماعيـة والاقتصادية والعرقية وبغير تناول عميق لهذه العوامـل مجتمعه فان أى حـل يصبح اضافة تتعقد من خلالها المشكلة وليس اسهاما فى حلهـا .

الحل الثورى لقضية الجنوب فى ظل ثورة مايو

اعترفت حـكومة ثورة مايو بالفوارق العنصرية والدينية والثقافية بين الجنوب والشمال وعدم التكافؤ بين شطرى البـلاد الذى خطط له الاستعمار ورعاه مستغلا هذه الفوارق وعاملا على تعميقها . وعلى هـذا الأساس بنيت

السياسة الجديدة حيال قضية الجنوب فأولتها الحكومة العناية والاهتمام وأكدت اتجاهها لاعطائها أسبقية متميزة على غيرها من المشكلات القومية الأخرى وذلك بالتخطيط لخلق حركة ديمقراطية اشـــتراكية فى الجنوب تضـع يدها على يد الحركة الثورية في الشمال على قدم المساواة والأخاء في سبيل تحقيق الأهداف التقدمية المشتركة التى تتيح لتلك الحركة الديمقراطية تسـلم زمام السلطة لوقف النشاط الاستعمارى فى الجنوب وتهيئة المناخ الطيب لتطبيق الحـكم الذاتى الذى قررت حكومة الثورة منحه لذلك الجزء من الوطن . ولكى يتحقق ذلك الهدف فقد قررت الحكومة اتخاذ الخطوات التاليـة :

١ ــ استمرار ومد فترة سريان قانون العفو العام ٠

٢ ــ وضع برنامج اقتصادى اجتماعى ثقافى للمديريات الجنوبية ٠

٣ ــ تعيين وزير لشئون الجنوب (شكلت بعد ذلك حكومة اقليمية للجنوب فى نطاق الحكومة المركزية) ٠

٤ ــ تدريب كادر متمرس لتولى السلطة ٠

٥ ــ انشاء لجنة خاصة للتخطيط الاقتصادى فى الجنوب ٠

ولقد وجدت هـذه السياسة ترحيبا وقبولا تاما من قبل المواطنين فى الجنوب وفي الشـمال على السـواء ، تنطلق من مفاهيم ثورية تنبذ المفاهيم التقليدية التى كرستها السياسات القديمة التى مارستها الحكومات السابقة ٠

ولقد تأكد للجميع أن هذه السـياسة ترسم خطوطا جديدة مبنية على الاعتراف بالفوارق العنصرية والدينية والاقتصادية والحضـارية وتضع مهام النهوض بذلك الجزء من الوطن على عواتق أبنائه وحدهم دون سواهم ٠

وتأكيدا لتصميم حكومة الثورة على تنفيذ ما التزمت به سياستها المعلنة وضعت الثورة برنامجا ضخما للتنمية الاقتصادية والاجتماعية ــ كما سيلى :

النتائج المباشرة للحل الثورى فى الجنوب

كانت استجابة المواطنين فى الجنوب والشمال لاعلان الحل الثورى لمشكلة

الجنوب ، والخاصة بمنحه الحكم الذاتى الاقليمى فى اطار السـودان الاشتراكى الموحد ، استجابة فورية وتلقائية اتخذت الصور الاتيـة :

أولا ــ عودة الآلاف من اللاجئين السـودانيين والذين سبق وهاجروا من السودان والتجأوا الى الدول الافريقية المجاورة ويقدر عددهم بنحو مليون ٠

ثانيا ـ تسليم أعداد كبيرة من المتمردين لأسلحتهم وانضمامهم للمواطنين الذين عادوا الى البلاد حيث ضمتهم جميعا قرى السلام والتى تم تخطيطها بحيث توفر للوافدين كافة احتياجاتهم بما فى ذلك العمل •

ثالثا ـ تفهمت قوات الأمن العاملة في الجنوب لأبعاد دورها كقوات لها رسالة محددة هى المحافظة على الامن وحماية وحدة تراب الوطن السوداني مع المراعاة الكاملة لأمن اللاجئين في الجنوب والتفرقة الكاملة بينهم وبين المتمردين • هذا بالاضافة لدورها فى دعم القوى العاملة فى مجالات البناء والتعمير كلما كان ذلك ممكنا •

رابعا ـ شارك المواطنين الجنوبين بايجابية قوات الامن فى مطاردة فلول المتمردين والذين واصلوا حمل السلاح رغم اعلان الحكم الذاتى الاقليمى للجنوب ، وذلك بالاضافة الى نشاط حرس السلاطين المكمل لنشاط قوات الامن •

خامسا ـ نشطت المنظمات الديمقراطية واتحادات العمال فى الجنوب واستطاعت ان تستقطب أعدادا كبيرة من المواطنين الجنوبيين الذين شاركوا جدية فى نشاط هذه المنظمات الذى تبلور فى دعم عمليات التنمية الاجتماعية والاقتصادية فى الجنوب الى جانب قيامهم بالتوعية السياسية لشرح جوانب مشكلة الجنوب وأهداف ثورة مايو الاشتراكية ومنجزاتها وخاصة ما يتعلق منها بقضية الجنوب .

سادسا — وفد الى السودان من الخارج أعدادا كبيرة من المثقفين الجنوبيين والذين كانوا قد غادروا البلاد فى عهد الحكومات الرجعية وتم استيعابهم جميعا فى وظائف تتناسب مع مؤهلاتهم ، وقد أبدوا جميعهم الرغبة فى العمل فى الجنوب وقد اجيبت هذه الرغبة على الفور .

سابعا — تم اختيار أصلب العناصر وأكثرها كفاءة سواء من الشماليين أو الجنوبيين للعمل فى الجنوب ، وذلك لتجاوز أية معوقات قد تعترض المخطط الموضوع لتنمية الجنوب اجتماعيا واقتصاديا وثقافيا .

ثامنا — تم السيطرة على الامن فى جميع مناطق الجنوب الامر الذى مكن السلطات من اعادة تشغيل كثير من المرافق التى كانت معطلة ، واعيد فتح المدارس واصلاح الجسور والطرق وتكثيف الخدمات الصحية والاجتماعية فى الجنوب كما أعيد استثمار المشاريع الزراعية والصناعية فى الجنوب وبصورة موسعة .

ونتيجة لهذا النجاح الذى تعدى هذه الصور الايجابية المشار اليها ، فلقد كان على حكومة الثورة فى السودان أن تجرى اتصالات دبلوماسية على أعلى المستويات مع الدول الافريقية المجاورة والتى اعلنت

ترحيبها بسياسة الحكومة فى الجنوب وتم التوصل الى اتفاقيات بخصوص الحدود ومشاكل اللاجئين . وقد حققت هذه الاتصالات نجاحا كبيرا ومن هنا السودان ، وقد حققت هذه الاتصالات نجاحا كبيرا ومن هنا فقد تصاعدت حملات الاستعمار ضد هذا الحل للاسباب الآتية :

١ ــ كانت ثورة مايو الاشتراكية بكل ما تمثله من مخاطر على أطماع الدول الاستعمارية فى افريقيا تمثل تهديدا مباشرا لمخططات تلك الدول سواء داخل السودان أو خارجه ومن ثم فقد كان دعم الاستعمار للرجعية المحلية والذى بلغ ذروته فى مؤامرة الهادى عبد الرحمن والتى تم دحرها بشكل حاسم يمثل محاولة أولى من جانب القوى الاستعمارية دليل فشل هذه المحاولة بنقل المخطط الاستعمارى الى الجنوب ليلقى بكل ثقله على عناصر المرتزقة الاجانب بدعمهم بالسلاح وبالمال وبالمعدات وذلك بأمل ان يؤدى نشاطهم التخريبى الى عرقلة انطلاق الثورة نحو التعمير والبناء فى الشمال وفى الجنوب وبالتالى يسهل عليهم تقويض النظام الثورى بعد أن ينجح استنزافه بصورة كاملة من خلال مواجهته لنشاط هؤلاء .

٢ ــ ولما كان من أهداف ثورة مايو الاشتراكية المعلنة اعادة بناء القوات المسلحة لتنظيمها وتدريبها وتسليحها وما سوف يترتب على ذلك من تكوين قوة عسكرية ضاربة تدعم الخط التحررى للثورة فى العالمين العربى والافريقى ، لذلك فان تصعيد مشكلة الجنوب وفق المخطط الاستعمارى كان يضمن للعدو عرقلة اعادة بناء القوات المسلحة لانها سوف تنشغل عن هذه المهمة بالتصدى لنشاط المتمردين .

٣ ــ لما كانت الصهيونية والاستعمار العالمى يدركان بشكل واضح ان السودان يمثل عمقا استراتيجيا للثورة العربية وللقوات المقاتلة على جبهة قناة السويس على وجه الخصوص ولما كان السودان قد أعلن بصورة واضحة انه يقف فى الخط الاول مع اشقائه فى مصر ضد العدو الصهيونى ، لذلك كله ركزت اسرائيل والولايات المتحدة الامريكية على عصابات من المرتزقة الاجانب باعتبار أن نشاطها فى الجنوب سوف يقلل الى حد ما من فعالية السودان فى العربى ، كما قد يقلل من خطورة دوره فى المواجهة مع العدو الاسرائيلى .

ولهذه الاسباب مجتمعة تضاعف دعم اسرائيل على وجه الخصوص للمرتزقة الاجانب للعمل ضد النجاح الكبير الذى تحقق فى الجنوب وعملت على دعمهم بالسلاح والمعدات وتزويدهم بمجموعة من المستشارين والخبراء فى حرب العصابات .

واذا أضفنا الى ذلك أن أطول فترة مشكلة الجنوب والتى امتدت لأكثر من

سبعة عشر عاما كاملة قد كونت عناصر قليلة من المرتزقة عاشت طوال هذه المدة على السلب والنهب بكل صوره وبين أبناء الجنوب أنفسهم فلقد بدأ صعبا عليها أن تستثمر جهدها بعد هذه الفترة فى أعمال ذات طابع انتاجى سلمى ومن ثم فلقد لفظ أبناء الجنوب الشرفاء هذه العناصر المرتزقة وكان من الطبيعى أن يتم استقطابهم من قبل القوى الاستعمارية واسرائيل وحاولت التستر بهم على ما يجرى فى الجنوب رغم كل التطور الذى طرأ على الجنوب بعد أعلان الحل السياسى للمشكلة والذى نال تقبلا موضوعيا من جانب الاغلبية العظمى من الجنوبيين كما سيلى خاصة بعد الاتفاقية التى وقعت فى أديس أبابا فى مارس ١٩٧٢ والتى انهت اقتتال ١٧ عاما بين الأشقاء وعاد مئات الالوف منهم الى الجنوب واستقروا وأخذت الخضرة مكانها بديلا للارض الجرداء المهملة وبدا العمل فى كل مكان فى الجنوب يتسابق مع الامل والمنى .

البـــاب الثـــانى

جنوب الســـودان

الارض ... والسكان

(الأرض)

ان حلقة الاتصال بين الشمال والجنوب ، وبين الجنوب ومصر والبحر الابيض المتوسط هو وادى النيل الذى له الدور الهام في تاريخ الاقليمين وحياتهما ، وفيما يجمعهما بالدول المجاورة والقارىء لخريطة السودان يجد أن السودان الشمالى من الحدود المصرية حتي شمال الخرطوم مناطق صحراوية وشبه صحراوية لاتتجاوز المناطق الصالحة للسكن ضفتي النيل وبعض المناطق الشرقية ٠

والقسم الاوسط من السودان اقليما شبه صحراوى من أقاليم «السافانا» ويجرى فى هذا الاقليم النيلان الازرق والأبيض حيث تقع بينهما منطقة الجزيرة التى تشتهر بزراعة القطن ومديرية كردفان أيضا تقع في هذا الأقليم حيث تقطنها القبائل الرحل وشبه الرحل من « الكبابيش » « والبقارة » التى تعتمد على تربية الجمال والأبقار وكذلك قبيلة النوبة وغيرها من مزارعى « دارفور » شبه الرحل الذين تمتاز منطقتهم بوجود « جبل مره » الرائع المناظر حيث أشتهر هذا الأقليم باعتدال الطقس وغزارة الأمطار والأراضى الخصبة ٠

أما مديريات بحر الغزال والاستوائية واعالى النيل فتكون ثلاثتها السودان الجنوبى الذى يقع جنوبى خط عرض ١٠ ويمتد الى شمال بحيرة البرت فى أوغندا ٠ وتبلغ مساحة الأقليم الجنوبى ٢٥٠ر٠٠٠ ميل مربع وهى نحو ربع المساحة الكلية للسودان ٠ ويختلف الجنوب عن الشمال فى انه يقع داخل اطار المنطقة المدارية حيث تسقط الامطار فى الفترة بين شهرى فبراير ونوفمبر وتبلغ أقصاها فى أغسطس ٠

وقد أدت الظروف الطبيعية والجغرافية وانتشار المستنقعات والسدود في الجنوب الى ايجاد بيئة تصعب فيها الحياة بالاضافة الى ايجاد أنماط متعددة لحياة السكان ، فهنالك الذين يعيشيون على تربية الحيوان وغيرهم من الذين يعيشيون على المحصولات الزراعية أما صيد الاسماك وأقتناص الحيوان وجمع الفاكهة البرية والنبات البرى فهى من أشكال النشاط الاقتصادية التكميلى فى المنطقة بأسرها ٠

السكان

واذا نظرنا الى قاطنى جنوب السودان فنجد أنهم مختلفون عن الشماليين حيث لاتسود بين قاطنى الجنوب حضارة متجانسة ٠ وتبعا للغة والتكوين الجسدى والاصل التاريخى فقد قام علماء الاجناس بتصنيفهم الى ثلاث مجموعات رئيسية :

(أ) النيليون : ويتالفون من « الدينكا » و « النـوير » و « الشـلك » و « والاذواك » • وهم يعيشيون فى الاغلب في مديريتى بحر الغـزال واعالى النيل ويعتمدون على الزراعة وتربية الماشية التى تمدهم باللبن ومواد الوقود والجلود التى تستخدم أيضا كفراش للنوم ، وهى الاداة التى تيسر لهم الزواج• وتعتبر «الدينكا» اكثرالمجموعات تحضرا بينما نجد أنالجانب الاكبر منالانواك يقيمون فى اثيوبيا •

(ب) النيليون الحاميون : وهم « المورلى » و «الدبدينجـا» و « البويا » و«التوباسا» و«اللاشوكا» ويقيم معظمهم فى المديرية الاستوائية وهمكالاشواك لايعيشون فى السودان وحده بل تعيش أقسام منهم فى يوغندا وكينيا •

(ج) القبائل السودانية : وتتألف من القبائل العديدة الصغيرة الحجم والتى لا تسكن المناطق الغربية والجنوبية الغربية من جنوب السـودان واهم قبائل هذه المجموعة هى « الزاندى » •

وهناك قبائل أخرى مثل بالى ومندارى وأيناجـورا وفاجـولو ومورو ولولويا وهى خليط من المجموعات النيلية والنيلية الحامية والسودانية ـ وليس بينها قبيلة لها من القوة ما يجعلها نواة تتجمع حولها القبائل الاخرى أو مايمكنها من السيطرة عليها أو احتوائها •

وكان لفوارق السلالة بين القبائل أثره الواضـح فى اسـتخدام لغات متعددة ، وأختلاف فى المؤسسات السياسية والدينية • والمجموعات اللغـوية الرئيسية هى اللغات النيلية واللهجـات المتفرعة منها كلهجة الدينكا والنوير والشلك والاكولى والبورون ، ومجموعة اللغات الباريه واللهجات المرتبطة بها مثل بارى ولاتوكا ، ومجموعة اللغات الديدنجية وتشمل ديدنجا وتوبوسـا ، ومجموعة اللغات المادية وتشمل مادى ومورو ، ومجموعة اللغـات الأزندية والغربية وتشمل موبنى وكريش وليس بين هذه اللغات لغة سـائدة بعينها ، وأكثر اللغات انتشارا اليوم فى الجنوب هى العربية والعربية الدارجة •

الدين

أما اذا نظرنا الى الناحية الدينية فنجـد أن الوثنية لاتزال منتشرة بين أغلب السكان حيث تؤمن اغلبية الوثنيين فى الجنوب بوجه عام بوجود آله قدير يطلق عليه « الدينكا » أسم « وينجديت » أو نيالخ ؛ أما الشلك فيطلقون عليه اسم « جودك » • وتعتقد هذه القبائل بأن أرواح الأسلاف تلعب فى حيـاتها اليومية دورا أكبر من دور آلهتها • ويسود الاعتقاد بينها أيضـا بأن أرواح الاسلاف تتجسد فى الاجيال المتعاقبة من صانعى الأمطار والرؤساء الروحيين ، وهم أشخاص يجمعون عادة بين السلطتين الروحية والدينية •

وفى العهد التركى المصرى والذى استمر من ١٨٢١ م حتى ١٨٨٣ فقد فتح السودان شماله وجنوبه أمام نفوذ الاسلام والمسيحية وقد أعتنق الاسلام بعض القبائل ، وقد اتخذ بعض زعماء القبائل العادات العربية ومن ثم كانت هنالك لهجة عربية مختلطة غيرأن بعض القبائل النيلية استمرت تقاوم الاسلام واللغة العربية لاعتقادها بأن ذلك مرتبط بالحكومة وتجار العبيد الذين اشتهروا فى ذلك العهد ٠

وقد اهتم المبشرين المسيحيون كثيرا بنشر المسيحية فى ذلك الجزء من السودان وما جاوره من بلاد افريقيا حيث تبينوا أهمية السودان وموقعه ومرور الطرق المؤدية الى جنوب أفريقيا وغربها وشرقها عبر اراضيه ٠ وقد ازدادت تلك الأهمية لسعيهم للاستيلاء على الكنيسة القبطية مملكة أثيوبيا المسيحية ٠

وقد أهتمت أوربا بالسودان وقضاياه وكان ذلك واضحا فى الكتابه عن النيل الابيض بأنه الأداة الطبيعية والعملية للوصول الى أراضى شرقى افريقيا الخصبة والمزدحمة بالسكان ٠ ومن ثم أصبحت للجنوب أهمية خاصة لدى المستكشفين والمبشرين والتجار ٠ وكانت آثار ذلك ان انتشرت الاحاديث عن الثروات الهائلة التى يحويها الجنوب ٠ وعندما ارسل اسماعيل خديوى مصر حملته الى السودان كان قلق الاوربيين بالغا حيث كان من نتائج ذلك أن بدأ التزاحم على أسواق افريقيا وأنشئت جمعية الكونغو الدولية عام : ١٨٧٦ م بهدف تنمية الحضارة والتجارة فى أفريقيا ٠

وباحتلال القوات البريطانية لمصر فى : ١٨٨٢ كان الطريق سهلا للتدخل المباشر لاحدى الدول الاوربية فى شئون جنوب السودان ومهد السبيل أمام التجارة الأوربية والديانة الأوربية أيضا ٠ ونتيجة لقيام الثورة المهدية وانتصارها على الاتراك المصريين فى ١٨٨٤ فقد تأخرت تلك الاحداث ٠

العهد التركى المصرى

واذا نظرنا الى الأحوال فى العهد التركى المصرى والذى تميز بفساد الادارة وعجزها فقد ازدادت حياة القبائل ضعفا وتفرقت جماعات الجنوب وتمزقت ولم يتحقق فى الجنوب ماتحقق فى الشمال من الوحدة والأمن ٠

ولما كانت ثورة المهدى ضد الحكم التركى المصرى فقد قام معه كثير من قبائل الجنوب كالشماليين رعارضوا ذلك النظام ووقفوا ضده وفى عام ١٨٨٤ سيطر المهدى على مديرية بحر الغزال وقد اضطر لسحب قواته ثم قام بالغزو الثانى للجنوب فى ١٨٨٨ م ٠ وقد قاوم الجيش المصرى والبلجيكى المتمركز فى الكونغو هذا الغزو ونتيجة لذلك فقد انسحب انصار المهدى من الرجاف فى ١٨٩٧ م ٠ وعرفت تلك المنطقة فيما بعد «باقليم لادو » وبسط البلجيكيون سلطانهم عليها ٠ وكان الاثر الذى تركته المهديه فى الجنوب هو تدمير الادارة

والسلطة فى ذلك العهد حيث أدى ذلك الى توقف أى تقدم كان قد حققه الاسلام أثناء تلك الفترة وخلال فترة التبشير المسيحى .

وبهزيمة انصار المهدى فى ١٨٩٨ فى معركة أم درمان أنتقل مصير جنوب السودان من الأفريقيين الى الأوربيين . ومهد الطريق مرة أخرى لتغلغل التجارة الأوربية والمسيحية الى الجنوب . ومن هنا كانت البداية لدخول هذا الاقليم فى مجال السياسة الدولية والتسابق بين دول أوربا على الاراضى الافريقية لانتقال الحكم فيه الى الادارة الانجليزية المصرية .

وفى يناير ١٨٩٩ وقعت اتفاقية الحكم الثنائى بين مصروبريطانيا لحكم السودان . وقد كان اهتمام الجميع كبيرا بهذا الاقليم حيث يمر النيل الابيض عبر أراضيه وهو الموصل الوحيد بين الشمال وشرق أفريقيا . ولما كانت الحاجة ماسة للمياه فى مصر فى ذلك الحين لارتباط التنمية بتوفرها فقد بدء فى انشاء خزان سنار . ومن هنا ازدادت أهمية السودان الجنوبى بالنسبة لمصر .

الاستقرار والتمرد

وقد واجهت الادارة الجديدة مشاكل متعددة كانت أكثرها الحاحا العمل على استقرار النظام الادارى واخضاع القبائل المعادية . ولم تبدأ الخطوات التنفيذية لتحقيق ذلك الا عام ١٩٠٠ حيث أنشئت عدة مراكز تولى ادارتها ضباط بريطانيون وكان التملق وتقديم الهدايا أحيانا واستعراض القوة وعرض الحماية والتهديد وفتن القبائل المختلفة واثارة العدوان بينها هو طريق أولئك الاداريين لكسب ثقة الافريقيين من أبناء الجنوب تدريجيا . ولم يكن ذلك بالعملية السهلة لأخضاع تلك القبائل حيث كانت تنظر الى النظام الجديد كنظرتها للاتراك المصريين والحكم المهدي وكانت أكثر القبائل مواجهة لهذا العهد هى النوير التى أرسلت حملة لاخضاع أحد زعمائها ويدعى « موت دونج » فى عام ١٩٠٢ وتوالت بعدها الحملات التى استمر ارسالها حتى ١٩٢٨ حيث خضعت نهائيا فى أوائل الثلاثينات . وبالاضافة الى النوير فقد وجهت حملات لغيرهما من القبائل كاتوك وينكا فى ١٩٠٧ وضد البير فى عام ١٩٠٨ والتويج ونكا فى ١٩١١وفى عام ١٩١٢ كانت ضد البير ، وضد الانواك فى ١٩١٤ ، وضد اللاتوكا كانت فى ١٩١٦ أما فى الفترة من ١٩١٨ حتى ١٩٢٣ فقد وجهت الحملات ضد الألباب دنيكا ، وضد التوبوسا والديدنجا فقد كانت فى ١٩٢٨ م . وقد أرسلت بعض الوحدات العسكرية الى مديرية أعالى النيل لقمع القتال الدائر بين بعض القبائل فى عام ١٩٣٠ — ١٩٣٢ .

ولما كان اقرار النظام والقانون وسلطة الحكومة يتطلب زمنا طويلا ونظرا لذلك ونتيجة لقلة الموارد المالية والبشرية فقد تأخر التقدم الاقتصادى والاجتماعى فى الجنوب فى الوقت الذى مضى فيه ذلك التقدم فى الشمال الذى

كان متقدما عن الجنوب عند وقوع الاحتلال . وقد ازداد ذلك التقدم حتى بعدت الشقة واتسعت الهوة التى تفصل بين اقليمى البلد الواحد الشمال والجنوب .

وبالرغم من أن السياسة الرسمية قد أعلنت منذ الوهلة الاولى تأييدها للسلطات التقليدية وأعطائها الفرصة لتحكم بموجب العرف السائد ونتيجة لتمركز السلطة الادارية فى يد حكام الاقاليم الانجليز الذين عملوا على تحطيم سلطة زعماء القبائل لينفردوا بالحكم ويتمكنوا من ايقاف الحروب القبلية فقد انقسم الاقليم الجنوبى الى وحدات ادارية ثلاث بحر الغزال ، مونجالا وفاشودة التى عرفت بمديرية أعالى النيل فى عام ١٩٠٢ بعد تعديل بعض الحدود الادارية .

الادارة الانجليزية وتجارة الرقيق

وكان لابد للادارة الانجليزية المصرية ان تقدم للعالم الخارجى اسبابها لاعادة فتح السودان وقد كانت تجارة الرقيق أهم تلك الاسباب . وكان من الطبيعى أن تواجه الحكومة السودانية المشكلة كما وجدتها آنذاك حيث كانت تجارة الرقيق قد توقفت قبل ذلك بزمن ليس بالقصير . وكان على الحكومة ان تعترف بنظام العبودية أو تحرر العبيد وقد عملت على تحرير العبيد وكان ذلك سيؤدى الى تدهور الاقتصاد وهجر المزارع على ضفتى النهر وفقد كثير من قطعان ماشية العرب الرحل هذا الى جانب موت الالاف من الابرياء البسطاء . وكان الرجال والنساء الذين يتم تحريرهم سيتحولون الى خطر على الامن العام والاخلاق العامة حيث لا يتوفر لديهم الاحساس بالالتزام الجماعى .

وقد اتخذت الادارة الاجراءات الفعلية بحل هذه المشكلة والتى تتلخص فى ايجاد العمل ومنع نظام الرقيق كما طبق فى بعض بلاد افريقيا التى خضعت للادارة الاوربية والسماح للعبيد بترك سادتهم اذا رغبوا فى ذلك بالاضافة الى حرمان السادة من حقهم القانونى فى استخدام القوة لاعادة العبيد الذين يريدون تركهم .

غارات القبائل فى مختلف المناطق

وبالرغم من القضاء على تجارة الرقيق كتجارة منظمة فان غارات القبائل على بعضها البعض فى مختلف المناطق واختطاف بعض افرادها لتشغيلهم بالقوة لم ينته حتى آخر الحرب العالمية الاولى .

وكان لحديث سير أ . كادرجان ممثل بريطانيا فى مجلس الأمن بتعرض الجنوبيين لغارات الشماليين والاختطاف والبيع فى سوق العبيد حتى دخول البريطانيين للسودان اثرها الضار فى احياء ذكريات الماضى فى النفوس التى تسعى لاقامة علاقات جديدة بين أبناء البلد الواحد . ولما لم

توضع أى مشاريع للتنمية ولم تقدم لابناء الجنوب أى خدمات تذكر وحينما كان اهتمام الحكومة كبيرا بسيادة القانون والنظام فقد تركت الادارة أمر الخدمات الصحية والتعليمية لجمعيات المبشرين .

وقد اهتمت جمعيات التبشير المسيحية بالسودان كثيرا وكتبت الى كيتشنر في الخرطوم تدعوه الى فتح أبواب البلاد كلها شمالا وجنوبا أمام نشاط المبشرين المسيحيين حيث كان من العوامل التى شجعت على ذلك الاهتمام باحياء ذكرى الجنرال جوردون الذى كانوا يرون فيه بطلا مسيحيا ضحى بحياته من أجل القضاء على تجارة الرقيق ، وقد شجع على ذلك أيضا التعصب الدينى ضد الاسلام الذى زعموا انه يشجع تجارة العبيد بالاضافة الى تحديه للمسيحية .

وبالاضافة الى تلك الجمعيات والارساليات التى كانت تتكلم الانجليزية فقد تم فى عام ۱۹۰۰ تشكيل ارسالية لطلائع العاملين بالسودان لنشر المسيحية فى غرب افريقيا والسودان . وقد أنشىء فى أسوان مركز للتبشير بين قبائل البشارية شمال شرقى السودان وبين أبناء دنقلا ، وقد عرفت تلك الارسالية بالارسالية المتحدة للسودان حيث وصل الدكتور كارل كوم أحد أعضائها النشطين السودان فى عام ۱۹۱۰ وتكون حكومة السودان قد تعرضت للضغط من جميع الجوانب لتسمح بعمليات التبشير النشيطة وكان من نتائج هذا الضغط أن سمحت الادارة للمبشرين بالعمل بالجنوب ومن ثم كان النشاط التعليمى للمبشرين فى ذلك الاقليم .

ولما ادخل ذلك على منهج التعليم الحكومى ونفذت تلك السياسة فى كلية غردون فقد اصبحت الكلية أداة لتسليح شباب السودان بأسلحة الجامعة الازهرية لقيام حرب دينية تحت لواء الاسلام تغزو افريقيا لتقضى على الحضارة المسيحية حيث كان من آثار ذلك أن تحول جنوب السودان الى ساحة للقتال ضد الاسلام وضد العرب وضد السودانيين الشماليين بسبب توجيه التعليم فى الاقليم الجنوبى لخدمة نشر المسيحية فقط ومنع انتشار الاسلام فى تلك الاصقاع النائية .

خطوات أخرى لفصل الجنوب عن الشمال

ولم تكتف الادارة البريطانية بالاجراءات السابقة فحسب بل اتخذت قرارات أخرى كان لها الاثر الواضح فى السير بخطوات لفصل الجنوب عن الشمال فتقرر أن تكون اللغة الانجليزية هى اللغة الرسمية فى الجنوب واعتبار يوم الاحد عطلة رسمية هذا الى جانب أبعاد الحامية الشمالية التى كانت لها أهميتها فى ربط الاقليمين لتحل محلها القوات الاستوائية . وكان ذلك بين عامى ۱۹۱۷ — ۱۹۱۸ م ثم صدرت لائحة جوازات السفر وتصاريح المرور فى عامى ۱۹۲۲ والتى جعلت للحاكم العام الحق فى اعتبار أى جزء من السودان منطقة مغلقة بالاضافة الى عدم حضور حكام الجنوب للاجتماعات التى تعقد سنويا ويحضرها جميع حكام المديريات

وزيادة على ذلك فقد اعتبرت الاستوائية وأعالى النيل من المناطق المغلقة ، وبالنسبة للتجارة فقد صدر مرسوم تصاريح التجارة عام ١٩٢٥ والذى حرم على أي شخص ممارسة التجارة في الجنوب الا بعد حصوله على تصريح بذلك ، حيث كان القصد من ذلك استبعاد المصريين والشماليين من الجنوب خشية قيامهم بأعمال تتنافى وما تريده الادارة لاتباع السياسة المعلنة .

وما أن حل عام ١٩٢٨ حتى سار تنفيذ سياسة فصل الجنوب عن الشمال بخطى حثيثة نتيجة لعوامل خارجية وداخلية حيث تغيرت نظرة الدول الاستعمارية تجاه البلاد المستعمرة واهتمت بتطوير المجتمعات المتخلفة ، وازداد نشاط الارساليات فى مجالات التعليم والتبشير والخدمات الطبية وكثر قلق الادارة البريطانية بسبب نمو الروح الوطنية لدى المواطنين خاصة بعد الحرب العالمية الاولى حيث كان انتشار الوعى الوطنى متمركز فى الشمال لارتباط الحركة الوطنية بنمو الوعي القومى بمصر ، وتكونت قيادة مناضلة بين الضباط وطلبة الكلية الحربية بالخرطوم يتزعمهم على عبد اللطيف .

ولما ارتبط الوضع السياسي بالسودان بالقضية المصرية فقد أفزع ذلك الادارة البريطانية واتجهت الى احباط اى محاولة لارتباط مصر بالسودان وأصبحت تؤيد زعماء القبائل والجماعات التى رغبت في فصل السودان عن مصر وصارت سياسة الادارة البريطانية الرسمية بعد نهاية الحرب العالمية الأولى هي نظام الحكم غير المباشر وعلى هدى ذلك فقد كان انشاء وحدات قبلية فى الجنوب تستند على العرف والتقاليد والتراث الفكرى القبيلى فى تنظيمها هذا الى جانب التخلص من الاداريين والموظفين والمهنيين الشماليين بالتدريج ليحل مكانهم الجنوبيون بالاضافة الىاستخدام الانجليزية عند تعدد استخدام اللهجات المحلية .

وقد نفذت سياسة الانفصال هذه والتى وضعت عام ١٩٣٠ بصورة ايجابية وحظيت بموافقة الاداريين البريطانيين فى الجنوب الذين اطمأنوا لتنظيم الشئون الادارية واتبعت سياسة تطوير افريقيا كما أرادوها من قبل . واستمر تنفيذ هذه السياسة بحماس شديد باتخاذ القرارات والاجراءات التى تتعلق بالنواحى الاقتصادية والسياسية والادارية .

لايمكن أن يقال بأن تنفيذ هذه السياسة قد سار كما كانت تتوقع الادارة البريطانية حيث اعترف اداريو مراكز المنطقة الغربية فى بحر الغزال والتى تسمى الآن بالمديرية الاستوائية بأنه كان هناك عجز واضح خلال سنوات عشر فى ايجاد من يقومون بشغل المناصب الادارية من أبناء الجنوب هذا الى جانب أن الارساليات كانت تشجع الجنوبيين على اتخاذ أسماء ومثل مسيحية فى الوقت الذى كانت تسعى فيه الادارة على جعلهم يتمسكون باسمائهم وعاداتهم القبلية .

وعندما رحل التجار الشماليون وحرم الكثيرون منهم من تصاريح

العمل ولما لم يكن فى الامكان أن يحل محلهم تجار من ابناء الجنوب فقد تعرضت التنمية الاقتصادية فى الجنوب لتدهور ملحوظ نتيجة لتطبيق تلك السياسة .

مؤتمر الخريجين عام ١٩٣٨ ينتقد سياسة الحكومة فى الجنوب

ومن ناحية اخرى كان ابناء الشمال ينظرون الى هذه السياسة الجديدة ازاء الجنوب بعين الريبة ولم يقفوا ساكنين بل طالب مؤتمر الخريجين الذى انعقد عام ١٩٣٨ وانتقد بمذكرة سياسة الحكومة التعليمية فى الجنوب — طالب بتوحيد نظام التعليم فى البلاد ومساعدة التجار الشماليين وازالة العقبات أمامهم ، كما طالب المؤتمر فى عام ١٩٤٢ عندما رفع مذكرة ثانية بتوحيد مناهج التعليم فى شمال البلاد وجنوبها الى جانب مطالبته بالغاء الاعانة المالية للمدارس الارسالية .

ومع ذلك فقد نفذت سياسة فصل الجنوب عن الشمال حتى عام ١٩٤٥ حيث كانت السياسة المتفق عليها هى العمل على أساس أن الجنوبيين زنوج افارقة مختلفون عن الشماليين حيث يجب أن تنفذ التنمية الاقتصادية والثقافية على أسس افريقية وزنجية وليس على أسس عربية . ولم تعلن هذه السياسة على الرأى العام تفاديا لاحراج الادارة مع مصر شريكة البريطانيين فى الحكم الثنائى التى لم يكن لها رأى فى ذلك ولم تخطر بتنفيذها .

وعندما بدء فى تنفيذ هذه السياسة وتطبيقها تعرضت لهجوم عنيف وانتقدتها جهات رسمية وشعبية خاصة فى الفترة ما بين ١٩٤٢ — ١٩٤٥ وكان لمذكرة مؤتمر الخريجين الثانية فى ١٩٤٢ اثرها فى ذلك وعبرت عن رغبة الشماليين فى تحقيق رابطة قوية مع الجنوبيين ، ولما قررت الحكومة تكوين مجلس استشارى بالشمال عام ١٩٤٤ ازدادت مخاوف الشماليين بسبب أبعاد الجنوبيين من المجلس وزيادة على ذلك وحينما شرع فى انشاء الجمعية التشريعية بدلا من المجلس الاستشارى فقد ضاق الشماليون ذرعا بهذه السياسة وأدت هذه التطورات الى التفكير فى اتباع السياسة القديمة

ولما تزايدت الصعوبات أمام المحاولات الرامية للانفصال وازدادت الحاجة الى توظيف الشماليين فى مشاريع التنمية فى الجنوب وتيسرت المواصلات بين الشمال والجنوب هذا الى جانب أن اقاليم شرق افريقيا لم تميل الى الخطط الرامية الى ضم جنوب السودان تحاشيا للمشاكل فقد أصبح من الصعب أن تظل الحالة على ما هى عليه ، ولهذا انفتح الطريق أمام سياسة جديدة . .

ومنذ ذلك الحين سارت السياسة الجديدة التى تمكن أبناء الجنوب

من النهوض بمستقبلها فى النواحى الاجتماعية والاقتصادية بطريقة مستقلة وانهم سيؤهلون على قدم المساواة مع الشماليين .

غير أن تلك السياسة كانت لها أصداء مختلفة لدى المديرين البريطانيين بالجنوب حيث أيدها بعضهم وانتقدها البعض الآخر . وظهرت خلال المناقشات فكرة أن يكون للجنوب فى المستقبل استقلاله الاقليمى أو اتحاده الفيدرالى مع الشمال وتبنى هذه الآراء ساسة الجنوب لظنهم بأنها الحل الوحيد لمشكلة الجنوب . وخلال تلك الفترة انعقد مؤتمر اداري أوصى بربط الجنوب بالشمال وتمثيل الجنوب فى الجمعية التشريعية ونادى بتوحيد التعليم وتطوير المواصلات وتوسيع حركة التنقلات بين الموظفين فى جميع أنحاء البلاد .

ولما أعلنت توصيات المؤتمر اعترض عليها بعض الاداريين بحجة أن هذه التوصيات قد صدرت من أشخاص غير مؤهلين ، واقترحوا عقد مؤتمر ادارى لجنوب السودان . وابدى وزير الداخلية موافقته على عقد المؤتمر الذى انعقد فى جوبا فى ١٩٤٧ وحضره مديرو الثلاث مديريات ومدير شئون الخدمة وسبعة عشر من زعماء الجنوب ورجال التعليم وستة من الشماليين .

الوحدة بين الشمال والجنوب أمر لا غنى عنه

وقد اعلن المؤتمر بأن الوحدة السياسية بين الشمال والجنوب أمر لابد منه ، كما أن الجنوب لايمكنه أن يستقل بشئونه ، وان محاولة فصل الجنوب عن الشمال لو تمت ستكون لها آثارها الضارة على الأقليمين سياسيا واقتصاديا وكرر الجنوبيون لمواقع تخلفهم اقتصاديا وحضاريا بالاضافة الى مخاوف الجنوبيين من نوايا الشماليين .

وعلى الرغم من أن أهداف هذا المؤتمر هى القضاء على فكرة الفدرالية والحكم الاقليمى أو قيام مجلس استشارى مستقل فقد برزت مخاوف الجنوبيين التى أدت الى تأييد الاداريين الذين كانوا ينادون بتوفر بعض الضمانات لتطبيق تلك السياسة .

وفى عام ١٩٤٨ صدر قانون الجمعية التشريعية الذى لم يشمل على أى نوع من الضمانات الامر الذى آثار الاداريين والارساليات فى الجنوب التى لم تؤيد السياسة الجديدة منذ البداية لاعتقادها بأن الشماليين سيعلنون بأن الاسلام هو الدين الرسمى للدولة زيادة على سيطرتها على التعليم فى الجنوب .

وكانت بداية الوحدة السياسية بين الشمال والجنوب بتشكيل الجمعية التشريعية التى ضمت فى عضويتها ثلاثة عشر عضوا من أبناء

الجنوب حيث تطورت الادارة ، وشرع فى تنفيذ المشاريع الاقتصـــادية وفى مقدمتها مشروع الزاندى لزراعة القطن ، والغيت اعانات الارساليات ، وبدأ فى توحيد التعليم وتدريس اللغة العربية ، هذا الى جانب مســاواة الاجور وتماثلت شروط الخدمة فى الجنوب والشمال .

ونتيجة لهذه السياسة وتنفيذ تلك الاجراءات فقد أصبح الجنـوب والشمال أكثر تعاونا ووفاقا والتصاقا .

ولما كان قادة الجنوب لا يطلبون شيئا غير التقدم الاقتصـــــادى والاجتماعى ومشاركة الشمال بما يضمن المصلحة للجميــــع ، وادارة الاقليمين كما لو كانا وحدة ادارية واحدة . وكان الجنوبيون اقل استعدادا للسير بالسياسة الجديدة الرامية لتحقيق الحكم الذاتى والذى طبق فى عام ١٩٥٣ حيث لم تكن هناك تنظيمات سياســية ولا وعى قومى يربط قبائله المتعددة ويسعى لوحدة البلاد .

وبينما كانت تتخذ الترتيبات لاجراء الانتخابات لقيام البرلمان فقـد عمت الدعايات السياسية فى الجنوب من مصر من جهة ومن مختلف الاحزاب السياسية من جهة أخرى ، ونتيجة للسودنة فى ١٩٥٤ والتى زادت شكوك الجنوبيين ولما تلاحقت الاحداث بسبب التطور السياسى والاقتصـــادى والنهضة التعليمية فقد تشكلت بجوبا لجنة سياسية كانت مهمتها النهوض بالعمل السياسى ، وتشكل حزب الاحرار الجنوبى وانضم عدد من أبنـاء الجنوب الى الاحزاب السياسية فى الشـــمال ، ولما بلغت تلك الأحداث ذروتها فقد تمردت الفرقة الاستوائية فى ١٩٥٥ حيث ادى ذلك الى مقتـل ما يزيد عن الثلاثمائة من الشماليين والجنوبيين .

وقد كان السبب المباشر للتمرد هو انشغال الاحزاب الشـمالية فى كيفية الخلاص من الاستعمار الانجليزى وعدم قيـام الاداريين والمبشرين باسداء الرأى السليم واصدار الفتوى حيث هز ذلك التمرد الشمال وادت المواجهة العدوانية الى ضرورة لوصول الى حل لمشكلة الجنوب . ومن ثم وافق ممثلو الجنوب فى البرلمان على اعلان الاستقلال فى أول يناير ١٩٥٦ استنادا على وعد الاحزاب الشمالية بدراســة مشروع لاقامة اتحاد فـدرالى فى السودان .

ورغم أن الجنوب كان متحدا مع الشمال من الناحية الرســـمية وممثلا فى الهيئات السياسية فقد بقى فى عزلته رغم تعدد الخطـوات التى اتخذت فى المجالات الاقتصادية والتعليمية والاجتماعية وظلت الناحيـــة السياسية بغير حل حيث استخدم دعاة الانفصال والمبشرين تلك الاحداث لزيادة نشاطهم وتوسيع دعايتهم ضد الشمال .

(موقف أحزاب الشمال وانقلاب ١٩٥٨)

ولما انصرف تفكير أحزاب الشمال نحو الفوز بكراسي الحكم ولم تفكر في الجنوب وتخلفه ووجد المتمردون الذين افلتوا من يد القانون في تمرد ١٩٥٥ ولجأوا الى الغابات فرصة الظهور من جديد فقد استولى الجيش على السلطة في نوفمبر ١٩٥٨ ودخلت قضية الجنوب مرحلة جديدة ٠

ولما رأى عبد الله خليل رئيس الوزراء في ذلك الوقت بأن هناك جهودا تبذل لتحالف حزب الأمة الذي ينتمي اليه والحزب الوطني الأتحادي وعندما اشتدت المعارضة داخل البرلمان وخارجه ضد سياسة الحكومة لتدهور الحالة الاقتصادية والسياسية فقد دعا الفريق عبود قائد الجيش أنذاك لتسليم السلطة في البلاد ٠

وقد أهتمت الحكومة الجديدة في أعوامها الألى بالموقف الاقتصـــــادي ومحاربة النشاط السياسي للأحزاب والنقابات والطلاب الى جانب تنكيلها بالطامحين من العسكريين لتولى الحكم ولم تلتفت الى الجنوب حيث لم تكن لها أي مشاريع لحل مشكلة الجنوب ٠

واعتقادا من السلطة الجديدة بأن السبيل الوحيد لتحقيق وحدة البلاد في المستقبل هو التعجيل بنشر اللغة العربية وبسط الاسلام فقد اهتمت الحكومة بتأسيس عدد من المدارس لحفظ القرآن الكريم وتعيين عدد من رجال الدين لوعظ وارشاد المسلمين ٠

وقد فر كثير من أبناء الجنوب المثقفين الى خارج البلاد عندما شعروا بأن شأنهم هو شان الشماليين وتم اعتقال بعض الآباء الكاثوليك نتيجة لتوزيعهم رسالة في الجنوب مناوئة للحكم العسكري الذي يريد ان يكبح زمام المسيحيين. ويفرض الدين الاسلامي ، وحرمت الصلاة خارج الكنائس ، ونتيجة لتجاوز هيئات المبشرين حدود العمل في اطار الدين ، وسعيها على تفويض استقرار البلاد وأضعاف أمنها الداخلي وتشجيعها للجنوبيين على انتهاك القانون فقـــد طردت الحكومة في عام ١٩٦٢ جميع المبشرين من جنوب السودان ٠

(نتائج انتهاج سياسة العنف)

ومنذ ذلك الحين اتجهت الرياسة في الجنوب وجهة جديـــدة حيث أدى استعمال العنف والقوة في الجنوب الى فرار الكثيرين من الجنوبيين الى خـــارج البلاد ولجأوا الى يوغندا وأثيوبيا وكينيا وأفريقيا الوسطى ، وكان من نتائج ذلك ان كون المهاجرون رابطة المسيحيين السودانيين والاتحاد الســـوداني الأفريقي الوطني لجنوب السودان المعروف باسم ساكدنو حيث كانت الكنائس تؤيد تلك الهيئات وتدعمها لمعارضة الحكم العسكري حتى عام ١٩٦٣ ٠

وكانت زعامة حزب ساكدنو متمركزة فى جوزيف أودهو وينوب عنه ماركو رومى ، أما سكرتارية الحزب فكان يشغلها وليم دينق يساعده أفرى جادين ٠ وتولى بانكراسو أمانة الصندوق ، وغيرهم من أعضاء الحزب ممن كانوا نوابا فى البرلمان السابق ٠

(حزب ســـانو)

غير ان « حزب ساكدنو » قد تغير اسمه فى عـام ١٩٦٣ وأصـــبح « حزب سانو » ورئاسته فى ليوبولدفيل بالكونغو ٠ وكان نشاطه يقتصر على ارسال العرائض الى منظمة الوحدة الأفريقية والأمم المتحدة ومختلف المنظمات مستعرضا لأحداث الجنوب وداعيا لمساعدة اللاجئين وطالب باستقلال جنوب الســــودان ٠

وتتالت الأحداث ، وازدادت حوادث الشغب وظهرت على هذا المسرح منظمة الأنانيا فى ١٩٦٣ حيث كان ظهورها بداية لمرحلة جديدة فى قضـــية الجنوب اذ ان تكوينها كان من جنود الفرقـة الاسـتوائية وأعلنت أهدافهـا باستخدام العنف والقوة لحسم المشكلة ، وشرعت فى شن حرب العصابات وحاولت فى ١٩٦٤ الاستيلاء على مدينة واو ببحر الغزال ٠

وازداد القلق وبلغ ذروته عندما بدأت مناقشـــة سياســـة الحكومة فى الجنوب فى المجلس المركزى الذى تم تكوينه فى ١٩٦٤ ، وأصبحت مشـــكلة الجنوب فى متناول الالسن التى أثار سخطها مقتل بعض الشماليين والجنوبيين ٠

واستمرت الدكتاتورية العســكرية فى تنديدها بالاســتعمار والمبشرين باعتبارهم أصل المشكلة ، وكانت ترى أن الوحدة لايمكن أن تتم بغير القـــوة العسكرية وسرعان ما اختارت الحل السلمى للمشكلة لتدهور الموقف الاقتصادى وشـــكلت فى سبتمبر ١٩٦٤ لجنة لتقصى الحقائق فى الجنوب كانت غالبية أعضائها من الجنوبيين ٠

ولما رأى سانو أن فى تكوين هذه اللجنة اعترافا صريحا بالمشكلة فقـــد سار من الأنانيا فى طريق العنف ، وتطورت الاحداث عـلى غير ماكان يتوقـع الحكم العسكرى حيث سقطت الديكتاتورية العسكرية فى أكتوبر ١٩٦٤ ٠

مؤتمر المائدة المستديرة

وكانت ثورة اكتوبر فى ١٩٦٤ ٠ وسقط النظام العسكرى الذى كانت الشرارة الاولى لانهياره من جامعة الخرطوم حيث كانت ندوة الطلاب التى انتقدت سياسة حكم عبود فى الشمال بصفة عامة ، وفى الجنوب بصفة خاصة ، وانتقلت

السلطة للشعب وتكونت حكومة اكتوبر واشتركت فيها احزاب الشمال والجنوب ، وأسندت رئاستها لسر الختم الخليفة أحد كبار رجال التعليم المعروفين في الجنوب الذى رحب الجنوبيين بداخل السودان وخارجه وحزب سانو بعهده، وأبدوا تأييدهم لحكومته التى ازداد تأييدهم لها بتولى أحد أبناء الجنوب وزارة الداخلية ·

وعبر زعماء الجنوب بالخارج عن رغبتهم فى العودة الى السودان فى مذكرة قدمت لرئيس الوزراء ، وطالبوا فيها بالعفو العام عن اللاجئين ، والسماح لحزب سانو بالعمل السياسى هذا الى جانب طلبهم بعقد مؤتمر حول مائدة مستديرة لبحث أحوال الجنوب وشئونه السياسية ·

العهد الجديد ونظرته لأسلوب حل مشكلة الجنوب

ولما كان من اهداف العهد الجديد حل مشكلة جنوب البلاد بالطرق السلمية ، فقد استجابت الحكومة لتلك المطالب وعملت جاهدة لعقد مؤتمر المائدة المستديرة المقترح،وحدد السادس من فبراير ١٩٦٥ موعدالانعقادالمؤتمر بمدينة جوبا ·

ووجهت الدعوة لأحزاب الشمال والجنوب ، والقضاء ، وجامعة الخرطوم والنقابات للاشتراك فى هذا المؤتمر الهام · ودعت بعض الدول المجاورة ومنظمة الوحدة الافريقية لمراقبة ذلك المؤتمر ·

غير أن تطور الاحداث ادى الى تأجيل موعد انعقاد المؤتمر كما كان مقررا ، وظهر على المسرح السياسى تنظيم جديد ضم فى عضويته المتعلمين من الجنوبيين وعرف بجبهة الجنوب التى أصبحت تمثل الرأى العام الجنوبى ، واشتركت فى الحكومة ، وارتبطت ارتباطا وثيقا بحزب سانو الذى كانت رئاسته فى يوغندا ، وطالب بمهلة من الزمن لتتمكن من اختيار ممثليها حيث شاركتها الاحزاب الشمالية فى طلب تأجيل المؤتمر لتكمل سكرتارية الاعمال التحضيرية · ومن الأسباب التى أدت الى تأجيل ذلك المؤتمر أن صادف موعد انعقاده زيارة ملكة بريطانيا للسودان فى ذلك التاريخ ·

وتعذر الوصول الى اتفاق لتحديد موعد انعقاد المؤتمر حيث كان حزب سانو قد تقدم بمطالب جديدة واصروا على أن يكون نظام الحكم فى الجنوب فيدراليا ، وان تكون المفاوضات لبحث قضية الجنوب بخارج السودان ، هذا الى جانب الانقسام الذى حدث فى حزب سانو نتيجة لاسباب منها الشخصى والقبلى والسياسى حيث نادى جناح بالمفاوضات لحل قضية الجنوب بينما ناصر الجناح الآخر انفصال الجنوب عن الشمال ·

ولم تتوقف المساعي ، وبذلت الحكومة جهودا كثيرة وتحددت الخرطوم

مكانا لانعقاد المؤتمر أذ كان لهجمات الانانيا اثرها الواضح فى عدم استقرار الجنوب مما يصعب معه عقد المؤتمر فى ذلك الجو ، وجرت الاتصالات ، وسافر وفد الى يوغندا واقنع الجناح المتطرف فى حزب سانو بالحضور الى المؤتمر ، الى جانب المحاولات التى أثمرت باتفاق أحزاب الجنوب فى طريقة تمثيلهم فى المؤتمر وكللت المساعي بالنجاح وعقد المؤتمر فى ١٦ مارس عام ١٩٦٥ واشترك فيه ٤٥ عضوا كانت أكثريتهم من الجنوبيين وتولى رئاسته البروفسير النذير دفع الله مدير جامعة الخرطوم آنذاك •

وتحدث فى المؤتمر زعماء الشمال وحملوا الانجليز والمبشرين والحكم العسكرى مسئولية تدهور الحالة فى الجنوب ، ونادوا بتطبيق الحكم الاقليمى فى الجنوب ولم يؤيدوا الآراء التى تدعوا الى انفصال الجنوب عن الشمال ، بينما اختلفت اراء ممثلى الجنوب حيث طالب ممثل الفريق المتطرف فى حزب سانو بالاستقلال السياسى ، بينما نادى الجناح الاخر بالاتحاد الفيدرالى ، ودعت جبهة الجنوب الى حق تقرير المصير •

ومهما يكن من أمر فقد سارت أعمال المؤتمر وتعددت جلساته ، وقدم حزب سانو وجبهة الجنوب مشروعا يدعو الى اجراء استفتاء لتقرير المصير لتطبيق النظام الفيدرالى أو الوحدة أو الانفصال ، وكان رأى الشماليين فى المؤتمر واضحا منذ البداية حيث اعلنوا عدم تأييدهم لذلك الاقتراح الذى ستكون نتائجه فى النهاية فصل الجنوب عن الشمال كما رفضوا اقتراحا آخر يدعو الى تقسيم السودان الى اقليمين تقدمت به جبهة الجنوب وحزب سانو ••

وشارفت جلسات المؤتمر على نهايتها ولم يكن هناك أمل فى الوصول الى اتفاق بشأن قضية الجنوب التى طال امدها لاصرار ممثلى الجنوب على المقترحات التى تدعو الى تفكك وحدة البلاد وانفصال الجنوب عن الشمال فى الوقت الذى عملت فيه أحزاب الشمال ممثلة فى مندوبيها فى المؤتمر جاهدة لحل هذه المشكلة فى اطار السودان الموحد بالرغم من اختلاف آراء الجنوبيين وعدم وحدتهم •

ووصل المؤتمر الى نهاية أعماله وفشل فى الوصول الى قرار نهائى بشأن قضية الجنوب التى انعقد من اجلها الا أنه أتاح اللقاء بين الشماليين والجنوبيين لبحث أكبر المشاكل وادركوا الأبعاد الحقيقية لها واتفق الجميع على الحل السلمى لهذه المشكلة •

واختتم مؤتمر المائدة المستديرة جلساته بتكوين لجنة سميت بلجنة الاثنى عشر والتى كلفت بالبحث عن حل سياسى والوصول الى حل يرضاه الجنوبيون والشماليون بشأن قضية الجنوب التى شغلت الرأى العام ردحا من الزمن على أن يواصل المؤتمر اعماله بعد ثلاثة شهور •

وتوالت الايام والشهور وتطورت الاحداث ، وانجلى موقف الذين ينادون بوحدة السودان والذين ينادون بالانفصال ، ووصلت لجنة الاثنى عشر الى طريق مسدود لما تمادى جناح حزب سانو المتطرف وجبهة الجنوب والانانيافى الاصرار على انفصال الجنوب عن الشمال بينما كانت أحزاب الشمال تدعو الى تحقيق الوحدة وشاركها من الجنوب فى ذلك الرأى حزب الوحدة السودانى والجناح المعتدل فى حزب سانو .

ولما ساد العنف والارهاب في جنوب البلاد ، وشن الأنانيا غاراتهم على القرى والطرق والكبارى ومراكز الجيش والبوليس لم يكن امام الحكومة الجديدة والتى شكلت في ١٩٦٥ م الا أن تشدد مقاومتها العسكرية ضد اولئك الخارجين على القانون ، وتتعاون مع دعاة الوحدة من الجنوبين ،وتؤيد المساعى الهادفة لاحلال السلام فى الجنوب ، وقام رئيس الوزراء بزيارة بعض دول شرق أفريقيا شارحا سياسة الحكومة الجديدة وداعيا المنشقين للعودة الى السودان .

ومن جهة أخرى فقد كان في اخفاق مؤتمر المائدة المستديرة فى الوصول الى حل مقبول لقضية الجنوب ، واعلان بعض قادة الاحزاب السياسية الكبرى فى الشمال داخل لجمعية التأسيسية وخارجها بالعمل على أن يكون دستور البلاد الدائم اسلاميا اثره الواضح فى تمسك دعاة الانفصال واصرارهم على دعواهم بفصل الجنوب عن الشمال وازدادت اعتداءات الانانيا وهجماتهم المتكررة على الأبرياء مخاوف الجنوبيين من انتشار الاسلام فى مناطق الجنوب المختلفة .

ونتيجة للحوادث التى وقعت فى واو وجوبا خلال يوليو وأغسطس عام ١٩٦٥ والتى قتل فيها الكثيرين من أبناء الجنوبيين بما فيهم المتعلمين منهم بسبب تعقب الجيش والبوليس للخارجين عن القانون فقد فر بعض المتعلمين من الجنوبيين الى يوغندا ، وازدادت قضية الجنوب تعقيدا لما تدهورت اقتصاديات البلاد ، وابعد ممثل حزب الشعب الديمقراطى من لجنة الاثنى عشر الى جانب ابعاد الشيوعيين من الجمعية التأسيسية .

ومهما يكن من أمر فان قضية الجنوب قد استنزفت الموارد والجهود التى كانت البلاد في أشد الحاجه لها فى تقدم السودان ومعالجة قضايا التخلف الاقتصادى والاجتماعى حيث لاسبيل الى تحقيق ذلك الا بالعمل المخلص الجاد ووقف القتال بين الاخوه واحلال السلام لتتوحد البلاد ويتقدم شمالها وجنوبها .

ثورة مايو والحل الشجاع

وظلت مشكلة الجنوب معلقة ولم يكف مرجلها عن الغليان وانشغلت الاحزاب بالمناورات السياسية وفشلت فى أن تقر دستورا دائما للبلاد حتى

كان الخامس والعشرين من مايو عام ١٩٦٩ حيث بدأت مرحلة جديدة وعهد ثورى فى تاريخ السودان وتولى الشعب السلطة من جديد وتغيرت المفاهيم السابقة لدى المواطنين ، وجابت قيادة الثورة اقاليم السودان كلها شمالها وجنوبها ، شرقها ووسطها وغربها ، متفقده أحوال المواطنين ، واضعة الحلول لما يجابههم من مشاكل على الطبيعة .

والتفتت الثورة منذ الوهلة الاولى نحو اهم القضايا واكبر المشاكل التى كانت الشغل الشاغل للناس فى الشمال والجنوب ، واعلنت قيادة الثورة سياستها نحو الجنوب وحل قضاياه فى بيان وجهته قيادة الثورة قبل مرور شهر على تفجيرها قررت فيه امتداد فترة سريان قانون العفو العام ، وانشاء وزارة لشئون الجنوب ، وتدريب كوادر لتولى المسئولية بالاضافة الى وضع برامج لتقدم الجنوب اقتصاديا واجتماعيا .

وكان لابد أن تترجم الثورة هذه القرارات الى واقع معاش ، ولن يتحقق ذلك الا بتضافر الجهود فى الشمال والجنوب وتعيش البلاد فى وحدة وطنية حيث أدركت الثورة الاهمية الكبرى لذلك وصدرت القرارات على ضوء الحقائق الموضوعية ، وبذلت المساعى لخلق الجو المناسب لتطبيق الحكم الذاتى الأقليمى فى اطار السودان الموحد حيث عاد الكثيرون من اللاجئين الى البلاد ومناطق سكنهم التى هجروها خلال سنوات التمرد السابقة ، وازدادت قرى السلام عددا وازدهارا وتوسعا ، الى جانب اهتمام الحكومة بتطور الخدمات الصحية والتعليمية وشرعت الثورة فى تنفيذ مشروعات العون الذاتى التى تساعد فى نهضة ذلك الجزء من السودان الموحد .

وسار تنفيذ البرنامج الاقتصادى بخطى سريعة ، وأهتم مجلس التخطيط والتنسيق للاقليم الجنوبى والذى انعقد فى نوفمبر عام ١٩٧٠ بملكال بمشاريع التوطين ، وانعاش الحالة الاقتصادية ، هذا الى جانب اهتمامه بتطوير الغابات والمراعى .

ومضت ثورة مايو قدما فى تهيئة الجو المناسب لتنفيذ الحكم الذاتى الاقليمى للجنوب ، وبذل الجهد والعرق لشرح سياسة الحكومة الجديدة تجاه الجنوب للمواطنين وترسيخها فى أذهانهم ، أينما كانوا فى المدن والقرى وفى الأحراش والغابات ، وتحدثت الثورة لمجتمعات المواطنين فى قرى السلام ولتجمعات المثقفين ، وزعماء القبائل والسلاطين باللهجات المحلية واللغة الانجليزية ليعملوا معها فى تنفيذ خططها الرامية لوحدة البلاد وتقدمها .

وفى ذات الوقت كان لابد أن تتوفر الحماية اللازمة ويستتب الامن ولو الى حين حتى ترى مشاريع التقدم الاقتصادى والاجتماعى النور فى ذلك الجزء من الوطن ، واستوعبت الأيدى العامة للعائدين الذين قامت قوات الأمن باحضار الكثيرين منهم من الأحراش والغابات ، وبذلت جهودا كبيرة فى سبيل استقرارهم ببناء المعسكرات وقرى السلام ، ووفرت لهم الخدمات الطبية .

وانعكست آثار هذه السياسة ونتائجها فى كثير من دول العالم التى قام الصحفيون فى بعضها ، والسياسيين والبرلمانيين فى بعضها الآخر بمشاهدة ما يجرى من أجل تحقيق الاستقرار ، ونشرت صحفهم ما يؤيد حقيقة ما تهدف اليه ثورة مايو من انتهاج سياسة جديدة فى جنوب البلاد •

واتخذت الحكومة خطوات ايجابية ، وحصرت المشكلة فى أضيق نطاق وقامت الثورة خلال تلك الفترة بالدراسات الوافية المستفيضة لتنفيذ الحكم الذاتى قانونا ، وخطت خطوات بعيدة فى أن تجعل ذلك واقعا يعيشه السودانيون ، شماليون وجنوبيون وتمخضت تلك الدراسات عن مذكرة اساسية اقرتها لجنة برئاسة زعيم دعاة الوحدة أبيل الير نائب رئيس الجمهورية ومشاركة فى ذلك الدكتور منصور خالد وزير الخارجية والدكتور جعفر محمد على نجيب وزير الحكومات المحلية والاسكان وتنمية المجتمع ، والسيد عبد الرحمن عبد الله وزير الخدمات العامة والاصلاح الادارى ، واللواء محمد الباقر أحمد وزير الداخلية ، واللواء محمد عبد القادر قائد القيادة الجنوبية آنذاك ومحافظ مديرية كسلا فى هذا الوقت •

ولما أقر قائد الثورة الرئيس جعفر نميرى تلك المذكرة ووافق عليها ، فقد حملها وفد الحكومة الى العاصمة الأثيوبية حيث كان اللقاء الأول للوفد مع الأخوة الجنوبيين الذين جرى معهم الحوار فى مضمون تلك المذكرة بوحدة السودان وايجاد الحل السلمى لقضية الجنوب •

وتوالت المفاوضات وتوجت تلك اللقاءات بأتفاق ممثلى الشمال والجنوب على حل مبنى على السلام لمشكلة الجنوب ، ووقع الطرفان على وثيقة الاتفاق والوحدة التى تتمثل فى جمهورية واحدة ، ورئيس واحد ودستور واحد ، وعلم واحد ، ولغة واحدة هى العربية مع جواز استخدام اللغة الانجليزية فى الجنوب ، وجيش قومى واحد ، هذا بالاضافة على تضمن الوثيقة الاتفاق بين الاخوة على تكوين مجلس شعب اقليمى ، ومجلس تنفيذى عالى للاقليم الجنوبى يقتصر على التشريع الداخلى للجنوب فى مجال الخدمات الصحية والتعليمية الى جانب الأمن والضرائب •

(اتفاقية الحكم الذاتى مارس ١٩٧٢)

وشهد اليوم الثالث من مارس عام ١٩٧٢ مولد عهد جديد ، بحث وقعت اتفاقية الحكم الذاتى الأقليمى للجنوب فى أديس أبابا عاصمة أثيوبيا ، وحرصا من الحكومة على وضع الاتفاقية موضع التنفيذ الفعلى فقد صدرت الاوامر لقوات الحكومة بوقف اطلاق النار كما اتفق على ذلك مع وفد الجنوب فى محادثات السلام بأديس أبابا •

ولم تمر أيام الا وتوقف اطلاق النار نهائيا حيث تكونت لجنة لتنفيذ وقف اطلاق النار ضمت فى عضويتها بعض العسكريين الشماليين ، وبعض الجنوبيين

المغتربين هذا الى جانب اشتراك ممثلين لدول أثوبيا ويوغندا وكينيا وأفريقيا الوسطى وزائيرى المجاورة للسودان ، وكانت جوبا عاصمة الاقليم الجنوبى مقرا لتلك اللجنة التى انجزت مهمتها على الوجه الأكمل .

(السياسة الجديدة)

وتنفيذا لاتفاق الوحدة فقد شكل رئيس الجمهورية المجلس التنفيذى العالى الانتقالى ليمارس السلطات التنفيذية والتشريعية حتى يتم انتخاب مجلس الشعب الاقليمى الذى يقوم بدوره بتكوين المجلس التنفيذى العالى ،وأسندت رئاسته للسيد ابيل آلير نائب رئيس الجمهورية الذى يعاونه أحد عشر وزيرا اقليميا يتولون مهام المالية والتنمية ، والتعليم ، والاعلام والثقافة والسياحة ، والنقل والطرق ، والمواصلات ، الزراعية والانتاج الحيواني ، الصحة ، الادارة الاقليمية وتشمل الحكومة المحلية والشئون القانونية ، والبوليس والسجون ، والاسكان والمرافق العامة ، والموارد الطبيعية والتنمية الريفية وتشمل : استثمار الأراضى والمياة الريفية والغابات والتعاونيات ، الخدمة العامة والعمل ، التعدين والصناعة والتجارة والتموين .

والى جانب ذلك فقد صدرت القرارات والقوانين التى تنظم ايرادات الضرائب والرسوم والاعانات المستحقة للاقليم الجنوبى من الحكومة المركزية التى تساعد الأجهزة الاقليمية فى الخدمات العامة والاستثمار المالى ، بالاضافة الى وضع تنظيم مؤقت لقوات الشعب المسلحة فى الجنوب ويقضى بأن تكون قوة قومية التشكيل تسمى القيادة الجنوبية وتعدادها أثنا عشر ألف من الضباط وضباط الصف والجنود على أن يكون نصف هذه القوة من مواطنى الاقليم الجنوبى .

(اعادة اللاجئين واستقرارهم)

لقد كانت اعادة اللاجئين وتوطينهم واغاثتهم من أكبر المهام بعد توقيع الاتفاقية حيث تم توطين الكثير من اللاجئين ووفرت لهم الضروريات من غذاء وكساء وقدمت لهم الخدمات الصحية والتعليمية برغم تعدد الطرق وصعوبة المواصلات على قلتها لبداية موسم الخريف وهطول الامطار .

ويظهر أهتمام الحكومة بشئون اللاجئين بانشاء صندوق خاص للصرف على اجراءات اعادة وتوطين واغاثة وتأهيل اللاجئين والمغتربين من المواطنين بالاقليم الجنوبى ، الى جانب انشاء مجلس ولجنة فنية يختصان بالعمل على اتخاذ الاجراءات الكفيلة بتوطين واغاثة وتأهيل اللاجئين والمغتربين من الأقليم الجنوبى وتنسيق الشئون المتصلة بذلك فى جميع أنحاء السودان ، هذا بالاضافة الى تكوين لجنة لاعادة اللاجئين السودانيين من الأقليم الجنوبى المقيمين فى الأقطار المجاورة للسودان على أن تكون مسئولة عن اتخاذ كل الاجراءات الادارية لاعادة أولئك اللاجئين المقيمين بخارج السودان.

(عودة أكثر من مليون لاجىء للجنوب)

ومهما يكن من أمر فقد تمت دعوة أكثر من مليـــون لاجىء للجنوب ، واقيمت لهمقرى السلام بمختلف مناطق الأقليم وزادت توسعا وتوفرت الخدمات المختلفة بفضل المساعدات الكثيرة التى قدمتها بعض الدول الصديقة والمنظمات الخيرية العالمية ووكالة غوث اللاجئين بالأمم المتحدة ٠

وكانت لابد أن تتحول تلك القرارات الجمهورية الصادرة فى مارس ١٩٧٢ عقب توقيع الاتفاقية الى حقيقة حية ومعاشة بوضع أسس متينة لعلاقـــة جديدة ظلت الأعوام طويلة علاقة دماء وسوء فهم ، وكان العبء كبيرا فى خلق ذلك الأساس لكل المواطنين للرجل والمرأة ، للطفل والفتاة ، ولقوات الانانيا التى أستوعب منها ٦٢٠٠ فى قوات الشعب المسلحة ، و ٣١١٦ فى قوات الشرطة الى جانب استيعاب ٥٤٥ فى قوات السجون والذين عقدت لهم الفرق المختلفة لتأهيلهم وانضمامهم مع أشقائهم من الشماليين فى مختلف المواقع بالاقليم الجنوبى ٠

التنميــــة ٠٠ التعليم

وتوالت الشهور على توقيع الاتفاقية ، واســـتتب الأمن وتهيأت الظروف للسير فى طريق التنمية والتقدم وتوسعت الخدمات وبذلت الجهود لاعادة فتح المدارس بمراحلها المختلفة وأوفد المعلمون الاوفياء والمخلصين لبداية مرحلة التعمير والانشاء لان التعليم فى لجنوب قد تأثر تأثرا بالغـــا فى مرحلة التمرد الثانيــــة فى عام ١٩٦٤ ــ ١٩٦٥ حيث أحرقت المدارس ونهبت الاثاثات ولم يبق من المدارس غير هيكلها ، وشرد الطلبة والطالبات، ونقلت أعدادا كبيرة من المعلمين الجنوبيين للعمل بمدارس الشمال وكذلك الحال بالنسبة للاعداد الكبيرة من الطلاب .

ولم يمض زمن قصير الا وأعيد فتح المـــدارس ونوســـع التعليم في الجنوب ، حيث بلغ عدد المدارس الابتدائية للبنين والبنات ٣١٦ مدرســـة بينما كانت ١١٢ مدرسة قبل توقيع الاتفاقية . وأصبح عدد التلاميــــذ والتلميذات ٧٩٥٨٩ بينما كان عددهم عند قيام ثورة مايو ٢٨٢٤٩ تلميذا وتلميذة ، وبالنسبة للثانوى العام فقد تضاعف عدد المدارس وقفز من ٢٣ مدرسة للبنين والبنات حيث كان يتلقى التعليم بها ٣٦٦٧ تلميذا وتلميذة الى ٤٦ مدرسة أصبح عدد التلاميذ والتلميذات فيها ٧٧٠٩ ، وكذلك الحـــال بالنسبة للتعليم الثانوى العالى حيث نجد ان عدد الطلبة والطالبات اليوم ٢٦٥٠ طالب وطالبة حيما كان عددهم فى الماضى ٩٠٠ طالب وطالبة وصار عدد المدارس ٦ مدرسة بينما كان قبل حلول السلام ٣ مدارس .

ولما كان التلاميذ والتلميذات من أبناء العائدين يتلقـــون تعليمهم فى مختلف المناطق بالغابات والاحراش فقد كان لابد أن يعودوا الى مواطنهم

الأصلية التى هجروها خلال سنين التمرد . حيث شيدت ٣٢٥ مدرسة ابتدائية بالعون الذاتى بالمديرية الاستوائية استوعب بها ١٦٫٨٥٦ تلميذا وتلميذة الى جانب استيعاب ٥٢٢٩ تلميذا وتلميذة بالمدارس الثانوية العامة ، أما مديرية أعالى النيل فقد استوعبت ١١٢٥ من أبناء العائدين بالمدارس الابتدائية ١٦٥ منهم بالمدارس الثانوية العامة .

وفتح فى كل من مدينتى ملكال بأعالى النيل وجوبا بالاستوائية معهدا للثقافة وتعليم ابناء الاقليم الجنوبى من موظفين وجنود وعمال اللغة العربية ، وتعريفهم بجغرافية السودان وتاريخه وبعض المعلومات العامة ، ومدتهما وزارة للتربية بكل وسائل التثقيف والترفيه من مسجلات وسينما ومكتبة عربية ، ويقوم بالتدريس فيها اساتذة متعددون ، وهما يؤديان واجبهما على أحسن وجه الى جانب التعليم المسائى الذى أدخل لاول مرة للعاملين بمديرية اعالى النيل .

وزيادة على ذلك فقد تم بملكال افتتاح معهدا للتربية فى العام الاول للثورة لتدريب المعلمين من أبناء المديريات الجنوبية ، وتخرج منه أكثر من ٤٠٠ معلم ومعلمة وبه الآن سبعة فصول للثانوى العام وفصلين لتدريب المعلمين ويبلغ عدد الدارسين فيه ٢٥٠ من طلاب ومدرسين ومدرسات .

ولم تغفل الثورة الناحية الصناعية ، حيث انشأ بمدينة واو عاصمة مديرية بحر الغزال معهدا صناعيا فى عام ١٩٧٠ لتدريب الطلاب على الصناعات القومية ويسير الآن بصورة مرضية تحت اشراف ادارة التعليم الفنى .

أما بالنسبة للتعليم الشعبى فقد تم تكوين لجنة شعبية بالخرطوم برئاسة اندرو ريو يساعده مكتب شئون الجنوب بوزارة التربية وآخرين للاشراف على هذا النوع من التعليم ، وتم قبول ٦٠ طالبا بالثانوى العالى والحقوا بالمدرسة الثانوية العليا بملكال فى بداية العام الدراسى ١٩٧٣ — ١٩٧٤ ويعتبر هذا نواة للتعليم الشعبى بالاقليم الجنوبى والذى بدأه المواطنون ببناء بعض المدارس والفصول .

مشروع التعليم

وبالرغم من الجهود الكبيرة التي بذلت لتطوير التعليم فى الجنوب مع قلة الامكانيات المتاحة فقد كان من الضرورى أن يزداد التعليم توسعا وتطورا لينهض الاقليم الجنوبى ويزداد الوعى القومى ويسير ذلك الجزء من البلاد فى طريق التنمية والعمران .

وكان لزيارة مدير البنك الدولى على رأس وفد من البنك للسودان فى نوفمبر ١٩٧٢ اثرها الكبير فى اعداد مشروع تعليمى سريع التنفيذ لسد

النقص فى مراحل التعليم بالجنوب حيث اتفق مع بعثة البنك الدولى الثانية التى جاءت للبلاد فى أغسطس ١٩٧٠ وبعد دراسات مستفيضة على توصيات خرجت بها تلك البعثة الاقتصادية تتركز فى انشاء ٥٠ مركزا للتربية الريفية المتكاملة على ان يحتوى المركز على مدرسة ابتدائية حيث تكون نفس المدرسة مركزا لتعليم الكبار ، ويكون على مقربة منها مركزا صحيا تخصص له الى جانب خدماته الصحية موظفا للارشاد الزراعى الى جانب توفير احتياجات الناس الذين يقطنون حول هذا المركز لارساء فكرة النظام التعاونى .

ولما كانت الحاجة ماسة فى بعض المناطق الاخرى بشمال البلاد لمثل هذا النوع من المراكز الريفية فستحظى بعض المناطق الأكثر تخلفا فى الشمال بعدد من هذه المراكز التى ستوزع على مناطق الاقليم الجنوبى المختلفة .

وكان لابد أن يتبع ذلك توفر نوع خاص من المعلمين الذين سيقومون بالتدريس فى تلك المراكز لاختلاف الطبيعة فيها عن المدارس الاخرى حيث أضيف ٢٠٠ خانة جديدة فى معهد لتدريب المعلمين ببخت الرضا فى الدويم لتأهيل المعلمين الذين سيقومون بالعمل فى المراكز الريفية المتكامله بالجنوب .

وزيادة على ذلك فقد كان من التوصيات التى خرجت بها بعثة البنك الدولى الاقتصادية انشاء كلية لتدريب كادر من الفنيين فى القطاعات المختلفة المرتبطة بالتنمية كالزراعيين والبياطرة والاهتمام بالغابات والاقتصاد المنزلى ، الى جانب تحسين مركز التدريب المهنى بواو عاصمة مديرية بحر الغزال وادخال مواد جديدة وتوسيع التعليم الثانوى العام بافتتاح ثلاثة مدارس جديدة بداخلية لنصف عدد التلاميذ بكل مدرسة من هذه المدارس الى جانب توفير المعدات التعليمية ومساعدات التعليم لثلاثة من المدارس الثانوية العليا .

وعلى كل فقد كان الاهتمام واضحا بتطور التعليم وتوسعه وادخال نظم تعليمية جديدة تتمشى مع الواقع المعاشى فى بعض المناطق بالاقليم الجنوبى والتى سميت بالمشروع التعليمى وتوقع اتفاقية مع البنك الدولى خلال نوفمبر من هذا العام ومن ثم سيدخل هذا المشروع الهام فى طور التنفيذ ليساير ركب العلم والتقدم فى جنوب البلاد .

الصحة

ولما كانت الفترة التى أعقبت توقيع الاتفاقية فترة خلق مناخ جديد واستقبال عائدين وبداية صفحة جديدة من تاريخ السودان والسعى للعيش فى سلام ، وبالرغم من الفرق فى تلك الرسالة فقد بذلك جهودا

كبيرة فى مجال الخدمات الصحية التى ازدادت وتضاعفت حيث ارتفع عدد المستشفيات من ١٤ الى ٢٥ مستشفى واصبحت المراكز الصحية ١٠ بينما كانت مركزين ، وقفز عدد الشفخانات من ٦٨ الى ١٠٤ شفخانة ، وتوسعت نقاط الغيار فصارت ٢٢٨ حيث كانت ١٢٢ ، وكذلك الحال بالنسبة للاطباء الذين يبلغ عددهم الآن ٦٨ طبيبا فى الوقت الذى كانوا فيه قبل اتفاقية السلام ٤٥ طبيبا زيادة على توفر الاخصائيين منهم فى مختلف المناطق بمديريات الاقليم الجنوبى الثلاث .

وبالمقارنة مع توفر الخدمات الصحية فى دول العالم نجد انه يوجد طبيبا مقابل كل ٧٥ الف مواطن ، ولكل ١٩١٣٠٤ مواطن مستشفى واحد مع ان مقابل كل ١٠ الف مواطن طبيبا فى الدول الفقيرة بينما ان لكل ٥٠٠ مواطن فى الدول المتقدمة طبيبا واحدا .

الزراعـــــة

وكان للظروف التى هياها استتباب الامن والسلام أكبر الاثر فى تنمية الاقليم الجنوبى والنهوض به اذ انه ليس هنالك تقدم ولا رقى ولا تطور للانسان الا بخلق المناخ الجيد الذى عملت الثورة السودانية جاهدة لتوفره لينعم المواطنون بالاقيم الجنوبى بالرخاء والرفاهية والحياة .

وتحقيقا لذلك كان لابد من السير فى طريق التنمية الزراعية بخطى سريعة حيث توسعت زراعة الذرة والأرز والحبوب الزيتية والقطن المصرى والمحاصيل النقدية ذات القيمة العالية والعائد السريع كالشاى والبن والتبغ الى جانب توسيع زراعة التوابل والخضر والفواكه والنباتات الطبية .

ونتيجة لذلك التوسع كان من الضرورى ان تتوفر متطلبات النهضة الزراعية حيث اعيد فتح محطة الابحاث الزراعية فى بامبيو بالمديرية الاستوائية ، واقيم معهد زراعى بمعاونة الأمم المتحدة ويجرى العمل لمكافحة اعشاب النيل وازالتها ، وغير ذلك من الخدمات كالارشاد الزراعى والتدريب وتوفير البذور الى جانب حصر كافة المواد الزراعية للنهوض بالاقليم الجنوبى على أسس علمية وسليمة .

أما فى مجال الصناعة فقد كان الاهتمام بها عظيما تدعيما لوحدة البلاد وتحقيقا للتكامل الاقتصادى فى السودان الموحد حيث استغلت الموارد الطبيعية بالجنوب فى مجال صناعة السكر والنسيج والتعليب وصناعة الخيش، وغيرها من منتجات الألبان والاخشاب بالاضافة الى بعض الصناعات الخفيفة كالملابس الجاهزه وورش الصيانة .

ولما كنت المواصلات والطرق بالاقليم الجنوبى فى أسوأ حالاتها قبل اتفاقية الوحدة والسلام فقد كان لابد من دعم سبل المواصلات وتطويرها ، ومن

ثم شرع في اقامة الجسور وتوسيع المطارات في مديريات الجنوب المختلفة الى جانب تطور المواصلات البرية والنهرية والجوية في الوقت الذى بذلت فيه الجهود لاستصلاح الكثير من الطرق فى مختلف مناطق الاقليم الجنوبى ٠

التطور السياسى

حينما طرحت الثورة السودانية منذ تفجيرها شعار الوحدة الوطنية كانت غاياتها في ذلك أن يعيش الناس في الشمال والجنوب في وحدة فكرية واخلاقية لتوجيه قدرات الشعب للانشاء والبناء والتعمير عوضا عن تسخيرها للتفرقة والتجزئة ، والخلاص من الحساسيات التي خلقها المستعمر ليتلاحم ابناء السودان الموحد لتنمية البلاد وتقدمها وازدهارها ٠

وكان على الثورة أن تدعم وحدة التراب وتجمع شتات ابناء السودان في الشمال والجنوب ، في الشرق والغرب وتزودهم بفكرها الاشتراكي ليعملوا على ضوء مبادئها واهدافها حيث سارت بخطى حثيثة في بناء مجتمع الكفاية والعدل وتمهد الطرق لقيام تنظيماتها الثورية التقدمية وحشدت قوى الشعب لبناء المجتمع الاشتراكي بقيام الاتحاد الاشتراكي السوداني الذى جسد تحالف قوى الشعب العاملة ليقود نضال الجماهير ويعبر عن ارادتها ويوجه العمل الوطنى ، ويقوم بالرقابة الايجابية الفعالة لسير هذا العمل فى الطريق السليم ووضع السياسات العامة والخطط والبرامج ، ويتصدى للدفاع عن مصالح الجماهير حيث أنه سلطة الثورة على أجهزة الدولة ٠

ولما كان الاتحاد الاشتراكى السودانى التنظيم الاعلى للثورة بين كل منظمات الجماهير فان مجلس الشعب الممثل لسلطة الدولة العليا ومعه مجالس الحكم الشعبى المحلى واجهزة الدولة المختلفة يقوم بتنفيذ السياسة التى يرسمها الاتحاد الاشتراكى السودانى الذى يشكل الاطار السياسى الشامل للعمل الوطنى وينسق مع منظماته الجماهيرية لجميع قوى الشعب من عمال ومزارعين وجنود ومثقفين ورأسمالية وطنية ٠

وشرع الاتحاد الاشتراكى السودانى فى تحقيق اهدافه بتوحيد قوى الشعب العاملة حفاظا على مبادىء ثورة مايو ، وحماية لمنجزاتها وتحقيق اهدافها دافعا العمل الثورى وقيادته لتحقيق الديمقراطية السليمة ، وبناء السودان الاشتراكى الواحد وفق ميثاق العمل الوطنى الذى أقره المؤتمر التأسيسى للاتحاد الاشتراكى السودانى فى يناير ١٩٧٢ والذى يوضح اهداف الثورة في الداخل والخارج الى جانب بناء وقيادة منظمات الشعب الجماهيرية وتحقيق مبدأ نقل السلطة للشعب ٠

ولما انتخب الرئيس جعفر نميرى قائد الثورة رئيسا للاتحاد الاشتراكى السودانى ورئيسا لجمهورية السودان الديمقراطية فى أكتوبر عام ١٩٧٠ فقد

أعيد تنظيم البلاد سياسيا واداريا ووضع مجلس الشعب الذى أفتتح عام ١٩٧٢ الدستور الدائم للبلاد الذى ستحكم البلاد بمقتضاه وتسير السياسة على هديه .

المؤتمر القومى الاول للاتحاد الاشتراكى السودانى

وبحلول عام ١٩٧٤ أنعقد المؤتمر القومى الاول للاتحاد الاشتراكى السودانى ممثلا لكل تنظيمات الثورة فى مديريات السودان العشر ، ومختلف قطاعات الشعب فى الداخل والخارج والذى أقر السياسة العامة للبلاد بعد مناقشات واجتماعات متعددة وكون قمة الهرم السياسى واختار اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى السودانى والتى انتخبت بدورها المكتب السياسى للاتحاد الاشتراكى السودانى الذى يمثل السلطة السياسية العليا فى البلاد .

ولما كانت فلسفة الثورة فى مجال الحكم بنقل السلطة للشعب بقيام الاتحاد الاشتراكى المحرك الفعلى للوحدة الوطنية والقادر على اعطاء المساواة والاعتماد على النفس من اجل التقدم والعدالة والانتاج وتوزيع الثروات والقدرات الاجتماعية كان لابد ان يشمل هذا الاستقرار السياسى الاقليم الجنوبى بمناطقه المختلفة حيث تكونت تنظيمات الاتحاد الاشتراكى السودانى فى مختلف المستويات كما هو الحال فى الشمال لتلعب دورها فى سبيل نهضة الاقليم الجنوبى وتقدم السودان الموحد .

وبقيام مجلس الشعب الاقليمي بالجنوب فى يناير ١٩٧٤ تكون مرحلة جديدة قد بدأت حيث أنتهت فترة المجلس التنفيذى العالى الانتقالى ، وأنتخب مجلس الشعب الاقليمى السيد ابيل الير نائب رئيس الجمهورية رئيسا للمجلس التنفيذى العالى .

وبهذا تكون التنظيمات السياسية والدستورية والتشريعية قد وصلت الى مراحلها النهائية وأكتمل تكوينها فى الاقليم الجنوبى بعد أن تحققت الوحدة والسلام والاستقرار وأصبح ذلك ماثلا على مرأى من العالم ، وتحرر المواطن السودانى من التسلط الادارى والقبلى والطائفى ، وحلت مشكلة الجنوب بالرغم مما أعتورها من خلفيات وتعقيدات .

غير انه بالاتفاق على حل قضية الجنوب لم يرق هذا الامر لبعض العناصر فى داخل البلاد وخارجها حيث كانت تصور هذه المشكلة وكأنها مستحيلة الحل . لان العناصر التى بداخل البلاد كانت تظن بأن هذا الوفاق إنتصار لفئة بعينها ناسيين ومتناسيين بأن تحقيق هذا الاتفاق ليس انتصارا لفرد أو أفراد وانما هو انتصار للسودان والسودايين فى الشمال والجنوب لان الانسان العادى فى الشمال والجنوب كان حريصا على أن يتم هذا الوفاق ويعيش الجميع فى وحدة وسلام .

ولما كانت قوات الشعب المسلحة هى التى تحارب وتقاتل فى جنوب

البلاد فقد كان أحساسها أكثر من غيرها بلدغ الحرب ومآسيها وضرورة انهائها بعد ان ظلت مستمرة طوال سبعة عشرة عاما حيث كان لاحساسها هذا أكبر الاثر فى توقيع اتفاقية السلام لان قضية كقضية الجنوب لايمكن أن تحسم عسكريا لانها مشكلة صراع داخلى .

ودلالة على احساس قوات الشعب المسلحة بضرورة حل تلك المشكلة فان الجزء الذى يتعلق باستيعاب الانانيا وانخراطهم فى قوات الشعب المسلحة قد نفد قبل غيره من بنود اتفاقية السلام حيث توقف اطلاق النار وجند الانانيا فى قوات الشعب المسلحة فى الوقت الذى كان فيه هذا فى رأى الكثيرين بأنه المشكلة التى لايمكن حلها والوصول الى اتفاق حولها حتى بعد الاتفاق وكانوا يرون ان هذا الجانب من الاتفاقية لايمكن تطبيقه بأى حال من لاحوال ، وان تنفيذ ذلك وتطبيقه وجعله واقعا معاشا لهو الدلالة على وعى الجندى السودانى .

اما العناصر التى كانت خارج السودان والتى تتمثل فى بعض الدول التى لايروق لها ان يستقر السودان ويوظف طاقاته وجهوده نحو البناء والانشاء حيث كان ذلك واضحا اثناء المفاوضات التى سبقت توقيع الاتفاقية بأديس أبابا عاصمة اثيوبيا فى مارس ١٩٧٢ اذ كان هناك الكثير من التشكيك فى بعض ماينشر فى الصحف ، وفى بعض مايتم من اتصالات جانبية الامر الذى لم يجد قبولا لدى أبناء الجنوب حيث كانوا يعملون ضد هذا الاتجاه ويؤكدون رغبتهم وعزمهم على أن يتم الاتفاق ويتحقق السلام .

وكانت هناك أيضا التساؤلات والتشكيك بأن الاتفاقية لم ينشر كل بنودها على الجماهير خشية ان يرفض الناس ماجاء فى بعض بنودها متناسيين بأن هذا الاتفاق لم يتم بين دولتين وانما هو اتفاق بين ابناء السودان فى الشمال والجنوب كانوا يؤمنون ولا زالوا بوحدة البلاد غير انهم كانوا يختلفون فى طرق حل تلك المشكلة التى بذر بذورها الاستعمار .

وزيادة على ذلك فقد كانت هناك أصوات تقول بأن توقيع هذه الاتفاقية قد تم على حساب العالم العربى بالاتجاه نحو أفريقيا بصورة أكبر من الاتجاه نحو العرب حيث الواقع أن السودان قد تحققت وحدته الوطنية ، وان انتماء السودان للعرب حقيقة الى جانب انتمائه لافريقيا ، اذ ان شخصية السودان مزيج من العرب والافارقة ، وفى الحكومة الاقليمية وزير من أبناء الجنوب يعمل على نشر اللغة العربية التى نص الدستور بأن تكون هى اللغة الرسمية للدولة . وجواز استعمال الانجليزية بالجنوب قد أملته ظروف عملية اذ أنه ليس من المعقول أن يفرض على أناس عاشوا لاكثر من خمسة عشر عاما خارج السودان أن يتحدثوا بلغة لم يسبق لهم أن تحدثوا بها ويجهلون استخدامها .

ومما لاشك فيه أن انهاء حرب دامت سبعة عشر عاما وهدت قوى

البلاد السياسية والاقتصادية ، وهزت صورتها فى الخارج ، سيلعب دورا كبيرا فى تقوية جبهة السودان الداخلية وسيكون السودان أشـــد عددا ، وأقوى مراسا من أى وقت مضى لان فى قوة السودان قوة للبلاد العربيـــة والافريقية ولدول العـــالم الثالث بأكملهـــا .

ونتيجة لاتفاقية الوحدة والسلام فقد برزت شخصية السودان وأصبح صوته مسموعا واثر حـــل هذه المشـــكلة فى الكثـــير من التغييرات التى شهدتها القارة الافريقية ، وتغيرت مواقف بعض الدول تجـــاه الســـودان وتقدير بعضها الاخر لموقف السودان بعد حل هـــذه المشكلة التى طـــال أمدها .

وان أكبر انتصار دبلوماسى حققه بلد عربى فى السنوات الاخيرة هو حل مشكلة الجنوب التى تعتبر أكبر الانجازات التى قامت بها دولة بمفردها وبجهودها الخاصة وبأخلاص أبنائها وحرصهم على استقرار البلاد وتقدمها لتواكب رضيعاتها من دول العـــالم .

الباب الثالث

ايام فى جنوب السودان

المرحلة الاولى : مديرية أعالى النيل

المرحلة الثانية : مديرية بحر الغزال

المرحلة الثالثة : المديرية الاستوائية

الرحـــلة الاولى

مـــديرية أعـــالى النيـــل

---

(١) مارس ١٩٧٤ .

بعد ١٧ عاما سكتت طبول الحرب وذابت

قـــــوات الانيانيا فى الجيش النظامى

احيانا يتجاوز الخيال مساحته المحـدودة فى رسم الصـور ووضع الالوان والتفاصـيل والتقاطيع ، خاصة اذا كنت في طريقك لرؤية جـديد عليك مكانا أو شخصا .. هكذا انطلق خيالى وانا فى طريقى الى الخرطوم فى شهر مارس عام ١٩٧٤ .. عبرت بفكرى الخرطوم الى ما وراءها .. الى الجنوب حيث كان يحتفل السودان كله بعيد الوحدة الوطنية أو عيـد السلام الذى حل بعد أعوام قاربت العشرين من الصراع الدموى .

كنت فى طريقى الي هناك لاحضر احتفالات الوحدة الوطنية فى مدينة (ملكال) عاصمة مديرية أعالى النيل . وهى أيضا واحدة من مدن الجنوب الثلاث .. اشـتط الخيال في رسم صـورة للجنـوب .. كان التفـكير حول الكثـــير :

- ● ● كيف تبدو المدن والقرى بعد صراع أكل الاخضر واليابس ؟
- ● ● كيف يتعايش الشماليون والجنوبيون ؟
- ● ● هل يتباين الشمال عن الجنوب بصورة قاطعة ؟
- ● ● الى أين وصلت اتفاقية الســلام بجنوب السودان ؟
- ● ● ثم أين الحقيقة فيما أشيع من أن الجنوب أصبح قوة حاجبة لعـــروبة الســـــودان ؟

اتفاقيـــــة الســـــــلام

كان اهتمامى الاول يدور حول الذى اتيت من أجله .. حول اتفاقية السلام كحل حاسم والى أى مدى حفرت خطوطها على الارض والناس .. فالاتفاقية التى وقعت فى أديس أبابا فى مارس ١٩٧٢ والتى أنهت اقتتـال ١٧ عاما بين الاشقاء .. أحاطت بها تسـاؤلات كثـيرة .. بعضها مشـفق وبعضهـا خبيث .. كثيرون قالوا أن عشرين عاما من الدمـاء لايمكن أن تمحـوها اتفاقات توقع أو حـلول مكتوبة عـلى الاوراق .. الثقـة لاتخلقهـا قوانين أو لوائح .. الثقة وليدة التفاعل .. العمل الجـاد والاخلاص .. وتلك كانت الصورة فى الجنوب بعد مارس ١٩٧٢ .. كانت الاتفاقيــة قد حددت أشياء كثيرة .. كانت تبدو أحيانا وكأنها اكبر من الزمن والقدرة .

●● قوات الانيانيا (وهى الطرف الآخــر فى النزاع) يجب أن يتم استيعابها وصهرها فى القوات المسلحة السودانية .

●● لابد من حكم أقليمى خاص للجنوب يتيح لامركزية فى العمل .

●● آلاف العائدين من الغابة والدول المجاورة تنتظر أن تجد مأوى ومستقرا وكساء فهى تأتى لاتحمل الا الامـــل فقط .

●● المشـاريع التى تعطلت ابان سنـوات النزيف المتصـــل لابد أن تعود وتعمـــل .

●● وفوق هذا كله كان هناك بناء جسور الثقة التى تهدمت عبر تلك السنوات القاسية عــلى الشمال والجنـوب معا .

البحث عن الرجل

ووقعت الاتفاقية ٠٠ ووضعت الأولويات والاسبقيات للعمــل ٠٠ كان لابد فى البداية من رجل قادر على بناء الجســور التى تهـدمت بين الشــمال والجنوب ٠٠ وكان (ابيل ألير) نائب رئيس الجمهورية ورئيس الحكومةالاقليمية حاليا ٠٠ واحدا من الذين يتمتعون بثقة الرئيس نمـيرى وحبـه واختير لهذا المنصب الذى أنيط به تحويل بنود الاتفاقيةالمكتوبة الى واقع ٠ وتكونالمجلس التنفيذى الانتقالى العالى للاقليم الجنـوبى من شخصيات الجنوب ٠ بعضـــها كان حتى قبل تاريخ الثالث من مارس ١٩٧٢ خارج السـودان أو فى غاباته يخطط أو يحمل السلاح ضد حكومة الخرطوم ٠٠ وكانت المهمة أمام المجلس غاية فى الدقة والتعقيد ٠٠ كانت مهمته الاولى أن يستقبل العائدين من أبناء الجنوب والذين تدفقوا من الغابات الكثيفة أو الدول المجاورة بمجرد أنسمعوا بنهاية الصراع فى الجنوب ٠

وبدأ المجلس التنفيذى العمل ٠٠ تكـونت لجـان للاغاثة والتوطين ٠٠ ولجان متفرعة منها واستشعر العالم بمسئوليته تجـاه الالوف المتدفقـة ٠٠ وانهالت الاعانات على الجنوب من كل أنحاء العالم ٠٠ فقد فاقتاعداد العائدين وحجمهم كل التوقعات ٠٠ وانتشرت فى الجنوب اللجـان العـاملة فى سرعـة شديدة ٠٠ أقيمت (قرى السـلام) فى كل الجنـوب (وهى القرى التى أقيمت لاستقبال العائدين) أشرفت اللجان على اعاشة وغذاء وكساء العائدين ٠٠ وفى عام واحد كان عدد العائدين يقارب نصف مليون استطاعت الجهود الصـادقة أن توفر لهم كل احتياجات الانسان ٠

بدلا من صدام السلاح

حقيقة ان عمليةاستيعاب قوات «الأنيانيا» فىالقوات المسلحةالسودانية

كانت أخطر مراحل الاتفاقية ، فهى تعنى أولا أن عداوة السـلاح أصبحت رفقة السلاح وأن الذين اقتتلوا سبعة عشر عاما سيلتقون فى مكان واحد ٠ وبعضهم يحمل آثارا على جسده تعيد الى ذاكرته تلك الايام المريرة وكانت خطورة هذه المرحلة تكمن فى أن نجاحها يرتكز عليه نجاح مشروع السـلام كليه ٠٠ فاذا توجهت البنادق مرة أخرى انتهى كل شىء ٠٠ رغم هذا أقبلت القوات المسلحة على تنفيذ الجانب العسكرى من الاتفاقية بثقة واطمئنان ٠

المواقع التى كانت مراكز لقيادة العمليات الحربية ضد القوات المتمردة أصبحت مراكز تدريب لنفس القوات والتى أصبح اسمها الآن المستوعبة

الشماليون من أفراد القوات المسلحة أقبلوا على اخوتهم بروح أشاعت جوا من الثقة ٠٠ كانوا يزورونهم فى معسكراتهم ويشاركونهم الطعام ٠٠ حفاظا على عهد (العيش والملح) ، كانت الاتفاقية تقضى أن يتم تدريب القوات المستوعبة لتصبح فى مستوى افراد القوات المسلحة ٠٠ وكانت مسئولية التدريب تقع على الضباط والجنود الذين كانوا قبل أسابيع يجوبون غابات الجنوب وأحراشها بحثـا عن من يتـولون مسـئولية تدريبهـم الآن ، وكان الرئيـس جعفـر نميرى والذى حضر ذلك الاحتفال أكثر الناس سعادة ٠٠ فها هو الجهد يثمر وها هم افراد الأنيانيا السابقون يقفون أمامه يؤدون القسم بأن يطيعوا أوامره ولو أدى ذلك الى المجازفة بحياتهم ٠ وعلى طريقة أهـل الجنوب وقف أفـراد الانيانا ينثرون فى مهجر الدنكا ٠٠ كانت كلمات النشيد دعوة لعشق الارض والسلام ٠٠ كأن كلماته تفيض حبا لنميرى رجل السلام ٠٠ نمـيرى بنج ٠٠ هكذا يسمون هناك وينج هذه لايطلقها أهل الدنكا الا على الرجل الحكيم القادر على جمع شمل القبائل حوله ٠

لقد حدثت المعجزة ٠٠ ووقف العالم كله فى مارس ١٩٧٣ ليشهد كيف يحتفل الجنوب بالسلام ٠

- اكتمل تدريب جميع القوات المستوعبة من الانيانيا
- مئات الألوف من اللاجئين عادوا واستقروا ٠
- الخضرة أخذت مكانها بديلا للارض الجرداء المهملة
- العمل فى كل مكان فى الجنوب يتسابق مع الامل والمنى ٠

العـام الثالث

وها هو العالم الثالث ٠٠ فكيف تبدو الصورة ؟

أصبح الجنوب قاعدة للعمل السياسى الواسع ٠٠ تحس بذلك فى كل مكان فالجنوب ذو القبائل المتعددة والمتفرعة والمتشعبة والذى عاش سنوات طويلة حياة متقطعة فى كل شئ ٠٠ تجد فيه الآن حركة نشطة ٠٠ اعداد المنضوين فى المنظمات والاجهزة والوحدات الاساسية للاتحاد الاشتراكى السودانى تسجل ارتفاعا ملحوظا ٠٠ تنظيمات النساء والعمال والشباب نشطة ومتحركة .. لأول مرة أتيحت للجنوبيين فرص العمل .. والتجربة كانت ناجحة مائة فى المائة ٠

أوهام خاطئة

كانت هناك نقطة تشغل بالى كثيرا ٠٠ وقد كانت مثار حديث كثيرخارج السودان ٠٠ وهى الى أى مدى كان حل قضية الجنوب قوة حاجبة لعروبة السودان ؟

أبدأ بملاحظة هامة ٠٠ وهى اننى حين وصلت الجنوب كنت أظن أن واحدا من الصعاب أمامى هى اللغة ٠٠ كنت أظن أن اللهجات الكثيرة هناك ستجعل التخاطب مشكلة ٠٠ وكنت أظن أن اللغة الانجليزية هى اللغة السائدة واكتشفت خطىء .. وجدت أن لغة التخاطب بين القبائل المختلفة هى اللغة العربية ، الجنوبيون فيما بينهم يتعاملون ويتخاطبون بها ٠٠ اللغة العربية هى القاسم المشترك بين تلك القبائل وحتى فى المناسبات الرسمية والتى يتحدث فيها خطبا لا يميلون الى استعمال أى لغة أو لهجة سوى العربية ، الملاحظة الثانية تعود الى فبراير من العام الماضى ٠٠ كان الرئيس نميرى يشهد تخريج أول مجموعة من قوات الانيانيا فى (واو) وتحدث اليهم وكان أبرز ماقال لهم :

انكم أصبحتم جزءا من القوات المسلحة التى نعدها ونؤهلها لتقوم بواجبها وحماية الوحدة الوطنية وفى المشاركة فى النضال من اجل استرداد الارض المحتلة من العدو الاسرائيلى ٠٠ قال لهم نميرى اننا نعدكم لكى تستردوا القدس وسيناء والجولان ٠ ٠كان هذا حديث نميرى لأول فوج من (الانيانيا) الجناح العسكرى المتمرد من قبل ٠٠ وكان لهذا الحديث مدلوله ومغزاه ٠

وكانت حرب اكتوبر ـ كما قال لى (أبيل الير) نائب رئيس جمهورية السودان ورئيس الحكومة الاقليمية شاهدا آخر على كذب المخاوف والاوهام ٠٠ كان تفاعل أبناء الاقليم الجنوبى مع الانتصارات العربية عظيما ٠٠ عقدت ندوات التعبئة فى كل مكان وتكونت لجان دعم المعركة ، تبرع مواطنوا الجنوب وأسهموا فى الدعم والعمل من أجل قضية المصير ٠٠ باختصار بعد ان رأيت وسمعت تبددت كل الاوهام والمخاوف حول القوة الحاجبة ٠

بداية العام الثالث هناك رائعة ٠٠ أصبح للجنوب مجلس شعبى أقليمى يمارس صلاحياته من قوانين ولوائح ٠ الحكومة الاقليمية تباشر أعمالهابصورة دقيقة مرسومة ٠ التفاعل بين الجنوب والشمال متكامل ٠٠ اعمال الانماء والتطوير مكثفة ومتصلة وأرتفعت مرة أخرى شجيرات الشاى والبن وعادت سنابل الذرة تغطى مساحات واسعة ٠٠ ألبناء داخل القرى والمدن أخذ يمحو آثار الاعوام العشرين ٠٠ كل الطرق والمطارات والجسور يجرى فيها العمل بسرعة وفوق كل هذا تم بناء أقوى الجسور ٠٠ جسر الثقة وعليه عبر النجاح والاستقرار الى الجنوب ٠

وباختصار ٠٠ فان الذى تحقق فى جنوب السودان معجزة لكل المقاييس، وهى معجزة تحققت بارادة الشعب السودانى وبعزم من الرجل الذى وسع قلبه مليون ميل مربع ٠٠ جعفر نميرى ٠

الانسان والطبيعة فى مديرية أعالى النيل

فى مديرية اعالى النيل تختلط سمرة الارض بسمرة البشر ، ولعل أول مايلحظه الزائر أن الطبيعة قد تركت بصماتها بشكل واضح على الناس هناك الطبيعة الاخاذة ٠٠ غابات الاستواء باشجارها الباسقة العالية والناس بطول أجسادهم المتناسقة مع تلك الطبيعة ٠٠ هناك الرقص والغناء ٠٠ هناك الاقبال على الحياة ٠٠ هناك (بانوراما) القبائل خاصة فى المدن ٠٠ تستطيع أن تميز القبائل اذا عشت فترة هناك ٠٠ فكل قبيلة لها علاماتها المميزة فى رجالها ونسائها ٠٠ الدنيكا يختلفون عن الزندى والشلك عن النوير وعن الانوال ٠٠ الاختلاف فى الشكل والمظهر والملبس والرقص والطقوس ٠٠ واذا اردت أن تعرف ذلك جيدا فلتشهد فرق الفنون الشعبية ففيها التجسيد الكامل لكل ذلك ٠

العام الثالث للسلام

ولقد أتيح لى فى ملكان عاصمة مديرية أعالى النيل وفى غيرها من مدن وقرى المديرية أن أشهد بدء العام الثالث فى مسيرة الوحدة الوطنية فى ربوع الجنوب .. عامان توقف نزيف الدم فى صدق .. فى كل مكان استطاع أن يتوقف نزيف الدم بعد السنوات القاسية ويتحول الى أمل اخضر يزرع الارض ثقة فى الحاضر وفى المستقبل .. لقد كانت اتفاقية السلام تحديا يواجه الشعب السودانى كله على امتداد الوطن ٠٠ مسئولية الجنوب فيها لاتقل عن مسئولية الشمال ٠٠ كانت عزما يستوجب طاقات الشعب كله وقدرات الوطن كلها ٠٠ كانت أملا يتطلب تحقيقه عملا صادقا ٠

لقد ظل العالم يرقب تجربة السودان فى اعادة السلام الى أرض عاشت سنوات طويلة لاتسمع عن السلام الا كلمات يرددها الساسة فى الخرطوم

ورقة للكسب والاستهلاك المحلى ووعدا لا يلبس أن يلهيهم عنه بريق السلطة والجاه .. وقف العالم يرقب العمل والعرق فى الجنوب .. يشهد مئات الالوف من العائدين يحملون الامل فى حياة مستقرة هانئة .. تابع العالم جهدا متواصلا فى التدريب والتأهيل اثمر فى أشهر معدودة قوات قادرة ومؤهلة تنضم الى صفوف قوات الشعب شريكة مصير وهدف وأمل .. شهد العالم عـــداوة السلاح تصبح رفقة للسلاح شهد أبناء القوات المستوعبة وهم يقســمون أمام رئيس الجمهورية لحماية ثورة الشعب والدفاع عنها بالروح والدم .. وحماية وحدة الوطن والتراب بالعزم والعمل والحزم .. ولقد تابع العالم كله أيضا جهد العمل الصادق أستقبالا لمجموع العائدين الى الوطن تزداد أعدادهم وتتدفق أمام امكانيات يفيض على حجمهم وتقر عن الابناء بكل الالزام نحوهم فيحولها العزم والاصرار والعون العالى الى انجاز ضخم واستقرار وعيشــة كريمة لجميع الاخوة العائدين الى ارض وطنهم بعد غربة مفروضــة أمتدت الى عشات السنين .

ولقد بهرتنى مشاريع الانماء العديدة والخضرة التى بدات تكســو فى الجنوب بعد حرب وجفاف .. ومشروعــات العمل الصــناعى والزراعى ومخططات البناء والتعمير تقف على الارض وتصبح حقيقية .. والطرق البرية والجسور المهدمة تقف مرة اخرى شاهدا على حياة جديدة وتاريخ جديد .. وفوق هذا كله رايت جسور الثقة تمتد مرة اخرى بين الشمال والجنوب .

من الاتفاق الى الاستيعاب الى الانصهار

ولكن السؤال الكبير هنا :

كيف أمكّن نجاح تجربة الاستيعاب فى أشهر قليلة بحيث اصــبحت القوات المستوعبة جزء لا ينفصل عن قوات الشعب المسلحة ؟

سؤال وجهته للعقيد محمد محجوب سليمان مدير التوجيــه المعنوى بالجيش السودانى .. قال : كان احلال السلام فى ربوع الجنوب نقطة البداية الرئيسية لتحقيق الوحدة الوطنية .. ولم يكن الطـريق سهلا ، ولـكن عن طريق العمل الدائب والمتصل والجهد الصبور أمكن ان ينتظم الجنوب حتى تصبح الاتفاقية حقيقــة وواقعا ، وحتى تثبت رايات الوفاق .. وعن طريق الايمان بضرورة تحد كل مايمكن أن يكون عقبة اندفعت قوات الشعب المسلحة فى جنوب الوطن لتجعل المحال حقيقة ولتصنع من الصعب واقعا معاشا ..

انتشر جهد القوات المسلحة ليغطى كل شــبر من ارض الجنوب عرقا غزيرا ، وجهدا صبورا ، فمسئولياتها جسام ، وحساسية ماهو مطلوب منها يضعها فى مواجهة وتحدى ، لتكون كما يجب أن تكون ، حافظة للسلام واعية له ، حريصة على الوحدة ، ومستميتة على انجاز الوفاق ..

وكان الرئيس القائد جعفر نميري على رأس قوات الشعب المسلحة فى كل موقع من مواقع العمل بالجنوب، تذكير للاخوة من رفاق السلاح بالواجب والمهام ومشيرا الى ان تحقيق السلام وسيادة روح الوفاق ، رهنا بانجاز أفراد قوات الشعب المسلحة وبذلهم بقدرتهم على الاندفاع والسيطرة بامتثالهم لارادة الشعب فى زرع الجنوب الاخضر بخضرة السلام والوئام . مسئوليات جسيمة .

كانت امام قوات الشعب المسلحة مسئوليات جسام .. أولها وأهمها ان افراد جدد قد انتظموا فى صفوفها .. وعلى أفراد قوات الشعب واجبات نحوهم ، أيوائهم وتدريبهم ، ثم بعد ذلك وفوق الانصهار معهم فى وحدة واحدة تجسد بحق معنى الوحدة التى تحققت فى الجنوب .. زيارات متصلة لمواقع العائدين .

ولقد كانت القيادة الجنوبية على وعى بدورها وخطورة ماهو منوط بها . اندفع القادة والضباط منذ الايام الاولى للاتفاقية فى زيارات متعددة لوحدات القوات العائدة فى مواقعها . شرحا للاتفاقية وتنويرا للاخوة العائدين بموقعهم الجديد . وبمكانهم بين صفوف قوات الشعب أخوة ورفقاء سلاح ، تواصلت زيارات القادة الى معسكرات القوات العائدة على مدى الايام والاسابيع عملا متصلا وبذلا لا ينقطع فى كل موقع .

لجان وقف اطلاق النار

ثم تكونت مع أيام الاتفاقية الاولى لجان وقف اطلاق النار لتعمل على الاشراف على عملية استتباب الامن والسلام . ولقد كان من المسعد حقا ان اللجنة لم تجد مخرجا للاتفاقية وهى بذلك الى الاشتراك فى عمليات الاستقبال للعائدين وأعاشتهم وتوطينهم وتقديم الخدمات اللازمة .

لجان الاستيعاب :

وقال العقيد محمد محجوب سليمان مكملاً :

ثم جاء بعد ذلك الدور الكبير فى عمليات استيعاب القوات العائدة بدءا بالاختيار ثم بالكشف والتدريب .

ولقد ظلت لجان (التدريب) الاستيعاب تعمل لاسابيع وأشهر متواصلة ليلا ونهارا وهى تبذل كل جهدها وعرقها من أجل استكمال أهم بند من بنود الاتفاقية .

وانتظمت جميع مديريات الجنوب موجة من العمل الجاد والمتواصل ، فرزا للعائدين واللائقين للعمل بقوات الشعب المسلحة ، ثم أختيار مجموعة أخرى للعمل بمرافق الدولة المختلفة حسب الامكانيات والقدرات . وهكذا فى

ظرف شهر واحد كانت صفوف من قوات العائدين تقف أمام مراكز الاستيعاب ليتم الكشف الاول لهم ، وفى أسابيع قليلة كانت معسكرات التدريب قد امتلأت بافواج القوات المستوعبة .. ومن ثم كان الجهد المكثف والمضنى ، على امتداد الجنوب ، وفى كل مراكزه .

فى واو ، وفى بسرى ، وفى اويل وراجا ، وفى كل موقع من مواقع التدريب فى المديريات الجنوبية كان الاخوة ضباط قوات الشعب المسلحة ومعهم المعلمون من ضباط الصف والجنود يبذلون الجهد المضنى والمتواصل . سباقا للزمن والوقت ، تحقيقا للهدف من أجل تدريب المستوعبين بما يواكب احتياجات قوات الشعب المسلحة ومتطلباتها وظلت معسكرات تدريب القوات المستوعبة فى كل أنحاء الجنوب تعمل فى داب متواصل وفى صمت وظل الاخوة المستوعبون يتقبلون بصبر وأناة كل التمارين الشاقة والتدريبات العنيفة التى تؤهلهم ليصبحوا أفراد عاملين فى قوات الشعب بكفاءة وقدرة تجعلهم مفخرة فى قوات الشعب المسلحة .

وكانت مديرية بحر الغزال هى أولى المديريات التى تم فيها اكتمال استيعاب قوات الأنيانيا السابقة ، ومن هنا فقد كان تخريج الدفعة الاولى من المستوعبين فى مديرية بحر الغزال وقد شهدت مدينة واو اسعد أيامها يوم احتفلت بتخريج أول دفعة من القوات المستوعبة .

وشهد الرئيس القائد هذه المناسبة ، كمناسبة تاريخية حققت بها قوات الشعب المسلحة بندا من أهم البنود الاتفاقية واكبرها ، حيث أن استيعاب القوات العائدة كان يعد بحق هو أكبر بنود الاتفاقية أهمية .

وهكذا استطاعت قوات الشعب المسلحة ممثلة فى حامية واو أن تثبت أولى دعائم الاتفاقية ولقد كان مستوى البذل والجهد الذى أعطى فى التدريب قد انعكس فى مستوى الانضباط العسكرى ومستوى التدريب والكفاءة والتى شهدها جميع الحاضرين لحفل التخريج الذى أقيم ذلك اليوم فى معسكر بسرى بواو .

قوات الشعب المسلحة ، قد أوفت بكل مايتعلق بها حفاظا للسلام وتثبيتا لدعائمه واستيعاب للاخوة تأهيلا وتدريبا لهم .

كل ذلك على طريق الانصهار الكامل بين قوات الشعب المسلحة كقوة قومية ، هدفها وحدة السودان . قدرها ومصيرها السلام فى ربوع الوطن وجنوبه ، غايتها السبعة عشر عاما ، خضرة وسلاما ورخاء .

مناقشات فى ملكال

عاصمة مديرية اعالى النيل

هناك عدة حقائق خرجت بها من زيارتى لمديرية اعالى النيل .. أبرز

هذه الحقائق .. حقيقة اكدت ايمانى بأن مصر والسودان قلب واحد لن تستطيع اية يد أن تفرق بينهما — مهما دست من وشايات واكاذيب .

حقيقة اخرى تأكدت لى وهى زيف الادعاء الذى حرصت الدوائر الاستعمارية على ترديده طويلا .. وهو الادعاء بأن شمال السودان عربى وان الجنوب افريقى وانه نتيجة لذلك فثمة مايبرر انفصال الجنوب عن الشمال .. لقد رأيت فى ملكال كيف تمتزج العربية والافريقية امتزاجا تاما بحيث يستحيل التمييز بينهما حتى من الناحية النظرية ، وعندما نقلت هذه الملاحظة للصديق بترجات كوت محافظ المديرية اجابنى قائلا :

نحن سعداء حقا بسماع هذه الملاحظات .. ان الجميع يشعرون هنا بأنهم عرب وافريقيون فى وقت واحد وبدرجة متساوية ودون أن يثير ذلك فى نفوسهم اى تناقض أو تردد .. نفس المعنى اكده لى السيد ابيل الير نائب رئيس الجمهورية ورئيس المجلس التنفيذى عندما قال : ان الاختلافات الثقافية والعنصرية الموجودة فى جميع انحاء السودان بلا استثناء أمر واضح لا يحتاج لاقامة دليل ولكن وجود تلك الاختلافات الطبيعية لم يكن ليفرض على السودان المستقل وجود خلافات سياسية خطيرة كالخلاف الذى حدث لولا السياسة التى اتبعتها الادارة البريطانية لنصف قرن من الزمان ولولا ضيق أفق بعض الحكام الحزبيون فى الشمال والجنوب معا قبل ثورة ٢٥ مايو .

الموقع

وقبل ان اعرض للمناقشات الطويلة التى دارت فى ملكال عاصمة مديرية أعالى النيل أقدم لكم أولا المديرية .. انها تقع فى الجزء الشمالى من جنوب السودان ، تحدها فى الشرق مرتفعات هضبة اثيوبية وفى الجنوب المديرية الاستوائية وفى الشمال والشمال الغربى مديريتا النيل الازرق وكردفان وفى الغرب مديرية بحر الغزال . وتنحصر رقعة مديرية أعالى النيل بين خطى عرض ٦ ، ١٢ درجة من ناحيتى الشمال والجنوب . أما من ناحية الشرق فتمتد من الحدود الاثيوبية عن خط طول ٣٥ حتى خط طول ٢٨٫٥ درجة .

ومعنى ذلك أن المديرية تمتاز بكثير من مشاكل الحدود التقليدية عند القبائل حيث تمتد حدودها الدولية والداخلية فتؤثر بذلك تأثيرا مباشرا على العلاقات القبلية فى نواحى الزراعة والصيد والمرعى .

ومساحة مديرية أعالى النيل ٢٣٦٫١٨٠ كيلومترا مربعا تقريبا ومن ناحية جغرافية هى عبارة عن مساحة طينية منخفضة ومنبسطة تحفها تلال صغيرة متفرقة . ولعل أبرز ما يميز الجزء الذى يقع جنوبى « ملكال » العاصمة هو وجود المستنقعات الواسعة وبها توجد منطقة السدود المشهورة

التي تتسبب في ضياع كميات هائلة من مياه النيل عن طريق التبخر والتسرب والذى يأمل الخبراء فى تفاديه عن طريق شق قناة جونقلى . ونظـــرا لان المديرية تقع فى منطقة السدود فان المياه والحشائش تغطى جـــزءا كبيرا من مساحتها كما أن المصرف الطبيعى للمستنقعات التى تملأ جنوب المديرية هو بالطبع مجرى النيل الابيض الذى تصب فيه عدة فروع وانهر أهمها السوباط وبحر الزراف وبحر الغزال كما توجد عدد من البحيرات والبرك الكبـــيرة فى هذه المنطقة اهمها بحيرة نو وبحيرة نيونق .

يدخل بحر ـ الجبل مديرية أعالى النيـــل من الناحية الجنوبية من المديرية الاستوائية وهنا يقل انحدار الارض فتنخفض سرعة جريان النهـــر ويصل انخفاض سرعته الى درجة كبيرة فينتشر ويتوه فى أراضيها الواسعة المسطحة وتتكون بذلك منطقة السدود التى تغطيها المياه معظم أيام الســـنة وتشمل هذه المنطقة مراكز بور وفنجاك وجزءا من مركز بنتيو بالمديرية .. يتفرع نهر الجبل شمال جونقلى الى فرعين يسمى الشرقى منها بحر الزراف وتقع بينهما جزيرة الزراف ثم يلتقيان مرة أخرى شرقى قرية تونجة .

ويلتقى نهر السوباط بنهر الجبل جنوب مدينة ملكال بحوالى سبعة عشر ميلا ويشق نهر السوباط المديرية من الشرق الى الغرب حيث ينحـــدر من المرتفعات الاثيوبية . ونهر السوباط يتكون من ثلاثة أفرع هى أكوبر ونهـــر البيبور ونهر بارو فى الشمال . عند دخول هذه الانهار الى المديرية من أثيوبيا ونتيجة لسطح المديرية المستوى ، تقل سرعة هذه الانهار وتتم بذلك عمليـــة ترسيب كبيرة للطمى فى المناطق التى تمر عليها هذه الانهر . وعند مدينـــة ملكال تسير كل هذه الفروع شمالا مكونة نهر النيل الابيض ويسير أيضـــــا فى أراضى طينية مسطحة حتى حدود مدرية النيل الازرق شمال مركز الرنك بمديرية أعالى النيل .

الارض والتربة : (١)

يتكون الجزء الاكبر من مديرية أعالى النيل من أرض السافانا بحشائشها الطويلة وأشجارها القليلة المتفرقة وغاباتها الصغيرة وكل أراضيها مسطحة وطينية .. ماعدا فى بعض الاماكن المتاخمة للمديرية الاستوائية فى مركز بورو الاراضى الاثيوبية فى مركزى الناصر واكوبر حيث تغطى الارض بعض الغابات ذات الطبيعة الاستوائية هنالك أيضا منطقة جبلية فى الجزء الجنوبى الغربى من المديرية حيث تقع هضبة بوما ذات المناخ الفريد .

واستواء سطح أراضى هذه المديرية يتضح من ملكال شمالا حيث يبلغ

---

(١) راجع كتاب مديرية أعالى النيل .. صدر عن وزارة الثقـــــافة والاعلام السودانية عام ١٩٧٤ .

الانحدار سنتيمتر واحد فى الكيلو متر الواحد ويبلغ انحدار الارض من بور الى الخرطوم وهى مسافة ٨٠٠ ميل يبلغ ١٣٥ قدما فقط ويتأثر الغطاء النباتى بكمية الامطار ونوعية التربة فيتدرج هذا الغطاء من الجنوب الى حشائش قصيرة موسمية فى الشمال ومن كثافة متوسطة شجرية فى الجنوب الى كثافة حشائشية خفيفة فى الشمال ويستثنى من هذا منطقة السودو حيث تغمرها المياه وتنعدم فيها اسباب الحياة للنبات .

وتمتاز التربة فى هذه المديرية بخصوبة عالية وتقل الخصوبة نسبيا وتدريجيا نحو الجنوب الغربى .. اما تربة منطقة السدود فرغم أنها طينية خصبة الا انها تأثرت كثيرا بالزراعة عاما بعد عامحيث قلل ذلك من درجة خصوبتها وذلك لتكرار الزراعة فى الاراضى القليلة العالية التى لم تغمرها المياه .. وتبلغ منطقة الفيضانات هذه حوالى ٢٠٫٠٠٠ كيلومتر تغمرها المياه لارتفاع قدم واحد فى المتوسط لعدة أشهر فى السنة وعليه يمكن الاستفادة منها فى زراعة الارز وتربية الاسماك حيث تنفرد هذه المنطقة بوفرة فى الثروة السمكية لوفرة المياه والغذاء للاسماك .

وعموما فان المديرية تمتد فى اراضى مسطحة سوداء مع بعض المرتفعات الصغيرة المتفرقة والتى لايزيد ارتفاعها ٥٠ متر وتتكون المديرية جيولوجيا من الطبقة المعروفة باسم « تكوينات أم روابة » وهى طبقة تختلط فيها الرمال مع التربة الطينية ، ولكن هذه الطبقة لا تظهر على سطح الارض .

منطقة السدود :

تحتل منطقة السدود جزءا كبيرا من هذه المديرية وهى منطقة مسطحة تنتشر فيها مياه النيل وتتفرع بحيث يتعذر على المشاهد تمييزا أو معرفة مجرى النهر الاصلى وهى منطقة فيها التبخر بنسبة لكبر حجم سطح المياه وركودها . وتشق فروع النهر طريقها وسط حشائش البردى الكثيفة التى تمتد الى عدة أميال فى كلا ضفتى النهر ويقدر فاقد المياه فى هذه المنطقة بنصف الكمية .

يمكن تقسيم منطقة السدود بأعالى النيل الى ثلاثة اقسام رئيسية تشمل جزءا كبيرا من المديرية :

(أ) منطقة الحجر الحديدى :

ان التركيب الجيولوجى لهذه المنطقة يؤثر على سطحها وطبيعة النبات فيها . فالتربة متموجة ومسامية وذراتها أخف من ذرات تربة منطقة الفيضانات وهى منطقة ذات تصريف سهل وتشمل هذه المنطقة جزءا صغيرا من جنوب المديرية .

(ب) منطقة الفيضانات :

يقع الجزء الرئيسي من منطقة جونقلي في هذه المنطقة وانحدار الارض هنا بسيط للغاية حيث يبلغ حوالى عشرة سنتيمترات للكيو متر الواحد والتربة هنا غير مسامية والامطار مابين ٦٠٠ الى ٩٠٠ مليمتر في العام • وقد أدت هذه العوامل مع عدم تحمل قنوات النهر للميـاه الى حفـظ المياه وتعريض المنطقة للفيضانات أثناء موسم الامطار • ولكن توجد بالمنطقة بعض الجزر أو المناطق المرتفعة التى يلجأ اليها السكان بماشيتهم فى زمن الخريف وحتى هـذه الجزر تغمرها المياه في بعض المواسم المطرية فيؤدى ذلك الى تشـرد السـكان وهلاك الماشية • أما النباتات الطبيعية فى هذه المنطقة فهى حشائش السافنا الطويلة وغابات الهشاب المدارية وعموما نجـد أن جـزءا كبيرا من هـذه المنطقة تغمره الميـــــاه •

(ج) المنطقة الجافة :

ومتوسط الامطار فى هذه المنطقة أقل من ٦٤٠ مليمترا والتربة الرملية والطينية أحسن تصريفا من منطقـة الفيضـانات وأما نباتاتهـا فهى النباتات المدارية والحشائش الطويلة والقصيرة •

أعشـاب النيل :

تكسو مجرى نهر النيل على امتداد المديرية أعشـاب النيل وهى أصـلا من نباتات أمريكا الجنوبية وأول ماظهرت فى عام ١٩٥٨ بعد عامين من الاستقلال عند مدينة بور وتقوم وزارة الزراعة ــ قسم مكافحة أعشاب النيل ــ بجهود كبيرة لابادتها والطريقة المتبعة حاليا هى رش هذه الاعشــــاب بالطائرات والرفاصات ثم سحبها للشاطىء وحرقها وتتركز أضرار هذه الأعشاب بالنسبة للمديرية فى الآتى : ــ

١ – اعاقة الملاحة النهرية •

٢ – زيادة فاقد المياه •

٣ ــ فقدان الثروة السـمكية بسبب حرمان الاسـمـاك من الضـــوء والأوكسيجين •

٤ - توالد الحيونات الضارة •

٥ - قفل مداخل المشاريع •

والمشكلة الرئيسية فى مكافحة اعشـــــاب النيل أن بذورها تعيش تسـبع سـنوات دون ان تموت ولذلك فانهـا تتوالد وتتزايد بسرعة مذهـلة ٠

والسد كلمة تطلق على نباتات تطفو فى الماء وتنبت فيها وتسبب عائقا لحركة الملاحة ونباتات هذه السدود تنقسم الى ثلاثة أنواع تبلغ جذوره الارض وغالبا مايكون من البردى والعنسج ٠ ونوع لاتبلغ جذوره الارض بل تبقى منتشرة فى الماء ونوع ثالث يطفو كله على وجه الماء ٠ والسدالحقيقى مكون من الانواع الثلاثة والنوع الاول يقتله الماء اذا عـلا الماء عليه فيتكـون ويجرى به الماء الى أن يلتقى بكوم آخر أو يقف فى منعطف النهر فيقف وتصـل اليـه النباتات من النوع الثانى والثالث فتندمج الانواع كلها ويتكون منها سد متين يعترض النيل من الشاطىء الى الشاطىء الآخر ويزداد طولا بوصـول نباتات جديدة اليه حتى يصير طوله عدة اميال وهو فى كل مرة يقـوى ويزداد متانة لدرجة يستطيع منها الانسان العبور اليه وقد يبلغ سمكه نصف متر أو متر أو أكثر وتعلو نباتاته من خمسة الى ثلاثين قدما ويعرقل بسير السفن وهذه السدود لاتتكون من مصب نهر سوباط وشماله لان هذا النهر سريع الجـرى جدا ويندفع ماؤه بقوة فى النيل الابيض ويصد السدود الآتية من الجنـــوب الى يساره ٠

مشروع قناة جونقلى :

نتيجة لأبحاث ودراسات فريق عرف باسم فـريق جونقلى قدم اقتراح نتيجة لدراسات هذا الفريق فى عام ١٩٣٢ شق قناة تسمى قناة جونقلى تبدأ من جونقلى شمال مدينة بور وتنتهى جنوبى ملكال وذلك لتمر المياه التى تتوه فى المستنقعات عبرها الى النيل الابيض كما اقترح الفريق أيضا تجسير بحر الجبل على طول ضفتيه ٠ وتتولى دراسة هذا المشروع والقيام بتنفيذه مستقبلا الهيئة الفنية المشتركة لمياه النيل لجمهوريتى السودان الديمقراطية وجمهورية مصر العربية ٠٠ ويشتمل هذا المشروع الضخم على الاعمال الرئيسية الآتية :

١ ـــ انشاء قناطر على بحر الجبل ونهر الالم وانشـــاء قناطر الفم وقناطر مصب لقناة جونقلى المقترحة ٠

٢ ـ انشاء قناة جونقلى بقطاع جزئى لتمرير تصرف قدره ٢٠ مليـون متر مكعب فى اليوم لتوصيله الى النيل الابيض قرب مصـب السـوباط فواقد معقولة ولرى الاراضى المقرر استصلاحها على طول القناة عـلى أن تمر المياه الباقية فى مجرى الجبل ولزراف ٠

ومن المقرر أن يستغرق المشروع فى مرحلته الاولى خمسة سنوات ويكفل فرص العمل لخمسة آلاف شخص فى اليوم الواحد بالاضـافة الى الانتعـاش

الاقتصادى الذى يصحب تنفيذه كما انه سيجلب رخاء عظيما على المنطقة بعد التنفيذ ويتيح لجمهورية السودان الديمقراطية استغلال نصيبها من المياه وهو نصف العائد من المشروع ويقدر بـ (١٧٥٠) مليون متر مكعب ألف وسبعمائة وخمسين مليون متر مكعب سنويا تكفى لاستصلاح واستزراع أراضى جديدة قد تصل الى مليون فدان مايساعد على الازدهار الاقتصادى للبلاد ونقل المنطقة التى تمر بها القناة من طور البداوة والترحال الى طور الاستقرار والزراعة ٠

المناخ والامطار والفصول :

تتمتع مديرية أعالى النيل بطقس متشابه فى أغلب أجزائها مع اختلافات بسيطة فى كميات الامطار ففى منطقة بور جنوبى المديرية يبدأ موسم الامطار مبكرا فى شهر ابريل والطقس هنا اكثر برودة أما فى الاجزاء الشمالية من المديرية مثل منطقة الرنك فان الامطار تبدأ عادة فى شهر يونيو وتميل درجة الحرارة الى الارتفاع ٠ اما بقية أجزاء المديرية فان موسم الامطار بشكل عام يبدأ فى شهر مايو وينتهى فى أوائل شهر نوفمبر عندما تخف حدة الرياح الجنوبية الغربية وتهب الرياح الشمالية الجافة ٠ ومتوسط هطول الامطار هو ٢ر٧ بوصة فى السنة وأعلى درجة للحرارة ٥ر٩٣ درجة فهو نهايته وأدناه ٨ر٧٠ درجة فهرنهايت ٠

بعد انحدار بحر الجبل من الهضبة الاستوائية جريان النهر مسافة أربعمائة ميلا ويعبر فيها أرضا بسطة ثم يلتقى بحر الغزال فى بحيرة نو ٠ وابتداء من بور جنوبى المديرية وحتى الخرطوم وهى مسافة تبلغ أكثر من ٨٠٠ ميل درجة انحدار حوض النيل تبلغ ١٣٥ قدما فقط ٠ وتغطى النصف الاول من هذه المسافة من النيل مستنقعات واسعة تكسو أعشاب البوصى والبردى ٠ وتعرف هذه المنطقة بمنطقة السدود وهى مستنقعات تصعب فيها الملاحة وفى هذه المنطقة يفقد نهر النيل نصف محصوله المائى بسبب التبخير، وتجرى الدراسات بين حكومتى السودان ومصر لشق قناة يسمى قنال جونقلى يبدأ من جونقلى حتى جنوبى ملكال ويمكن عن طريق تقليل فاقد المياه وتوفير كميات ضخمة منها لاغراض الرى فى البلدين كما ستكون هذه المنطقة منطقة رعوية ممتازة بعد اختفاء المستنقعات منها ٠

أما بحر الغزال فهو اكثر فروع النيل التى تضيع مياهه فى المستنقعات بسبب التبخير وفى الحقيقة تصل منه كمية قليلة جدا من المياه الى النيل الرئيسى بسبب السدود والمستنقعات ٠

عند خروج بحر الجبل أو بحر الرجاف من الهضبة الاستوائية وبعد مسافة ٤٧٠ ميلا يتفرع منه بحر الزراف ويسير البحران شمالا منفرجين الى أن يبلغا خطا عرض ٩ ويكون الرجاف على نحو ٢٠٠ ميل من نقطة انفراج

الزراف عنه . عندها يلتقى بحر الجبل أو الرجاف ببحر الغزال وهو بحر كبير آت من الجنوب الغربى ويتالف من عدة أبحر أشهرها وأهمها بحر العرب ثم يسير النيل شرقا ٤٥ ميلا فيقترن ببحر الزراف ويسير ٢٥ ميلا أخرى فيقترن بنهر سوباط الآتى من الجنوب الشرقى من الهضبة الاثيوبية . ثم تجرى النيل الابيض شمالا مسافة ٥٠٠ ميل ونيف من مصب نهر سوباط و١٥٣٠ ميلا أو حوالها من مخرجه الاول من بحيرة فكتوزيا فليتقى بالنيل الازرق عند مدينة الخرطوم .

أما نهر سوباط فهو يؤثر كثيرا على درجة ارتفاع وانخفاض النيل الابيض وهو يعتمد على أمطار الصيف الموسمية فى اثيوبيا . ونهر السوباط يخترق سهولا واسعة فى مراحله الاولى والوسطى حيث يلتقى بالنيل الازرق عند مدينة الخرطوم بفرعيه الكبين نهر البيبو ونهر بارو .

المجلس التنفيذى الشعبى

ساعدتنى المعلومات الوفيرة التى قدمها لى ابيل الير نائب رئيس جمهورية السودان على تكوين فكرة واضحة عن مديرية أعالى النيل قبل أن أصل اليها .

ولقد تلقيت من الصديق بيترجات كوت محافظ المديرية اكثر من دعوة لزيارة معظم المناطق الادارية هناك مثل الرنك وكدوك وبنتيو وفنجاك وبور والبيبور واكوبو والناصر وسوباط وكان الرجل كريما معى عندما أصر على أن أحضر اجتماعات المجلس الريفى الشعبى فى كل منطقة من هذه المناطق لأستمع اليهم وأناقشهم فى كل قضاياهم وكانت لفتة كريمة من الأعضاء عندما أصروا على أن يتحدثوا معى باللغة العربية تكريما لشقيق من مصر التى يكنون لها محبة خاصة .

وهناك سألت أولا عن المجلس الشعبى وتكوينه واختصاصه ؟

وقيل لى أن مجلس الوزراء هو الذى ينشىء المجلس الشعبى التنفيذى ويخول له الصلاحيات اللازمة لادارة المرافق العامة فى المديرية .. بالطبع ماعدا تلك التى تتعلق بالقوات المسلحة والامن القومى والمواصلات والقضاء وأية مرافق أخرى تستثنى فى أمر التأسيس وفقا لما جاء فى قانون الحكم الشعبى المحلى لسنة ١٩٧١ .

وقيل لى أيضا أن مجلس تنفيذى شعبى مديرية أعالى النيل يتبع اداريا للمجلس التنفذى العالى للاقليم الجنوبى وفقا لقانون الحكم الذاتى الاقليمى للاقليم الجنوبى لعام ١٩٧٢ . وأما محافظ المديرية فيتم تعيينه بواسطة رئيس الجمهورية بدرجة نائب وزير ويختار من ذوى الكفاءة العالية والخبرة والمقدرة الادارية العالية وهو مسئول عن الادارة الحسنة فى المديرية وهو

الممثل الادارى والسياسى للدولة وللمجلس التنفيذى العالى للاقيم الجنـــوبى على مستوى المديرية ويحافظ على النظام الثورى الاشتراكى الذى أقامتـــه ثورة مايو وهو يرأس المجلس الشعبى والموظفين ومســــئول عن الأمن بالمديرية وهو فى نفس الوقت أمين عام الاتحاد الاشـــتراكى الســــودانى بالمديرية .

ومن الوحـدات الادارية بالمـديرية الادارة الاهلية وهى لم تتأثر بقـرار التصفية الذى أعلنته ونفذته ثورة الخـــامس والعشرين من مايو والذى استثنى المديريات الجنوبية الثلاث لظروفها القبلية . ويتـولى أمر الادارة الأهلية فى المديرية السلاطين ووكلاؤهم والعمد والمشايخ . ويختلف وضعهم من مركز الى آخر . وفى بعض المراكز يجمع هؤلاء السلاطين والمشايخ بين السلطتين الادارية والقضائية وفى البعض الآخر ينحصر دورهم فى النـواحى القضـــائية أو الادارية .

المحـــاكم والقضـــــاء

ماذا عن الأمن والقضاء هنا ؟ أن طبيعة الوضع القبلى تتطلب أن يكون هذا الجهاز قويا ؟ ثم ما هى مصادر التشريع عندكم ؟

قال ازيونى موجها حديثه لأعضاء المجلس : اســـمحوا لى أن أتولى الاجابة على هـذا الســؤال . فهو من اختصاصى .

وعندما التفت ناحيته للاستماع قال لى أحدهم مبتســـما : انه قاض والقضاه يميلون عادة الى الحديث الطويل .. انه عملهم الوحيد .

وابتسم أزبونى لهذه المداعبة ثم قال :

القضاء فى المديرية يشرف عليه قاض مديرية مقره ملكال كما يوجـد بمدينة ملكال قاضى مقيم وقاضى جزئى للقضائين الجنائى والمدنى كما تصدق بتعيين قاضى مقيم بكل من الرنك وبور . أما فى بقية المـراكز فان رئيس القضاء فى الوقت الحاضر يعين مفتش الحكومة المحلية قاضيا مقيما لدائرة مركزه وضابط المجلس قاضيا من الدرجة الثانية وذلك حتى يعم نظام القضاة فى جميع المراكز . كما توجد بملكال محكمة شــعبية مكونة من اثنى عشر عضوا تنظر فى القضايا المدنية والجنائية البســـيطة .

وقال : وتوجد دائرة للأحوال الشخصية للمسلمين ومن المقرر افتتاح دائرة أخرى فى شمال المديرية فى مدينة الكرنك .

ويحكم القضاء الاهلى على حسب العرف والتقاليد القبليـــة ويتكون من أعضاء المحاكم الإهلية من السلاطين والعمد والمشـــايخ من رجال الادارة

الأهلية . والمحاكم الاهلية تنقسم الى محاكم رئيسية ومحاكم فرعية ويرأس الرئيسية السلاطين بينما يراس الفرعية العمد . ويبلغ مجموع محـــاكم السلاطين والعمد بالمديرية ١٢٢ محكمة .

الســـــكان والقبـــائل

سألت عن عدد السكان فى مديرية أعالى النيل واشهر قبائل المديرية وعـــدد كل قبيلة ؟

قال لى أحدهم واسمه باتريس :

يبلغ تعداد سكان مديرية أعالى النيل حسب تقـديرات ١٩٧٣/٧٢ ١٫٣٨٠٫٠٠٠ نسمة بنسبة ٥٫٧ شخصا لكل كيلومتر مربع . وقبيلة النوير هى أكبر قبائل المديرية من الناحية العددية حيث يبلغ تعـــدادها أكثر من ٧٢٠٫٠٠٠ نسمة ويحتلون اكبر مساحة فى المديرية تنتشر فى أربعة مراكـز هى الناصر واكوبو وفنجاك وبنيتو . تليهم فى العدد قبيلة الدينكا حيث يبلغ تعدادهم ٢٧٫٠٠٠ نسمة تليهم قبيلة الشلك حيث يبلغ تعـدادها حـوالى ١٩٠٫٠٠٠ نسمة ثم قبيلة المورلى ويبلغ تعدادها حوالى ٦٢٫٠٠٠ نســمة فقبيلة البرون ويبلغ تعدادها حوالى ٦٣٫٠٠٠ نسمة ثم قبيلة الأنواك ويبلغ تعدادها داخل السودان حوالى ٩٫٠٠٠ نسمة وتوجد قبائل أخرى متنوعـة تســكن المديرية يبلغ تعدادها حوالى ٥٢٫٠٠٠ نسمة .

تسكن قبيلة النوير فى أربعة مراكز بالمديرية هى مراكز بنيتو وفنجـاك والناصر وأكوبو وتشكل القبيلة الغالبية الساحقة فى هذه المراكز بينمـــا تشكل قبيلة الدينا كل سكان مركز بور ماعدا اقلية بسيطة من الأقليـات من القبائل الأخرى كما يشكل الدينكا غالبية سكان مركز الرنك وسوباط ويكاد الشلك يشكلون كل سكان مركز كدوك ماعدا بضعة آلاف من القبائل الأخرى كما يشكلون غالبية سكان منطقة ملكال . ويمثل المورلى الغالبيـة الساحقة من سكان مركز البيبور ماعدا اقلية بســـيطة من قبيلة الأنواك والقبائل الأخرى ويتوزع أفراد قبيلة الانواك السودانيين فى مركــزى أكوبو والبيبـــور .

علاقات القبـــائل الرئيســـية

سألت عن نوعية العلاقات بين القبائل هناك وعرفت أن بعض قبـــائل المديرية تقيم فى كل من السودان وأثيوبيا . مثلا قبيلة النوير أكثرها تقيم بالسودان وقليل من افرادها يقيمون فى أثيوبيا وبعضهم يتجول بين السودان وأثيوبيا بمشيئتهم دون اهتمام أو اكتراث لمكان تواجدهم . كما أن اغلبيـة قبيلة الانواك تقيم بأثيوبيا وجزء غير قليل منهم يقيم بالسودان . وقد خلق هذا التقسيم فى اقامة أفراد القبيلة الواحدة وتعدد القبـــائل الكثير من

المشاكل والمنازعات القبليـــة والتي تروح ضـــحيتها الكثير من الأرواح والممتلكات . مثال لذلك مايحدث من وقت لآخر بين قبيلتي المورلي والدينكا في حدود مركزي بور والبيبو ومابين المورلي والنوير في مراكز بور وأكـويو والبيبور أو مايحدث بين قبيلتي الدينكا والنوير في جهات بنتيو وحـــدود مديرية بحر الغزال أو بين قبيلة نزه من النيل الأزرق ودينكا الرنك ومشاكل القبيلتين الأخيرتين تسببها الهجرة جنوبا من أجل المرعى ومع أن هـــذه القبائل تعتمد في معيشتها على الماشية فقد يظن البعض انها قبائل رحـل غير أن توفر المـاء والمرعى الجيد جعلهم يقيمون أساسا في أماكن ثابتـة متفرقة غالبا ماتكون بالقرب من شواطىء الأنهر . ويباشر أفراد هـذه القبائل بجانب الرعي الزراعة وصيد السمك .

ولكل قبيلة من هذه القبائل لغتها الخاصة وعاداتها وتقاليدهـــا التي تعتز بها . أن قبائل مديرية أعالي النيل الرئيسية وهي القبائل النيليـــة الشهيرة أبناء عمومة بعيدة نمت بينها الاختلافات بحكم تطور الزمن والنظام الاجتماعي والاقتصادي الا أن بينها كثير من أوجه الشبه . وحتى لهجـات بعض القبائل مفهومة لدى القبائل الأخرى . والقبائل الرئيسية المعنية هي كمـا ذكر من قبل النوير والدينكا والشلك وهناك قبائل أصغر هي المورلي والأنواك والبرون .

وهذه القبائل الرئيسية الثلاثة كما قيل لي تشبه بعضها من النواحي الثقافية والاجتماعية . فالنوير والدينكا يكونون معا فرعا من القبائل النيلية من ضمن مجموعة شرق افريقيا الثقافية . أما الفرع الآخر من القبـــائل النيلية والذي يمثل مجموعة متشابهة فهم الشلك والقبائل الأخـرى التي تتكلم لغة تشبه لغة الشــلك وهي اللاو والانواك وغيرهم . والدينكـــا والنوير يشبه بعضهم البعض الى حد كبير من الناحية الجسمانية وهنـالك شبه كبير أيضا في لغاتهم وعاداتهم مما يوحي بأن تاريخهم وأصلهم واحد . مثال آخر جماعة (الأتوت) من النوير — وهم يسكنون غرب النيل — يبـدو أنهم قد تشربوا بكثير من عادات الدينكا بينما فرع الجيكاني من أرض النوير يقال أنهم من أصل قبيلة الدينكا وعلى كل فالاتصالات الكثيرة والمســتمرة بين القبيلتين قد نتج عنها الكثير من التزاوج والتبادل الثقافي ويشعر أفراد القبيلتين في داخل أنفسهم أنهم من أصل واحد بل أن أسـاطير القبيلتين ترجع أصلها الى اب واحد حيث تقول أسطورة النوير أن والدهم كـان له أبناء أحدهما (مونيجانق) وهو دينكاوي والآخر (مونيتوير) وهو نوير اوي وكان الرجل يملك عجلا وبقرة وكان يحب ابنه النويراوي فأعطـــاه العجلة ، ولكن ابنه الآخر (موينجانق) غضب لذلك واستولى على العجـلة فشكاه ابنه الآخر (مونيتريو) النويراوي لأبيه ولكن أباه رجاه أن يتركهـا له وقال له (يابني انك ســتعيش حياتك كلها تتعقب تلك العجلة وتريد الاســتيلاء عليها) وذلك هو السبب كما يقـول رواه الأســطورة في أن النوير لا يزالون يغيرون على الدينكا وينهبون أبقارهم لاعتقادهم في دخيلـة أنفسهم انها أصلا أبقارهم ! أما الابن الدينكاوي فقد ذهب وسكن بعيـدا

عن أخيه الآخر بعد ما استولى على عجلته وبذلك تكونت القبيلتين ولكن ذلك يثبت على حسب رواية الأسطورة أن القبيلتين من أصل واحد .

فتش عن البقـــــرة

سألت عن طريق معيشة هذه القبائل والموارد التى تعتمد عليها .

● قال لى كابرال :

تعتمد قبائل المديرية الرئيسية فى معيشتها على رعى البقـــر والزراعة وصيد الأسماك . وهذه القبائل هى أساسا قبائل « ليو » الجنوبيـــة وهى النوير والدينكا والشلك والانواك . وتتفاوت أهمية كل من تربية الماشـــية والزراعة وصيد الاسماك تبعا لما تملك كل قبيلة من ماشية .

والماشية عند هذه القبائل لها قيمة اجتماعية أكثر منها اقتصادية حيث تعتمد سمعة الفرد ومكانته فى القبيلة على قدر مايمتلك من ماشية . كمـــا أنها تستخدم فى سداد المهور عند الزواج .. ويعلق النيليون أهمية كبرى على ماشيتهم وكل تفكيرهم وحياتهم تدور حولها وفى هذا يقول عالم الانثروبولوجيا الاجتماعية المشهور ايفانزبريتشارد :

« ان النوير رعاة بالفطرة .. والعمل الوحيد الذى يجلب السرور لهم هو العناية بالابقار .. فالابقار هى أعز مايملكون ، وانهم ليعرضون أنفسهم للمخاطر ، عى طيب خاطر ، لحمايتها أو لنهب ابقـــار جيرانهم ويدور أكثر نشاطهم حول الابقار ، حتى يكاد يحور لديهم المثل المشـــهور : « فتش عن المرأة » للقول « فتش عن البقرة » ، وهذه افضل نصيحة يمكن أن تقـــدم لمن يرغبون فى فهم سلوك النوير وعاداتهم وتقاليدهم) .

وقال : وهجرةهذه القبائل محدودة بسببالحشائش الطويلة والنهيرات المتعددة . فالاراضى التى تنمو فيها الحشائش تغمرها المياه لمدة طويلة فى السنة ولذلك فالنيليون من أهل الماشية يهاجرون سنويا من أحدى ضـــــفتى النيل الى الضفة الاخرى أو الى الاراضى العالية التى لا تغمرها مياه الفيضان وتتوفر فيها الحشائش . وتوجد فى تلك الاراضى العالية قرى دائمة ، تحوطها الاراضى اللازمة للزراعة ، فى موسم الامطار والاراضى اللازمة للرعى أيضا ويكثر الاهالى فى هذه القرى عادة من مايو الى أكتوبر أو اكثر قليلا فى الوقت التى تكو نفيه بقية الاراضى مغمورة بمياه الامطار أو الفيضان وتقل مخاطر الفيضان فى نهاية شهر أكتوبر وبداية شهر نوفمبر .

يبدأ النيليون الهجرة بماشيتهم تجاه الاراضى المنخفضـــة حين تتوفر الحشائش الصالحة للمرعى وربما قاموا باحراق تلك الحشائش لتنمو مكانها حشائش خضراء أجود للمرعى ويستعين رعاة الماشـــــية فى شربهم وشرب

بهائمهم بالخيران والمستنقعات ولكن عندما تبدأ الخيران والمستنقعات فى الجفاف يبدأ السكان الهجرة ببهائمهم تجاه نهر النيل الرئيسى .

وتتوافر المراعى أيضا على امتداد النهر وفى السهول وهى قد تكفى قطعان القبائل حتى بداية موسم الامطار .

وهجرات القبائل النيلية — النوير والشلك والدينكا — قصيرة اذ لا تهاجر القبيلة الا فى مدى مائة ميل أو أقل فى المنطقة الوسطى ، بل أن قبائل الشلك ودينكا الشمال تهاجر الى حدود أقل من ذلك بكثير على امتداد النيل الابيض والهجرة لا ترتبط باتجاه معين بقدر ما ترتبط بمورد المياه أو العشب وقبيلة الانواك على عكس اخوانهم قبائل الدينكا والنوير والشلك أقل اهتماما بالابقار ولذلك فانهم أكثر استخداما للماشية فى البيع والذبح ... والماشية عند هذه القبائل قليلة اللبن بسبب عدم توافر العناية العلمية والمرعى الصحى ويتراوح انتاج البقرة بين ثلاثة وأربعة أرطال يوميا وهم يحلبونها مرتين فى اليوم . والابقار لا تذبح للحمها الا نادرا ويكون ذلك خلال الاعياد والمواسم كل عام .

وأضاف : يبني النيليون قراهم على الاراضى العالية وهي تتكون من عدة قرى وتبنى كل أسرة عدة أكواخ ومعها حظيرة كبيرة للماشية تسمى « لواك » .

وعندما تنحسر مياه الفيضان يهاجر الفتيان المسئولون عن الرعى الى السهول الفيضية ويبنون مبانى مؤقتة من القش تقيهم رياح البرد . ثم يتبعهم الى السهول الفيضية الكهول والنساء والاطفال عندما يفرغون من جنى المحصول . ويبعد مصدر المياه عن القرى المستديمة فى منطقة بور حيث قبائل الدينكا جنوب المديرية . يهاجر الدينكا مسافة خمسين ميلا تقريبا مابين النيل وأطراف بور ، بينما تجد الشلك مثلا تقف مراعيهم فى أطراف ملكال شمالا بالقرب من النهر بل أن كثيرا من الشلك يتمكنون من قضاء جميع أيام السنة فى قراهم المستديمة ويتصلون يوميا بالذين يرعون الماشية . وتعتمد مساحة الاراضى العالية كل عام على درجة فيضان نهر الجبل وغزارة الامطار الموسمية . واذا تجاوز أحدهما المنسوب العادى تتعرض المنطقة بأسرها — سكانا وحيوانات ومزروعات — الى مخاطر الفيضان وقد تنفق الماشية أما بسبب الفيضان أو انعدام المرعى .

أما الزراعة فتأتى فى المرتبة الثانية من الاهمية بالنسبة لقبائل المديرية الرئيسية . والزراعة دائما ما تكون فى الاراضى العالية التى لا تغمرها الفيضانات ويزرع السكان أيضا فى بعض السهول الفيضية فى شمال ملكال وفى الجنوب الغربى مثل زراعة السلوكة فى شمال السودان .. كما توجد أراضى زراعة الحريق على ضفتى النيل الابيض شمال ملكال . والمحصول الرئيسى الذى يقوم السكان بزراعته هو الذرة الشامى وهم يزرعون دائما فى مزارع عائلية صغيرة تكفى لقوتهم الضرورى فقط .

وتعتبر الثروة السمكية ثروة رئيسية ضخمة بالنسبة للاقليم الجنــوبى عموما ولاعالى النيل بصفة خاصة وتكثر الاسماك بصفة رئيسية فى منطقة بحر الجبل ونهر السوباط والنيل الابيض . وتعتبر الاسماك بالنســـبة لقطاعات كبيرة من السكان المورد الرئيسى للنقد والغذاء . ويصطاد السمك بكميات تجارية جنوبى ملكال وعلى نهر السوباط ويشـــمل صيد الاسماك الانتاج الطازج والمجفف والذى يعرض للبيع فى القـــرى وفى ملكال ويصدر السمك المجفف الى الاقطار المجاورة مثل زائيرى .

قبائل مديرية أعالى النيل

تاريخها وطرق معيشتها (١)

اولا : قبيلة النوير :

وهى اكبر قبائل المديرية ويبلغ تعدادهم حوالى ٧٢٠ر٠٠٠ نسمة وهم يقطنون فى أربعة مراكز وهى شرق النوير فى الناصر وغرب النوير فى بنتيو ثم اللاو نوير فى اكوبو ووسط النوير فى الرجاف أو منطقة وادى الزراف وتقع أرضهم مابين خط عرض ٣٠ر٥٧ الى ٣٠ــ٥٩ شمالا . وتنقسم قبيلة النوير الى عدة فروع تكاد تكون قبائل قائمة بذاتها . ففى منطقة شرق النوير هنالك القاجاك والقاجوك والجيكانى اما اللاونوير فيسكنون منطقة ابونج . امـــا فى اكوبوفهنالك المورو القون وفى منطقة وادى الزراف يقطن اللاك قـــوار والثيانق أما منطقة غرب النوير فتقطنها قبائل الليبك والبول والجاقى والروك والدور والريانقيان .. وتنقسم كل من هذه الفروع الرئيسية الى افرع أصغر حسب المناطق التى يسكنونها . والنوير يمتازون بالقامات الفارعة والافراف الطويلة ويشبهون الدينكا الى حد بعيد وذلك ربما يرجع الى وحدة أصلهم . والنوير كقبيلة مثلهم مثل الدينكالا يجمعه متنظيم واحد أو ادارة مركزية ويمكن فى هذ المجال تسميتهم سياسيا بأنهم مجموعة من القبائل المؤتلفـــة التى تكون أحيانا اتحادا فيدراليا فضفاضا . وهم يميزون قبائلهم التى تســكن فى الأرض الام غرب النيا أى نوير الغرب على أولئك الذين هاجروا الى شرق النيل أو نوير الشرق . وأهم ما يميز أرض النوير : أنها أرض مسطحة للغاية ، تربتها طينية ، تتخللها أشجار قليلة متفرقة ومن ناحية ثانية تكسوها حشائش عالية زمن الامطار وتتميز بغزارة الامطار كما تخترقها أنهار كبـــيرة تفيض مياهها سنويا . وعندما تتوقف الامطار وتنخفض أنهار تتعرض أرض النوير للعطش الشديد .

والنوير قوم محاربون كما يحبون الماشية ولطالما كانت لهم صـــولات وجولات مع الدينكا والقبائل المجاورة الاخرى .

---

(١) راجع كتاب مديرية أعـــالى النيل الناشر وزارة الثقـــافة والاعـــلام .

قصـــــــة هجرة النوير

ولهجرة النو يرشرقا قصة ترويها اساطيرهم وهى أن قبائل شرق النوير الحالية قد عبرت النيل الابيض من فشودة تحت قيادة زعيمها « لانجور » واتجهت شرقا واستقر بهم المقام فى مالار على بعد خمسين ميلا شرقى ملكال وزاولوا الزراعة ويجىء فى قصتهم أيضا أن هنـــالك ثور أبيض كان يختفى لبضعة أيام ثم يعود وفى روثة بعض من حبوب الذرة فقال احد رجال القبيلة أنه لابد من وجود سكان حيثما يذهب هذا الثور فتتبع الثور الابيض عابرا الخيران والانهار والجداول وكان يتعلق بذنب الثور فى أماكن المياه العميقة حتى وصل به الثور الى منطقة قبيلة الانواك . ورجع ومعه قندول من الذرة وعرضها على رجال القبيلة ليبرهن لهم صدق حرسه من أن هنـــالك بعض الناس فى تلك المنطقة التى تقع شرقهم . ثم قرر بعض النوير الهجرة الى الشرق فدججوا انفسهم بالسلاح ورحل الانواك الى منطقة بعيدة تقـــع جنوبى شرق منطقة غرب النوير ومن ثم سميت المنطقة الجديدة التى سكنها النوير « منطقة شرق النوير » .

واقسام النوير وقبائلهم على اختلافهم تعيش بنفس الاسلوب وتتحدث بنفس اللغة مع اختلافات بسيطة فىسبل العيش واللغة لايكاد يميزها الغريب وتشارك قبائل شرق النوير فى المنطقة قبيلة الكصـــوما التى تقطن المنطقة الشرقية المجاورة للقاجوك وتعيش معظم قبيلة الكوما فى أثيوبيا ولكن من يعيشون فى السودان لهم شيوخهم وسلاطينهم الذين يخضعون للسلطـــات السودانية وارض النوير فى هذه المنطقة تكسوها المستنقعات مابين شـــهر مايو واكتوبر .

● مواسم العمل عنـــد النوير :

فى مايو يبدأ النوير فى نزع سيقان الذرة وفى زرع الذرة الجديدة ولكل عائلة مزرعتها الصغيرة ويحصدون الذرة فى شهر اكتوبر وهم يحفظون الذرة فى مخازن على سطح الارض .. وخلال العمل الزراعى تقام حفلات غنائية فيها الاله «دينق» والآلهة الأخرى وقد يذبحون خروفا أو عجلا قربانا لآلهتهم وفى وقت الخريف تقل بالزرع .. أما فى المدة ما بين أكتوبر طقوسهم وعباداتهم نظرا لانشغالهم وديسمبر فينشط النوير نشاطا كبيرا من حيث الرقص والغناء لان هنالك وفرة فى الاكل والشرب حيث يصنعون « المريسة » مما يجنون من محصول وفير .. وفى نهاية ديسمبر يحفظ ماتبقى من ذرة فى حظائر الماشـــية ومن ثم تبدأ فترة راحتهم التى تمتد لخمسة أشهر يبقونها مـــع ماشيتهم فى معسكرات الماشية .

ولقد لاحظت أن للاكل عند النوير عادات متبعة فالرجال يأكلون ســـويا ونساء الرجال يجتمعن للاكل سويا وكذلك الاطفال . ويرى النوير فى هـــذا النظام تقوية للعلائق الاسرية فهو زيادة على ما يخلق من الفة ومحبة فانـــه نموذج للتعاضد وفرصة متاحة لحل المشاكل الأسرية وغيرها .. ويقـــرر

الشيوخ والحكماء الوقت الذى توضع فيه العلامات المميزة على جباه أبناء القبيلة الذين يختازون طور الطفولة الى طور الرجولة وهذه العلامات هي خطوط متوازية على طول جبهة الفتى .

وفى نهاية ديسمبر من كل سنة يذهب الشبان بالماشية والأغنام والماعز حاملين معهم قليلا من الطعام ويبنون حظائر للحيوان وعششا لسكناهم ويلحق بهم الكبار بعد حين ويجدون أن قرى كثيرة متناثرة قد بنيت . وكثير من هذه المعسكرات تبنى داخل الحدود الأثيوبية وفى هذه الاثناء يحد ثاندماج فى الحياة بين نوير السودان ونوير اثيوبيا وتدار أمورهم بصفة مشتركة بين السلطات السودانية والأثيوبية . ويتكون طعام النوير فى حينها من السمك واللبن والعصيدة . ويكثر النوير فى هذه الأثناء من صيد السمك بينما تذهب الماشية ترعى فى دعة دون رقيب أو رعاة . ويقضى الشبان أوقات راحتهم راقدين على ضفاف النهر أو على الرمال بينما يقضى الكبار نفس الوقت نائمين فى عششهم أو يدخنون فى لذة كبيرة مستغرقين فى الأحلام والتصورات ويقضون الليل فى الرقص والغناء الذى يشترك فيه الكبار والصغار من الجنسين ويستمرون فى ذلك حتى منتصف الليل وحتى الساعات الأولى من الصباح . ويتبع الرقص ساعات حالمة يقضيها الفتيان والفتيات فى طرح أحاديث الحب والهيام يتطارحون آيات الوجد والغرام وحتى الصغار ينعمون بمثل تلك اللحظات فى حدودهم ثم يخلدون واشتبكوا مع الانواك وهزموهم من منطقة اللاو نوير للاختلاط بالنوير من الناصر اذ أن الأرض هناك جدباء قاحلة فى فصل الجفاف وليس بها ماء أو أنهار جارية . وحياتهم تشبه الي حد كبير أو تطابق نوير الشرق . فى مايو يرجع النوير الى قراهم الدائمة حاملين معهم الآنية الفخارية الجديدة التى صنعوها ويحملون أيضا كميات كبيرة من السمك المجفف تسمى « لواك » .

يتكون منزل النوير عادة من حظيرة للبهائم تسمى « لواك » تحيط بها عدد من العشش على حسب زوجات رب العائلة . والابن الأكبر لكل زوجة مسئول عن أمه وأطفالها ولكن تحت اشراف الأب . وليس فى منزل النوير اثاث بالمعنى المعروف ولكنه يحتوى على أنية من الطين للطبخ واخرى للمشرب وجلود ليناموا عليها وبعض المناضد للجلوس والنوم . والثروة عندهم عمادها مهر الزوجة وهم يزرعون مايكفى أكلهم وشربهم واذا بقى شيء يبيعونه لشراء بعض الملابس والاحتياجات الأخرى .

ومجتمع النوير مجتمع غير مستقر وليس لهم نظام تشريعى أو تنفيذى او قضائى منظم وثابت كما أسلفنا ويحل المشاكل بين الناس رؤساهم وأكثر الرؤساء احتراما عند النوير هم لابسو جلود الفهود وهم يعتمدون فى حل نزاعاتهم على العادات والتقاليد القبلية المتوارثة عبر أجيالهم . وهم معتدون بأنفسهم الى أبعد حد ولا يرى أفقر فرد فى النوير فرقا بينه وبين اعظم رجال القبيلة ويمكن لأى شاب منهم أن يتزوج من أية عائلة متى ما أمكنه دفع المهر وهم يحترمون بعضهم البعض فى اعتداد ولكنهم يحتقرون

من يشعرون بأنه يتعالى على افراد قبيلتهم . ويرى النوير أن ماشيتهم زمانا أكثر منهـا الآن وفي ذلك الوقت كان مهر الفتاة أربعين بقرة وقـد تصل الى ستين بقرة للفتاة أما الآن فان المهر لا يتعدى عشرين بقرة وقـد يصـل الى الثـلاثين .

المـاشـية عند النـوير

والمـاشية هي محور حياة النوير وعلاقاتهم مع القبائل الأخرى تتأثر مباشرة بحبهم للماشية أو رغبتهم في امتلاكها وهم لا يكنون أي احتـرام للقبائل التي لا ترعى الماشية أو تكثر من امتلاكها . وملكية الماشـية تكون على أساس الأسرة . وطوال حياة رب الاسرة فان له السـيطرة المطلقة على قطيع الأسرة من الماشية ولكن النساء لهن الحق في استغلال المـاشية بينما يمتلك الأبناء بعض الثيران . وعنـدما يبلغ اي ابن سن الزواج فانه يتزوج بجزء من قطيع الأسرة ، بينما ينتظر الابناء الآخـرون حتى يكتمل الزواج ومن ثم يتزوج الابن التالي في السن وهكذا ، وعنـدما يموت رب العائلة تستمر ملكية القطيع الجماعية ويظل مركزا لوحـدة العائلة ويتحاشى النوير تكسير القطيع حتى يتم زواج جيلا الأبنـاء لانه في الواقع ملكية الجميع . ويبلغ حب النوير لمـاشيتهم مبلغا عظيـما حتى أن الفرد يسمى بلون وشكل ثوره المحبب ، بينما تتسمى النسـاء باسم البقرة المحببة التي يقمن بحلبها . وحتى الأطفال يتنادون بأسـماء ثيرانهم المفضلة عندما يلعبون وقد يسمى نهائيا باسم ثور العائلة أو البقرة الحلوب في حالة الصبي أو الصبية .

والمـاشية عند النوير بجانب انها مصدر الثروة والغذاء والعـزة فهي أيضا مركز الطقوس الدينية فالنويراوي يبني صلته بالآلهة عن طريق المـاشية وعندما يمسح فرد من النوير ظهر ثوره أو بقرته بالرماد فانـه يعتقد بأنه يتصل بذلك بالآلهة ويطلب مسـاعدتهم . والطريقة الأخـرى للاتصـال بالآلهة والأرواح هي طريق الضحية ولا يكتمل اي مهرجان ديني للنوير الا بضحية سواء كانت كبشا أو نعجة أو ثورا ويشـكل لبن البهائم الغذاء الرئيسي للنوير . ففي حالات فشل محصول الذرة أو عدم صيـد الأسماك فانهم يعمدون الى اللبن كغذاء رئيسي وقد يجمعون بعض الفواكه والجذور والحبوب من المناطق الخلوية .

ويقول الأستا ذايفانز بريتشارد « يشار الى النوير بأنهم يعيشـون عالة على المـاشية ولكن يمكن القول بنفس القوة أن المـاشية تعيش عالة على النوير الذين يقضون أيام حياتهم سعيا وراء رفاهيتهـا . فهم يبنـون لهـا الحظائر ويولعون النيران وينظفون حظائرها لراحتهـا وصحتهـا ويتنقلون بسببها من القرى الى الفرقان ، وهم يتحدون الوحوش الكاسرة من اجل حمايتها ، ويصنعون الحلي من اجل تجميلها . وهي اي المـاشية تعيش حياتها في دعة وتراخ وكسل وسلام والفضل والشكر يعود للنوير » .

● من تاريخ الوطنيـة عند النوير :

والنوير قوم معتدون بأنفسهم وهم رغم اعتبارهم لكل غير نويراوى شخصا أجنبيا الا أنهم يكنون شعورا عميقا للصداقة لكل نويراوى . ويقول المستر جاكسون عن النوير :

« وهم يقولون لا نرغب فى أى نوع من الحكومات نحن لا نريدكم أيها الانجليز ، كلما نريده أن تتركونا نعيش أحرارا كما نريد وعندما كان البيشوب قوين يتكلم ذات مرة مع النوير عن عدائهم المر للحكم الانجليزى قال له بعض رجالات النوير نحن النوير رجالا أحرارا وليس لنا ما نعمله مع حكومتك أو أى حكومة أخرى .. ابعدوا عنا ... »

وهكذا نهضت علاقات النوير مع الانجليز دليلا على شجاعة ووطنية النوير وقسوة الحكم البريطانى عليهم والذى حرم بلادهم فيما بعد من كل أسباب الاستقرار والتطور .

اذا قابلت فردا من النوير فأول سؤال يوجهه لك هو :

« اجن توك نات » ؟ ومعناها « هل تعرف كلام الناس » والناس هم النوير وهم يقولون من يعرف الكلام غير النوير ! . وهذا من فرط اعتقادهم وثقتهم فى أنفسهم . وهم على هذا يجب أن يميزوا أنفسهم عن الآخرين فهم يخلعون اسنانهم الأمامية الاربعة ويرسم الرجال ستة شلوخ متوازية فى أعلا حواجبهم من الأذن . والوشم للصبيان يكون مابين الثانية عشر والسادسة عشر بعدها يصبر الصبى رجلا . وتتام عملية الوشم بشكل جماعى كل أربعة سنوات وهى بذلك تحدد كل جيل لكل قرية أو مجموعة من القرى تتفق على وقت الوشم . ويتطور الزمن بدات هذه العادة تختفى .

● **بعض عادات النوير البارزة :**

● لا يحلب البقرة الشاب الذى رسمت الشلوخ على جبهته واذا لم يوجد خلافه فانه يقوم بحلبها مرغما وفى هذه الحالة لا يشرب اللبن المحلوب الشبان الذين فى سنه .

● لا يقتل العدو الصبى الصغير الذى لم ترسم الشلوخ على جبهته ، أما اذا كان العدو قاسيا فانه يقوم برسم الشلوخ على جبهة الصبى أولا ثم يقوم بقتله .

● المراة لا تقتل بأية حال من الأحوال فى حالة الحرب .

● لا يأكل أفراد قبيلة النوير الدجاج قط الا الأطفال منهم .

- عند دفع المهر تعطى الجدة الميتة أو الجد الميت بقرة يحتفظ بها أصغر أحفادها اما اذا كانت العروس قد ولدت بعد موت جدتها أو جدهـا فلا يعطيان بقرة عند تقـديم المهـر .

- اذا كان الرجل لا يملك سوى الأبقار التى تقدم كقرابين للآلهـة فان المحكمة لن تأمر بدفع تلك الأبقـار فى حالة الغرامة أو اى حكم فى قضـية ما .

- الثور الذى يولد ببيضة واحدة لا يقدم للمهر .
- لا يزوج الزوج والد أو والدة زوجته أثناء مرضهما والا فانهما يموتان حسب اعتقـاداتهم .

- لا يشيع النويراوى جثمان جدته قط ولا يمشى فى جنازتها .
- **الديانة عنـد النـوير :**

معظم النوير وثنيون ويطلقون كلمة « كض » للرب وهى تطلق على كل شيء روحى عندهم . وعندما تحل الأرواح فى رجل يصير نبيا ولـكل روح اختصاص . فمثلا (دينج) يختص بالأمراض و (ريو) بالحرب و (كول) للرعد والصواعق والبرق . وقد أدعى النبوة كثير من النوير فى أواخر القرن التاسع عشر وهم يخشونهم ويقدسونهم ويوجه هؤلاء (الأنبياء) النـاس حيث أرادوا . وأول من ادعى النبوة (واندينق بنق) من نوير اللاو حوالى عام ١٨٤٠ وأدعى بأنه يبرىء السقيم ويعالج المريض فأتى اليه النـوير من كل الجهات يحملون الذبائح والهدايا . وعندما مات واندنيق خلفه ابنه ثم ادعى النبوة آخرون من اللاو والقبائل الأخـرى كالقادار والقاجاك ومازال لهؤلاء الأنبياء أو (الكجرة) نفوذ واسع على النوير حتى اليوم .

أما الديانة المسـيحية فقد دخلت بلاد نوير تحت نفـوذ الكنيسـة الأمريكية التى دخلت الى سوباط فى عام ١٩٠٦ واسست كنيسة فى الناصر وقد وضعت للنوير الطريقة التى يتعلمون بها كتابة لغتهم . كما يوجـد أفراد قليلون يدينون بالاسلام فى قبيلة النوير مثلهم مثل المسيحيين .

- **أغنيتـان من النوير :**

والنوير مثل كل القبائل الرعوية شعراء يملكون ناصية تاليف الشعر فى المناسبات والغناء . وأغانيهم الجماعية رائعة وتبدو فيهـا خصائصهـا الفنية وبراعتهم فى الآداء والايقاع وهم دائمو الغناء فى خلوتهم أو حينمـا يرعون المـاشية فى الوديان والشـباب يغنون فى تمجيد أجـدادهم ومحبوباتهم وماشيتهم فى أى مكان كانوا ومتى شعروا بجو من السعادة . ونورد هنا ترجمة الأغنيتين الاولى يمدح بها فتى ثوره والثانية أغنيـة وطنية عامرة بآيات الحب :

● اغنيـــة فى مدح الثور :

الثـــور الأبيض طيب مثل أمى
وكذلك أهـــل أختى
أهل نيـــاريو بـــول
وعندما كان معى ثورى ذى الردف الأســود
ذهبت لأصـــطحب فتـــاتى الســـاحرة
فأنا لســت الرجل الذى ترفضه الفتيـــات
نحن نصطحب البنـــات خلســـة فى الليـــل
أنا وكويجـــوك
ابن نيـــــادينق
أحضرنا الثور عبر النهـــــر
أنا وكيرجـــــوك
ابن شـــقيقة أمى
بوث قوتجـــــاك
يا صديقى الثور العظيم ذو القرون المنتشرة
الذى يخور وســــط القطيع
فأنا ابن بول مالوا

● اغنيـــة فى الحب والوطنيـــة :

دعونى أغنى له صديقى العزيز « باقوال »
دعـــونى أغنى فهـــذا الصـــديق
صــــديق فريـــد ...
وأمـــدحه ورفيقـــا لـــه
شـــجاعته يا رفاقى عجيبة
وســـلاحه صـــارم نافـــذ
وكل البنـــات يحببنــــه
وباقـــوال هـــــذا حبيبى
ووالـــده يا رفاقى نبيـــل
وقامتـــه فى اعتدال النخيل
وهو يشـــمخ فى عـــزة واعتـــداد
مثلمـــا يرفرف رفيقـــا علمنـــا الحبيب
فى ســـماء الـــوطن
علمنا الـــذى سما وارتقى
اثر خـــروج الغاصبين ـــ الانجليز الطغاة
لا أحد يجرؤ يا حبيبى عليك
وليس هناك من يغلبـــك
لقـــد زرتنـــا خلف عشنا
ليلـــة البـــارحة ...
وكنت تشع ضياء ، وضياء كنور القمـــر

نظـــرت اليـــك وعم شعاعك كل المـــكان
وانت هنـــاك من خلفنــــا
تضيء المكان كبدر الســـماء
ومازال الشـــعاع القـــوى
سوى مسحة من جمـــالك
يا حبيبى الفـــريد ...

الرقص عند النوير :ـ

رقصات النوير رقصات جماعية تعتمد على الكورس الجماعى وهم بارعون الى أقصى حد في الغناء الجماعى حتى انهم يشبهون فرقة موسيقية وللنوير ثلاثة رقصات رئيسية هى :ـ

١ ـ رقصة (الدوم بنى) :

وهى رقصة اجتماعية يبدؤها النوير بالتنبيه بالقرن بعد مغيب الشمس وعند وصول الرجال يلتفون فى دائرة حول الطبـل أو النقارة ومعهـم قائد الغناء الذى يغنى بصوت مرتفع جميل ويقفز قائد الغناء من جانب من الحلقة لآخر وهو يلوح برمحه ويتبعه الرجال فى الغناء ثم يقفزون فى للهواء فى ايقاع واحد • أما النساء فهن يبقين خارج حلقة الرجال يرددن الغناء مع الرجال وقد يستخف الطرب واحدة منهن فتدخل الحلقة وتراقص أحد الرجال ثم تعود وقد يتبعها الرجل الى حيث مكان النساء وقد تسبب هذه الاستجابة من الرجـل ببعض المشاكل مع الزوج أو أب البنت •

٢ ـ رقصة (البول) :

وهى تشبه فى أدائها الرقصة الاولى ولكنها تؤدى فى المناسبات الكبيرة كالزواج والجنائز وأثناء أداء الرقصة في هـذه الحالة يقـوم النوير بالمبـارزة بالحراب والدرق فى شكل معركة وهمية ويكاد الواحـد منهم ينال من غريمه ولكن غريمه يقفز جانبا فجأة متجنبا الضربة • والنوير بارعون جدا فى المبارزة بالحراب ويخيل للشخص الغريب انه لا يمكن النيل منهم أبدا • وعند نهاية كل مبارزة يقفزون فى الهواء ثم يعودون مرة أخرى الى حلقة الرقص • وهذه الرقصة لاتستمر أكثر من ساعتين وتنتهى قبل غروب الشمس •

٣ ـ رقصـة ثوم :

وهذه ليست رقصة جماعية بل فردية وتؤدى دائما فى معسكرات صيد السمك • ويؤدى هذه الرقصة الرجال والنساء على كل ثنائى فيرفعون أيديهم عاليا فى الهواء ويعقدونها وراء رؤوسهم بشكل قرن ثور يضربون أرجلهـم بقوة على الارض فى حرية سريعة منتظمة مع استمرارهم فى الغناء وتبدأ هذه

الرقصة عندما تنادى البنات الشبان للرقص فى أثناء صيد السمك فيستجيب هؤلاء فيأتون الى محل الرقص واحدا أثر الآخر ونبدأ الرقصة فى ظهيرة وتنتهى قبل غروب الشمس .

ثانيا – قبيلة الدينكا :

قبيلة الدينكا هى أكبر قبائل السودان قاطبة من حيث تعداد السكان وهم يسكنون معظم أنحاء مديرية بحر الغزال وجزءا من مديرية اعالى النيل وجزء صغير منهم يسكن فى الطرف الجنوبى من مديرية كردفان فى منطقة أبيس . وفى أعالى النيل يسكن الدينكا الجزء الجنوبى من المديرية المتاخم للمديرية الاستوائية فى مركز بور وفى الجزء الشمالى من المديرية والواقع شرق النيل والممتد من شمال مدينة كدوك حتى الحدود الجنوبية لمديرية النيل الأزرق . وهناك جزءا آخر منهم يسكن بعيدا عن النيل شرق مركز ملكال .

وتشبه الرقعة التى يسكنها الدينكا أرض النوير وتشابهها فى كثير من السمات الجغرافية فأرضهم فى المديرية مستوية مسطحة تكسوها مستنقعات كثيرة دائمة وتتخللها بعض الجزر فى الجزء الجنوبى من المديرية وهى مصطحة مستوية فى الجزء الشمالى من المديرية وتمتد من خط عرض ٦ الى خط عرض ١٢ شمالا فى فصل الشتاء تكثر فيها المراعى وتنمو النباتات أما فى فصل الجفاف فيندر الكلأ وينعدم الماء فيعود الدينكا للاراضى المنخفضة وعلى العموم فان اعتماد الدينكا فى الجزء الشمالى من المديرية يتركز على الزراعة أكثر مما عند القبائل الأخرى فى المديرية .

وان العناصر التى تتحكم فى الحياة الاجتماعية لهذه القبائل النيلية متشابهة مع اختلافات فى التفاصيل . فالشلك والانواك متشابهون عندما تنظر الى ناحية الحياة المستقرة نسبيا التى يحيونها . وتجد نفس هذا التشابه فى المجموعة الأخرى من القبائل لنيلية وهى الدينكا والنوير حيث يتأثر تكوينهم الاجتماعى بحياة الترحال الرعوية ، فهم أصحاب القطعان الكبيرة يتنقلون بها من مكان لآخر حسب ماتقتضيه حالة الطقس الموسمية وكميات الاعشاب والكلأ والمياه المتوفرة . وأرض الدينكا فى بور أرض عشبية مفتوحة فى فصل الجفاف وهى ذات شجيرات قصيرة وخيران كثيرة وتسمى عندهم بأرض (التوج) التى تغمرها المياه وهى جنوبا تمتاز بغابات غنية وبها مراعى صيفية غنية وفى فصل الجفاف تعيش فيها حيوانات برية متعددة مثل الزراف وحمار الوحش والغزال وأحيانا الفيل والنعامة ، وعلى بعد ثلاثين الى أربعين ميلا من النهر يعلو سطح الارض وتكثر الغابات والاشجار الكبيرة وتوجد هنا عدة قرى كبيرة مثل دوك فيديت ودوك فايويل . وفى بور يضطر الدينكا لرفع منازلهم عن السطح على أعمدة لتراكم مياه الامطار .

وقبائل الدينكا فى المديرية تنتشر فى الشمال الشرقى من جنوب الجبلين

الى مسافة عشرة أميال جنوب كدوك على الضفة الشرقية للنيل الابيض وهذه القبائل هى قبائل ابلا وابيو وقير ويسكن هؤلاء بين العرب الرحل من قبائل سليم شمال كرشول وبالقرب من خور عدار ويسكن دينكا النيل وهم فرعى بيرونجيل على الجانب الشرقى الى دنجول وهؤلاء يهاجرون فى زمن الصيف بماشيتهم لانهم يسكنون شاطىء النيل فى جماعات ۰ وجنوب ملكال يجاور الدينكا الشلك فى خور فلوس الى أبونق على نهر السوباط ۰ وهناك يسكنون الشاطىء الغربى لنهر سوباط حيث تسكن قبيلة فاجاك وقاقوان ولاومن قبيلة فاجاك وقاقوان ولاو من قبيلة النوير وهنا يسكن الدينكا فى دوك فيديت ودوك فايويل الى كنقور الى حدود البـاريا من الشاطىء الشرقى للنيـل الابيض أو مايسمى ببحر الجبل ۰

الزواج والحب

وعادات الدينكا عموما تختلف كثيرا عن عادات النوير والشلك ۰ والزواج عند الدينكا عموما يتم بدفع البقر ومتوسط مايدفع مهرا للفتاة خمسة عشر بقرة وخمسة ثيران توزع على والد الفتاة ووالدتها وقد يبلغ المهر مائة بقرة عند الاغنياء ۰ وهنالك اختلافات بين قبائل الدينكا نسبة لضخامة واتساع أرضها ومجاورتها لعدة قبائل ، فالدينكا الذين يسكنون بالقـرب من الرنك وجلهاك وما جاورها قد اختلطوا بالقبائل العربية وتأثروا بهم كثيرا فى اللغة والعادات الاجتماعية وسبل الحياة ۰

ويفصد الدينكا جباههم بستة خطوط أفقية قصيرة ثلاثة منها فوق كل حاجب ورغم أن قبيلة الدينكا قبيلة رعوية الا أن الدينكا فى شـمال المديرية ميالون للزراعة وهم يزرعون الـذرة والقطن وبكميات تكفيهم وتفيض عن حاجتهم فيصدرونها للمناطق المجاورة .

وقبائل الدينكا التى تسكن شمال المديرية تسمى قبائل المادانق دينكار أو دينكا الشمالية وهى تتفرع الى دينكا دنجـول ودينكا لوج ودينكا أبيلانج وحسب روايتهم فانهم قد هاجروا من منطقة بور قبل حوالى مائتى سـنة تحت قيادة زعيمهم أكوى كاكاب . ويبدو أنهم عبروا منطقة جزيرة الزراف ومنطقة المابان وغيرها حتى وصلوا الى هذه المنطقة بعد ما قام الشـلك بمنازعتهم هذه المنطقة توجهوا شرقا حتى اتصلوا بالقبائل العربية فى منطقـة كاوا .

وترجع أساطير الدينكا الى « قرنق » والذى كان له ولدان هما دينج وأبيدينق وهم يستبشرون بدينج ويعزون له الخير والمطر والعشب ويقولون أن أبينونيق هو ار نسل النوير والدينكا وعندما أحب تقسيم الماشية بـين أبنائه أعطى جانق بقرة عجوز وأعطى بقرة صغيرة لابنه نوير . وعندما مات أبيندنيق ادعى جانق انه نوير وأخذ البقرة الصغيرة وسافر جانق أو ايويل فى رواية أخرى ، وبدأ يقسم الارض والدوكات (جمع دوك) الى أبنائه وأخـيرا

إستقر فى يوم فى جزيرة الزراف فى القاوار . وايويل هذا هو الجـد الأعلى لدينكابور . وابويل فى الديانة القديمة للدينكا يعتبر جد دينكا مندبور فقط .

الارواح عند الدينكا

ويعتقد الدينكا أن لكل واحد منهم روحا ويطلقون عليه اسم (اتييب) ويعتقدون أن الاحلام التى يراها النائم ماهى الا نتيجة لذهاب الروح الى آمال بعيدة والى تجوالها أثناء النوم كما أن روح الميت قد تظهر فى أحلام الاحيـاء وتطلب طلبات خاصة كاعطا ءشيء من الاكل أو تقديم بعض القرابين . وكما يطلقون علىروح الميت الحديث اسم « اتييب » فانهم يطلقون اسم جـوك على روح الاموات الذين ماتوا منذ آماد بعيدة ولذلك فان روح (جـوك) عندهم أقوى من روح (اتييب) لذلك يقيمون لها القباب فى أماكن كثيرة ... وعندما يموت شخص فانهم يقيمون لروحه (أتييب) الولائم ويذبحون الذبائح بعد الموت حتى لا تنزل المصائب بالاحياء وتسبب لهم المرض أو الموت . وهم يعتقدون أن الموت والمرض والمصائب هى نتيجة غضب أرواح الاجـداد من أقاربهم ولا يفرقون فى هذه الاعتقادات بين الرجل والمراة ويرى فريق من الدينكا أن (اشيك) هو الخالق (وجوك) الروح الساحرة أنـه بالرغم من أنها من أصل واحد الا أنه فى حالة الخلق فان السبب هو (أشيك) وفى حالة الأذى فان السبب هو جوك) بعض العادات الاجتماعية عند الدينكا :

يؤمن الدينكا بتعدد الزوجات ولكن عددا كبيرا منهم لايتزوج بأكثر من امراة واحدة ولا يتزوج الرجل من المرأة التى تنحدر معه من جد أو تقرب اليه منجهة أمه . ومن واجب الاب أن يجد لابنه زوجة عندما يأتى دوره فى الزواج فى العائلة . أما المال فانها يتحصلون على البقر للزواج من مهـر ابنة الوالد التى تزوجت الابن مهر زواجها يصير ملكا للعائلة . والمهر كمـا ذكرنا سابقا يتعدى فى الغالب ثلاثين بقرة غير انه قد يصل الى مائة بقـرة فى حالة الاثريا ء .

وعندما يطلق الدينكاوى زوجته فان أبقار المهر تعـاد اليه ومعهما ماولدت .. ويأخذ الرجل أبناءه وبناته وقد يترك لهما بعض الابناء وهنـا يتوقف ما يحتفظ به الرجل من بقرة على عدد ما يترك وما يأخذ من أطفاله . ومعظم أسبا بالطلاق تنتج من العقم أو هروب الزوجة أو مشاجرة عائلتى الزوجين وأذا ماتت الزوجة فى ظرف سنتين بعد زواجها فان مهرها يقسـم بين زوجها ووالدها أما اذا لم تنجب طفلا فان الزوج يطلقها ويأخذ كل مهره ولكنه يترك عجلين أحدهما كبير والآخر صغير لوالدها وعائلتها .

ويؤمن الدينكا والنوير بضرورة وجود خلف للميت ولذا عندما يمـوت الشاب عازبا فان أحد أقاربه يتزوج باسمه وعندما يلد يحمل الأبنـاء اسم المتوفى ويعتقدون أنهم اذا لم يزوجوا المتوفى العازب فان لعنتـه تلاحقهم وأطفالهم واذا كان للقريب عدة اخوان ولم يتزوجوا فانـه يجب أن يتزوج

باسمهم أولا قبل أن يتزوج . ولا تحدث فى حالة وراثة الزوجة طقوس زواج جـديد .

وفى حالة الميراث فان الماشية عموما تكون ملكا عاما للعائلة ولـكن المتصرف فيها هو الابن الاكبر ويسمى (كون) وهو رسـميا يرث كل التى يتركها والده المتوفى وتلك التى تخص والدته وهو المتصرف الاول فى ماشـية أمه أثناء حياتها . ويقتسم أبناء الزوجات الاخريات الماشـية التى تخص امهاتهم . وفى حالة الزواج يمكن لاى ابن من الابناء أن يأخذ عددا من الماشية لدفع مهـر زوجتـه أو لدفع غرامة أو تعويض . وفى حالة الولادة تتبع تقاليد تكاد أن تكون قانونا قبليا فالام يجب أن تضع طفلها الاول فى منزل جدته وعندما يشب عن الطوق ويتعلم المشي يؤخذ الى منزل والده وفى هذه الحالة تصحبه بعض الفتيات من العائلة ويأخذن معهن (المريسـة) وشيئا من الطعام ويذبح الاب فى هذه الحـالة خروفا ويولم وليمة كبيرة احتفـاء بالمناسبة . وبعد يومين من هذا الحفل يؤخذ الطفل الى (لواك) البقر ويشرف الوالد على هذه العملية ، ويعقب ذلك اختيار الجدة اسما للطفل .

وعنـد الموت يدفن المتوفى مباشرة فى قبر هو عبارة عن حفرة مستديرة يوضع فيها الميت فى اتجاه الغرب .. ويدفن الرجال بين لواكات البقر بينما تدفن المرأة والطفل على يمين المنزل وهم لا يضعون علامات على القبور .

ويستمر مأتم الدينكا أربعة أيام لا يشرب الدينكا اللبن أثناءها وبعد مضى الاربعة أيام يغتسلون ويواصلون شرب اللبن .

ويحزن الدينكا لموتاهم لمدة ثلاثة شهور للرجال واربعة شهور للنساء ويتم تقسيم ميراث الميتبعد هذه المدة .

يعتقد الدينكا أن المرض يصيبهم نتيجة غضب أحد أشباح العائلـة وذلك عندما لايقومون بتقديم الصدقات للالهة التى يطلقون عليها اسم (كولانق) وهى الالهة التى تنزل اللعنة باعداء العائلة . وتكون الصدقة على شـكل خروف أو معزة أو بقرة يتم ذبحها . فى بعض الحالات يحضرون ساحرا لمعرفة المرض ويتبعون ارشاداته وينفذونها تماما .. وهذا الساحر يسمى (تميت) وهو ساحر ذو أهمية اجتماعية كبيرة عند كل من الدينكا والنوير .. وهنـا يلاحظ أيضا تشابه النوير والدينكا فى الطقوس الدينية .

والرئيس عند الدينكا يدعى (بنج وت) وهو رئيس الماشـية ورئيس الحر بوعليه حفظ النظام الحسن والمحافظة على سلامة ماشية العشيرة أو القرية . وخبير صيد السمك يسمى عندهم (تيت دى راج) أما الساحر الذى يحارب الطيور الصغيرة التى تأكل المـزارع فانهم يسمونه (تيت دى رب) ويلاحظ هنا أيضا أن الدينكا مثلهم مثل النوير ليست لديهم زعامة سـياسية مركزية واحدة . وتكاد كل قرية من قرى الدينكا تتكون من أفراد تجمع بينهم صلة القرابة والرحم (وت) ولذلك فان أغلب المشاكل بين الناس فى القرية

يحلها كبار السن فى القرية وفى حالة الاساءة أو الاذى أو الاغتصاب أو الزنا تدفع غرامة أو تعويض فى شكل أبقار . أما فى حالة القتل فيكون التعويض ما بين ثلاثين الى خمسين راسا من الماشية واذا لم يدفع التعويض يؤدى ذلك الى اراقة الدماء بين أهل القاتل وأهل القتيل .

أهم شخصية فى القرية عند الدينكا هى شخصية رئيس الحربة . والقرية عند الدينكا هى الوحدة العائلية اذ تتألف من عدة عوائل تجمع بينها صلات القربى واسم رئيس الحربة عند الدينكا هو بان بيث وهو الخبير فى انزال المطر ويسمونه أحيانا صانع المطر ونفوذه عادة لا يتعدى القرية ويسمى رئيس الحربة لانه يملك حربة أو حرابا مقدسة عندهم يتوارثها هؤلاء الرؤساء أبا عن جد . ومن مهام رئيس الحربة وسط القرية :

* هو مسئول عن تدشين الاطفال عندما يبلغون سن البلوغ حيث يسيرون أمامه فى لباس الحرب .

* يقوم بقيادة الطقوس القبلية ويحدد الكرامات والاضاحى لضمان حياة الناس وسلامتهم وأمنهم .

* يقوم رئيس الحربة بدور كبير فى استتاب السلم وفض المنازعات فى القرية وهو هنا يشبه رؤساء النوير ممن يسمون لابسى جلود الفهود .

وفى حالة دفع التعويضات يتقدم بها شيوخ الفريقين المتنازعين الى رؤساء حرابهم الذين يكملون بقية اجراءات التسليم والتسوية .

لايسمح لرئيس الحرب بالاشتراك فى معركة أو مشاهدتها فهو يقودهم فقط الى خارج القرية ويباركهم ثم يعود الى كوخه ليصلى من أجل هزيمة أعداء قريته وانتصار رجاله .

تقسيم العمل فى العام عند الدنكا :

يميل فصل الشتاء الى البرودة وتقل المياه وتصفر الحشائش وهنا يقوم الصيادون من الدينكا بحرق الحشائش لطرد الحيوانات وصيدها كما أنهم بهذا الحريق يهيئون الارض للزراعة فى الموسم الجديد . وعندما تعلو الحشائش فصل الامطار يقوم الدينكا بارسال كشافين لتحديد الاماكن الصالحة للمرعى ثم تذهب بعد ذلك فئة معينة من الشبان الى أماكن المرعى ويبقون هنالك حتى فصل الجفاف .

وفى فصل الجفاف يندر الكلأ والماء فيرجع الشبان والشابات لقراهم مع ماشيتهم ويتحركون بعدها الى منطقة التونج حيث الماء والكلأ .. أما الرجال والنساء الكبار فانهم يبقون فى القرى يحفظون محصول الذرة

ويحيطون المنازل بأسوار الشوك .. ويذهب الشبان من توج الى آخـــر ويرسلون أمامهم فى كل مرة أطرافا من الكشافين .. ان هذا التجـــوال متعب للابقار حتى أن محصولها من اللبن يصير قليلا ولذلك تحمل الفتيـــات معهن كميات من الذرة والاطعمة الاخرى لضمان غذاء الشبان وهم يقيمون فى هذا الاثناء فى عششش مؤقتة يذهب اليها العجائز فى وقت متأخر ويعودون منها مبكرين للقرى لتحديد الاماكن الصالحة للزراعة قبيل نزول الامطار .

وفى فصل الامطار تعود الماشية يصحبها ملاكها ويتركونها فى مـــكان مناسب ثم يذهب الشباب لمساعدة آبائهم فى الزراعة . وتبقى الفتيات فى معسكر الماشـــية يحلبن اللبن ويأخذونه الى ذويهن .. ويلاحظ أن الرعى والزراعة هنا يتمان جنبـــا الى جنب حيث يتحرك الشـــبان مابين الرعى والزراعة .

ويبكر الدينكا بزراعة الذرة الشامى واللوبيا أولا ثم يزرعون الـــذرة وذلك لان المحصولين الاولين ينضجان فى وقت مبـــكر . وفى المساء ــ وقت العودة من الزراعة ــ يقضى الشبان الوقت فى السمر والحديث مع الفتيات وعندما تنضج الذرة تقوم النساء العجائز بحصدها تساعدهن الفتيات ويحفظ الذرة حينئذ وتضنع منه المريسة وتذبح الماشية أو الخراف أو الماعز قربانا للالهة .

اغنيـــة شعبية من أغانى الدينكا

انـــا لنصـــلى لام الآلهة
من جمع ســحرى هـــادىء
فى أرض « كواك لياث جـــوك »
الثـــور العـــاتى والصـــارخ
بركـــاتك يا جـــد القـــوم
أنزلهـــا ترحـــم أرواحنـــا
ســأشيح بوجهى عن الشمس
وأقدم قربانا الى « لواك قرنق »
ليعـــود علينـــا بالرحمـــة
يا بقـــرة تدعى « اليك قوانق »
فلترفرف علينـــا الـــروح الجبارة
فى قبـــر من غـــــير قبورنـــا
وانـــا لنصـــلى لام الآلهـــة
فى جمـــع ســحرى هـــادىء
فى أرض كـــواك ليـــاث جـــوك

● **بعض رقصـــات الدينكـــا :**

لكل قبيلة من قبائل الدينكا أو رقصات مميزة وهى تتشابه فى الكثير

وتختلف فى بعض ، ومن رقصاتهم المشهورة رقصة الجنـازة وهى تؤدى فى حالة الوفاة وتذبح فيها القرابين وتؤدى بعض الطقوس على روح الميت .

ومن الرقصات الاجتماعية السائدة عند دينكا أعالى النيل فى منطقة بور فى الجنوب ودنجول فى الشمال رقصة القفز وهذه الرقصة يقف الشبان والشابات فى حلقة وهم يغنون ويصفقون بأيديهم ثم يدخل شاب الى وسط الحلقة . ويقفز فى الهواء الى أعلا مايستطيع باسطا يديه الى الأمام وضاربا رجليه خلف أردافه ويقوم الفتى بذلك حتى ينال منه التعب ثم يدخل فتى آخر . والشبان فى منطقة دنجـول ومنطقة بور يملأون صدورهم وقت الرقص ببزات مصنوعة من الخرز الملون يصنع خصيصا للرقص ويضعون على رؤوسهم ريش النعام . والدينكا بور رقصات جميلة مليئة بالايقاعات المختلفة وهم يجيدون الغناء الجماعى الذى يطرب له كل من يسمعه

● قبيـلة الشـلك

قبيلة الشلك هى القبيلة الثالثة من حيث التعـداد فى المديرية ولكن لهذه القبيلة أهمية تاريخية واجتماعية خاصة وذلك لأن لقبيلة الشلك ملكية عريقة تضم كل القبيلـة ظلت قائمة منذ زمن طويل قبل مجىء الأتراك للسودان . تأسست هذه الملكية حوالى عام ١٥٠٠ ميـلادية ومؤسس المملكة هو « نيكانج » البطل الروحى العظيم للقبيلة والذى ينتسب اليـه كل الشلك ومن ضمنهم الملك الحالى الذى يسمى عندهم بالرث .

ويقطن الشلك فى الأرض التى كان يحتلهـا الفونج زمانا ويقال أن « نيكانج » قد طرد الفونج من هذه الأرض الى الشمال . فنيكانج لم يكن زعيما روحيا فحسب بل كان زعيما سياسيا وقائدا حربيا محنكا . وقـد اختار الشلك الضفة الغربية للنيل كمواطن لهم وكانوا زمانا يسـكنون منطقة تبدأ من تونجو جنوبا بالضفة الغربية الى قرية (أوجيج) التى تقع على بعد خمسة وعشرين ميلا جنوبى كوستى . واليوم يسكن الشـلك فى الضفة الغربية ابتداء من تونجه وخور فلوس جنـوبا حتى كاكا شـمالا مع قليل من القرى على الضفة الشرقية مجاورين بذلك الدينكـا كمـا يسكنون على شريط يمتد عشرة أميال حذاء نهر السوباط حتى نقديار حيث يجاورون الدينكا والنوير . وتنقسم منطقة الشلك الى قسمين القسـم الشمالى ويسمونه « القير » والجزء الجنوبى ويسـمونه « اللـواك » ومقررات الشلك الرسمى فشوده غير أن الرث يقيم فى عاصـمة المركز كروك وفى فشودة توجد الوثائق الموروثة من نيكانج وبعض الأشـياء الأخرى التى يضعها الشلك موضع احترام كبير عندهم .

والشلك من ضمن مجموعة القبائل النيلية مثلهم مثل الدينكا والنوير والأنواك . وتقول روايات الشلك أن أصل نيكانج زعيم الشـلك الاول

وقبيلته من كينيا ، وقد زحف منها فى اتجاه الشمال وتحرك معه أهله وأتباعه غير أن بعض أخوانه وأتباعه لم يذهب معه فى اتجاه الشمال بل بقوا فى يوغندا وكونوا قبيلتهم التى تعرف باسم (جولو) . أما البعض الآخر فقد وصل معه الى السودان ولكنهم استوطنوا فى المديرية الاستوائية وهم يعرفون الآن بالاشولى واللوكرو . من يوغندا عمر نيكانج وأتباعه الجزء الشمالى من جمهورية زائيرى الحالية ووصل الى برالغزال .واستقر هنالك ولكن الأمور لم تسر هينة بينه وبين أخيه (ديمو) فتشاجر وترك نيكانج بحر الغزال لأخيه وتوجه شمالا بالمراكب الطويلة (كانوا) الى أعالى النيل ورست مراكبه أول مارست قرب (تونجة) فى قرية أستياتوك الآن على بعد ٥٦ ميلا جنوبى ملكال ثم تقدم نيكانج ومجموعته قليلا الى جهة نيالوال حيث أسس مقر رئاسته وبنى قريته فى ديديجو بمقاطعة فانيدواى ومن ثم انشأ الشلك قرى كثيرة فى تلك المنطقة فى البر الغربى . وتقول الرواية أن الجماعة التى ذهبت نحو فم نهر سوباط ثم انتشرت نحو شاطىء سوباط الشرقى قد تكونت منها قبيلة الأنواك الحالية ومن ثم انشأ الشلك قرى كثيرة فى تلك المنطقة فى البر الغربى للنيل الأبيض يطلق على تلك القرى اسم قرى نيكانج . لم يؤسس نيكانج فشودة والمعتقد أن نيكانج سار شمالا حتى وصل الخرطوم الا انه لم يؤسس أية قرى خلاف قرى الشلك المعروفة .

وهكذا تأسست مملكة الشلك الحالية والتى تنفرد من قبائل المديرية الكبيرة بوحدتها ومركزيتها المطلقة تحت زعامة رئيس واحد . والشلك لهم قرابة مع بعض القبائل الأخرى داخل وخارج البلاد وقد نشأت تلك الصلات بزيارات نيكانج المختلفة وتحركاته الواسعة . من هذه القبائل خارج البلاد قبائل الجولو فى كينيا ويوغندا وفى الداخل لهم صلات مع قبائل الأشولى واللوكورى فى الاستوائية والانواك فى أعالى النيل والجور والبلندة والشات فى بحر الغزال . وكل هذه القبائل مضافا اليها قبيلة الشلك يطلق عليها قبائل (اللو) التى تنتمى كلها الى عائلة نيكانج وهذه القبائل تتحدث لغات مختلفة ولكنها كلها ذات صلة وثيقة بلغة الشلك .

ثم انتشرت نحو شاطىء سوباط الشرقى وتكونت منها قبيلة الانواك الحالية ، وللشلك صلات وثيقة منذ زمن بعيد مع القبائل الشمالية التى تجاورهم ، وهم العرب فى الشمال من بقارة سليم والنوبة فى الغرب . وقد كان لهم دور وطنى بارز أيام الثورة المهدية وكان لهم ملكان انضما للمهدية هما الرث يور والذى سماه الامام المهدى بالأمير عمر والرث كورنيدهواك الذى سمى الأمير كور عبد الفضيل .

ويرأس كل منطقة من منطقتى حالة المنطقة الجنوبية رئيس الشلك الجنوبية (لواك) والشمالية (قير) رئيس هو فى منطقة ديالوكوم وفى حالة المنطقة الشمالية رئيس منطقة قولبان ويفصل بين المنطقتين خور أرياجو جنوب فشودة .

والشلك من حيث النظام الطبقي ينقسمون الى قسمين هما طبقتيـــا « الكواريث » أى العائلة المالكة « والكول » وهم عامة الشلك . فالملكيون هم أحفاد نيكانج والمواطنين العاديون « الكول » هم أولئك الذين التفوا حـــول نيكانج وناصروه ونصروه . وهنالك أقسام فرعية أخرى وقد تكونت لها أهمية فى القيام بهمام الطقوس القبلية . فأهل قرية « كوارليل » مثـــلا هم الذين يقومون بتتويج الرث الجديد غير انه لا يوجد فارق فى الزواج بين الطبقتين .

والشكاوى يفصد جبهته بصفين من الوشم تشبه العقد من الاذن الى الاذن ويسمونه « الطابور » ويستوى فى ذلك النساء والرجال ولكن هـــذه العادة غير ملزمة وهى قد بدأت فى الزوال الآن .

النظام الملكى عند الشلك

يمتاز الشلك عن باقى القبائل الجنوبية بنظـــام حكومتهم القبلية التى تخضع لسلطة زمنية وروحية واحدة هى سلطة « الرث » . والرث هو حفيد نيكانج العظيم والذى تعتقد روايات الشلك أنه لم يمت بل ذهبت به الرياح ولذلك يعتقدون أن روحه تنتقل الى كل رث من عائلته يحكمهم . وهذا هـــو السبب فى المركز الروحى العظيم للرث عند الشلك فهو مسئول عن ســـعادة شعبه وسلامتهم وكلمة رث تعنى ملك . أما كواريث فهم أبناء وبنات الملك سواء كان حاكما أو متوفيا واحفاد الرث أو أبنــــاء أولاده وبناته يدعون « نيأرث » وأحفاد هؤلاء ويسمون كوانييريث .

هذا ويتم اعتماد جميع العمد والمشايخ بواسطة الرث قبل ممارســـة سلطاتهم ، وفى كل قرية من قرى الشلك شيخ أو عمدة . وفى ظل النظام الحالى يوجد ثلاثة عشرة عمدة يشرفون على مشائخ القرى وعندما يحـــدث اخلال بالامن يتصل الشيخ أما بالعمدة أو بالرث مباشرة اذا كان الامر خطيرا ولكن كثيرا مايفض العمدة المنازعات دون اتصـــال بالرث مثل حوادث نزاع الشباب حول البنات .. واختيار العمدة يعتمد على قبول أهل المنطقة ثـــم يعتمده الرث وعندما يتم اختيار العمدة تبدأ الاحتفالات بتنصيبه بذبح الذبائح ويجتمع حوله الكبار لاسداء النصح بينما ينهمك الشباب والشابات فى الرقص والغناء ثم يتكرم الرث باهدائه ثوب « اللاو » وهو زى الشـــــلك التقليدى ويعنى ذلك تفويضه نيابة عن الرث فى حكم المنطقة .

والرث هو زعيم القبيلة المطلق وحاكمها ويلجأ إليه الناس فى القضايا الكبيرة كجرائم القتل والنزاع حول المراعى .. والرث يحول هذه القضـــايا الآن الى القضاء المدنى الجنائى فى المديرية ويفصل فى بعض القضايا الاخـــرى على العرف القبلى .

تتويج رث الشلك

عندما يموت الرث لايبكيه الشلك بل تعمهم موجة اليمة صـــامتة من

الحزن و لاتقام حفلات الرقص أو الجنائز .. ثم يعلنون أن كرسي المملكة فى فشودة قد خلا .. ويبقى جثمان الرث فى فشودة حتى تقام الطقوس ثم ينقل بعد ذلك الى قريته ويدفن فى منزله وتغلق العشة وتصير بعد ذلك قبة أو ضريح . وعند دفن الرث تقام الرقصات الجنائزية لمدة أربعة أيام ويقدم أثناءها كل من رؤساء البيوت المالكة ثورا وكذلك مشائخ القبائل .. وتذبح الثيران فى هذه المناسبة ثم يجتمع رؤساء الاقسام الثلاثة عشرة فى فشودة ويتشاورون فيما بينهم فى اختيار الرث الجديد من بين الاسرتين الملكيتين الاخريين خلاف أسرة الرث المتوفى .. والمعروف أن العوائل الملكية التى تتوارث منصب الرث هى ثلاثة تنحدر كلها رأسا من نيكانج مايجب أن يكون الرث شجاعا وصحته جيدة وقويا . اذا كان هنالك أمير أيسر يستبعد من الاختيار وتستبعد النساء من الاختيار اللهم الا مرة واحدة فى تاريخ الشلك أختيرت امراة لمنصب الرث هى « أبودوك » . لم تكن فشودة قد أسست حينها وكان مقر حكم الملكة أبودوك قريتها « تورو » . بعد اختيار الرث يؤخذ الى فشودة وهو لايفعل شيئا هناك الى أن يتم تتويجه . وأثناء ذلك يبعث ببعض أهل قرية « بادهينق » الى جبال النوبة لاحضار حجارة خاصة لمراسم التتويج كما ينهمك أهالى قرية « قلبنايو » وقرية « بوث » فى صنع الحراب الخاصة بالتتويج بينما يذهب بعض الجنود الى قرية « أوبى » فى الجزء الجنوبى من دار الشلك لاحضار جريد النخل الذى يعمل سياطا لصد الناس الذين يزدحمون أثناء حفلات التتويج .. وينهمك أهالى قرية «دييالو» فى صنع العاج المقدس وزخرفته ليستعمل فى حفل التتويج أيضا . ويسرع بعض الناس فى الجزء الجنوبى من المملكة الى بحيرة نو لاحضار الخشب المقدس .

بعد الفراغ من كل هذه التحضيرات يؤخذ الرث الى قرية (ديبالو) التى تبعد ميلين جنوب فشودة حيث يحفظ كرسى التتويج . وفى قرية (ديبالو) يوجد قطيع من الماشية يسمى (كوانيوث) يؤتى به منقرية ويبقى الرث(باناو) وهو ملك خاص للرث أربعة أيام فى ديبالو يعنى فيها بالقطيع ومن ثم يعود الرث الى فشودة ومعه القطيع ويستمر فى العناية به .

ويكون الشلك أثناء التتويج جيشان رمزيان : الرث وجيش نيكانج أما جيش الرث فقوامه الشلك الذين يقيمون جنوب فشودة وأما جنود جيش نيكانج فيتكونون من الشلك الذين يسكنون شمال فشودة . يحضر جيش نيكانج الرمزى معه تمثالا لنيكانج وابنه (داك) من قرية(اكوار) التى تبعد ثلاثة أميال جنوبى قرية كاكا . ولايمكن تتويج الرث الا باحضار ذلك التماثيل ومباركة روح نيكانج للرث الجديد . ويتحرك الجيش من اكوار ويرتاحون فى أربعة نقاط فى الطريق قبل وصولهم الى فشودة وهم يذبحون ثورا فى كل نقطة من النقاط الاربعة أثناء سيرهم . وفى قرية (أدوت نقير) على بعد ميلين جنوبى فشودة ينتظر جيش نيكانج وصول جيش الرث من قرية (دييالو) وأثناء سير جيش الرث يجرى الناس الذين يمر الجيش بقراهم مصفقين بعصى حرابهم ومعنى ذلك أن الرث لن يعود لهم ثانية حتى يموت . وعندما يخطو

الرث أى خطوة خارج دييالو يتخطى ثورا أسود يوضع فيطريقه كبداية لسير الركب الملكى الذى تتقدمه فى اتجاه فشودة . وفى قرية نيكانج يجر النـــاس ثورا أبيض مغطى بثياب بيضاء يجرونه من ذنبه حتى افشودة التى تبعـد عن قرية نيكانج بحوالى ميلين ويحضر النـــاس حــــراب من قريتى لول وبول لاستخدامها فى حفل التتويج .

وطوال فترة زحف الجيوش يجرى الرسل بين الجيشين يعلمون الناس بمدى تقدم كل جيش ويحمل رجال جيش الرث سنابل الذرة التى يرمزون بها للحراب ويقومون بهزها تهديدا لجيش نيكانج ويرمونها عليهم ولا يسمح باستعمال الحراب الحقيقية . أما جيش نيكانج فهو ينقسم الى قسمين أحدهما يسمى (كوامال) والآخر (كوانى كيوم) يحمل الاول سياطا مصـنوعة من سعف النخيل .

ولايسمح لأمراء العائلات المالكة بالتقـرب من الرث أثناء السـير لانهـم يعتبرون منافسين خطرين فى ذلك الوقت ، وحسب التقاليد القديمة والتى أوقف العمل بها اليوم اذا اغتيل الرث أثناء الموكب يسير الموكب دون توقف ويهجم الناس على أقرب أمير فى سلسلة الوراثة أو حتى عـلى القاتل الذى لم يكن دوره قد جاء ويتم تنصيبه رثا ويستمر الموكب ولذلك يحيط الشــــلك الرث أثناء سير الموكب بحرس خاص وببعض الشيوخ الذين ينبهـونه من حدوث ذلك الخطـــــر .

وعندما يصل جيش الرث الى خور «أريبارجو» بالقرب من فشودة تبدأ المعركة الرمزية بين الجيشين . يأتى الناس بثور ويبطحونه على الارض ويتخطاه الرث ليلاقى جيش نيكانج فى شجاعـة . عند ذلك يعلن قسم كوامال فى جيش نيكانج أن المعركة قد بدأت وفى ذلك الوقت يحمل القسـم الآخر من جيـش نيكانج تماثيل نيكانج وولك ويلوحون بها فى الهواء .

ويبدأ جيش الرث الحرب برمى سنابل الذرة على جيش نيكانج بينما يقوم قسم كوامال من جيش نيكانج بضرب جيش الرث بسعف النخيل حتى ينفض الجيش من حول الرث فيقوم جيش نيكانج باعتقاله ويصير بذلك جنديا فى جيش نيكانج ويعتقد الشلك أن هذه الجرائد فيها نفخـة من روح نيكانج وهى أن هذه الجرائد فيها نفخـة من الحـــالة تدخـــل فى روح الرث . وستمر الكوامال فىتعقب جيش الرث حتى يتفرق الجميع . يذهب الرث بعدها الى دائرة نظيفة من الارض تشبه بحيرة من دون ماء ويدور فيها أربعة مرات وتمثال نيكانج على كتفه وقبل أن يدخل فشودة عاصمته حاملا التمثال تتبعه فتاتان ممن اشــتركن فى سير الجيوش وتصير هاتان الفتـاتان زوجتين للرث فيما بعـد .

وفى فشودة يؤخذ الرث الى أمام قبة نيكانج ويجلس على كرسى التتويج

الفضي والمغطى بقماش أبيض جميل ويوضع حول رأسه تمثالا نيكانج وداك وهما محليان بنوب جميل من ريش النعام الاسود ، ويعني ذلك أن روحهما ترفرفان على الرث الجديد وتكسبانه القوة والمنعة . ويجلس بجانب الرث أكبر مساعديه ورئيس آخر يمسك برجل الرث اثناء جلوسه على العرش ومن حوله يقف بعض الناس حاملين الثياب البيضاء التى تظله وتحميه . ويستمر رجال جيش نيكانج فى هذا الاثناء فى الغناء والرقص بينما تتقمص روح نيكانج الرث الجديد . بعدذلك يؤخذ الرث الى عشه مصنوعةمن القش مجاورة لقبة نيكانج وهذه العشة هى التى نصب فيها أول رث لقبيلة الشلك فى فشودة ويبقى هنالك يومين يرعى الابقار التى جئ بها من ديبالو . ويقوم الرث بهذا العمل فى الصباح المبكر حتى لايراه الناس ويستمر رجال جيش نيكانج فى الرقص والطرب أمام قبة نيكانج وهن يلوحون بتمثال نيكانج وداك. اعباء المنصب وعدم تنازله عنه طوال حياته .

بعد قضاء اليومين يؤخذ الرث الى أربعة قطاطى مبنية فوق مرتفع من الارض يبقى فيها يومين أيضا بعد ذلك تهدم القطاطى رغم جدتها لكي يقوم الرث الجديد ببنائها ويستمر الرقص والطرب ويأتى الشلك من جميع أنحاء المملكة للاشتراك فى الاحتفالات والرقص . ثم يخرج الرث ليجتمع بالمجلس الاستشارى (لوكو) ثم يؤذن له أن يمارس أعباءه كرث للشلك .

وفي أثناء هذا الاجتماع يتحدث الشيوخ واحدا تلو الآخر وبعد نهاية كل خطبة تقرع الطبول كابتهاج بما قيل وتقديرا واعجابا بحديث الشيخ ويقف الرث بعد كل خطبة ويشكر المتحدث على حديثه وعلى أتباعه تقاليد نيكانج وعلى تشريفه بالمنصب العظيم والخطير ويؤكد للناس استعداده لتولى أعباء المنصب وعدم تنازله عنه طوال حياته .

ويبقى رجال نيكانج فى نشوة حتى نزول المطر وعند ذلك يتحركون الى قرية كوام حاملين تمثالى نيكانج واك ويبقى التمثالان فى القرية والتى يعنى اسمها الكرسى بلغة الشلك حتى تتويج رث آخر .

وتفاصيل موت الرث وتتويجه واجراءات التتويج واجراءاتها بالغة فى النظام والدقة وهى تختلف من وقت لآخر خاصة بعد انتظام الحكم الحديث فى البلاد . والمؤكد ان بعض الطقوس التى كانت تتبع زمانا قد تخطاها العصر والزمن . جدير بالذكر ان الرث الحالى كان يعيش فى كدوك ولكنه عاد اخيرا الى فشودة .

المرأة والزواج

يحترم الشلك نساءهم الى درجة كبيرة ويسمحون لهن بالاختلاط بالرجال والحديث معهم ومناقشة الامور القبلية كما تقتسم النساء العمل مع الرجال فى المرعى والزراعة وبناء المساكن بجانب مسئوليات المنزل . والمرأة

لا تغفل العناية بطفلها ففى أثناء العمل تضع الرضيع فى سلة وتحمله معهـا اينما سارت فوق رأسها ، وتمتاز النساء بالقوام المعتدل والجسم المشدود ويتزين بالحلى المصنوعة من المعدن والسكسك الملون • وتلبس الفتاة الشلكاوية قطعة من القماش مزينة بالسكسك أو الخرز فى أطرافها وتربطها حول خصرها بشريط وتسمى هذه اللبسه (أبا نو) عندما تكتمل أنوثتها تلبس لبسه تسمى (اشينو) وهى قطعة من القماش تلف حول الخصر وتتدلى حتى الركبتين ويلبس الشلك زيا من الدمورية يسمى (اللاوو) وهو قطعة قماش تربط فى الكتف الايسر للرجال وفى الكتف الايمن للنساء • ويفضل الشبان صبغ (اللاوو) باللون الاحمر ويضيف الشبان لهذا الزى عقدا جميلا من السكسك يسمى (تيقو) يلفونه حول الرقبة ويتدلى فى الظهر •

والزواج عند الشلك يحدث أساسا برضاء البنت ذاتها وتبدأ حفلة الزواج فى حلقة الرقص حيث يتزين الصبيان ويلبسون الخرز والاساور وعقود السكسك والعاج ويصففون رءوسهم ويعلقون حرابهم ، فاذا اعجبت احدى الفتيات فى حلبة الرقص احد الفتيان ذهب اليها وبدأ يعدد صفاته ومزاياه ، فاذا قبلته الفتاة اقبلت عليه تراقصة وبعد الرقص يفاتحها فى الزواج وغالبا ما تقبل لانها قبلت الرقص معه وقد تتمنع لعدة أيام أو شهور ثم تقبل ويخبر الصبى والدته باسم الفتاة وقريتها • وبعد ان تتأكد والدته من عدم قرابتها لها أو لوالده تذهب دون أن تخبر أهل الفتاة بقدومها اليهم وتدخل عليهم كان الطريق قد جاء بها وتبدأ فى مراقبة الفتاة وتصرفاتها الخاصة ، مثلا هل تجيد صنع طعام الشلك المشهور وهو (المنجاكيلو) والمنجا فوتو وهل تخدم أهلها بكل نشاط فاذا تأكدت من ذلك باركت لابنها البنت ويتم الزواج بعد ذلك • يتأهل الشباب للزواج عندما يبلغ عهد الرقص وعند ذلك يجمع الفتى ثروته • والشلك قبيلة رعوية والزواج عندهم يتم بتقديم الابقار والماعز وهدايا اخرى • ولا يتقدم الشاب للخطبة الا بعد احضار مهره من الأبقار والماعز والخراف • ويذهب العريس مع ثلاثة من وزرائه الى اهل الفتاة ويعطى العريس أم الفتاة عنزتين وبعض المال كهدية لاستمالتها ثم يذهب احد وزراء العريس ومندوب من قبل والد الفتاة للتشاور فى عدد الأبقار التى تدفع كدفعه أولى من المهر • والشلك يدفعون المهر على دفعات وقد يكتمل المهر فى ثلاثة سنوات ويمكن لوالد العروس أن يرفض بعض الأبقار لانها ليست مناسبة •• وطوال هذه الفترة يواصل العريس اهداء والدى العروس هدايا تتكون عادة من السمك واللحم والتبغ والملابس وعندما يكتمل المهر فان والدى العروس يقيمان حفلا كبيرا يقدمون فيه كميات كبيرة من (المريسة) ويدعون العريس وكل أهل قريته وعند ذلك يتقابل الزوجان ويرقصان مع أهلهم وترقص الزوجة مع اصدقاء الزوج • ولا تصحب الزوجه زوجها بعد الحفل ولكنها تقيم مع أهلها لفترة واذا لم يحدث ذلك سريعا فان العريس واصدقاءه يسرقونها • وعند وصول الزوجة الى قرية زوجها تقطع عجائز القرية الأذن اليمنى للخروف ويرشون الماء على الزوجين مباركة لهما بدوام الزواج والسعادة وقبل

أن يأخذ العريس زوجته الى قريته يزورها كثيرا فى قريتها وقد يدخل فى مشاجرة عنيفة مع من يجده يجالسها .

وفى اثناء جمع اقساط المهر يقول لك الفتى الشلكاوى عندما تسأله عن أكتمال المهر (لا ازال اجرى) يعنى مازلت أدفع وهذا القول تسمعه عند الشلك لاى شىء لم يكتمل عندهم . والمهر فى المتوسط عشر بقرات ويدفع لبعض الاثرياء خمسة عشر بقرة وهو الحد الأقصى وهم يدفعون بجانب ذلك الماعز والخراف على الا تتعدى الثلاثين . (ويمكن مقارنة ثراء قبيلة الشلك مع قبيلتي الدينكا والنوير الذين يدفعون فى المتوسط ما بين ثلاثين وعشرين بقرة أى حوالى الضعف) .

والمرأة بعد الزواج تصبح جزءا من عائلة الرجل واذا مات زوجها تحولت الى زوجة لاحد اخوانه أو احد أبناء أبيه بدون مراسيم جديدة وقد يتزوج الرجل من الشلك ثلاث أو اربع مرات أو أكثر اعتمادا على ثرائه ولكل منهن منزلها الخاص واثاثها واكلها وشربها ونسبة الطلاق عند الشلك منخفضة عموما .

الرقص :

رقصات الشلك نوعان اجتماعية ومراسمية الأولى تسمى (بول) ومعناها النقارة أو الطبل والثانية تسمي (يووك) وهى جنائزية وتؤدى بعد اسبوع من الوفاة ثم تعاد بعد أسبوع آخر . وتبدأ رقصة اليووك فى الصباح وتنتهى بعد الظهر . والخلاف الرئيسى بين الرقصتين ان البول تؤدى بكامل الزينة وتربط الأجراس الصغيرة حول السيقان أما الثانية فيحملون فيها الدروع ويلبسون لباس الحرب ويربطون جرسا واحدا حول الخصر . وفى رقصة البول تعلق النقارة على جذع أما فى اليووك فان النقارة اليووك يحاط القبر بالأوانى والسلال التى تحوى الطعام وتقوم قريبات المتوفى بنشر الرمل كل مرة فوق القبر وهن يبكين بصوت ملىء بالحزن .

وفى رقصة البول يستعد الشبان والشابات منذ زمن طويل لحفلات الرقص وقد يبلغ زمن الاستعداد يوماأو يومين يبحثون خلالها عن الاصباغ والزيوتويضعونها على الوجهوالسيقان والاذن والطابور فى أشكال فنيةبديعة للغاية . وللمناسبات القبلية والاجتماعية عند الشلك الوان زاهية من الملابس والزينات فنجد الرجال يتحلون بارياش مختلفه ويلفون أجسامهم بأشرطة قماشية زاهية ويحملون العصىوالحراب اللامعة ويغرسون فى أطرافها الريش أو الصوف الأبيض أو الاسود كما يلبس بعضهم جلود الحيوانات كالقط الخلوى أو القرد أو الفهد . ويسرح الفتى شعره ويغرس فوقه ريشة بيضاء كما يطلى جسمه بالدهن ويغطى بعضهم ذلك الدهن بمسحوق الطوب الأحمر ثم يرسمون عليه أشكالا بالرماد الأبيض فيبدو جميلا جذابا من البعد . أما البنات فهن

يلبسن جلد العجل فوق اللاوو عند الرقص ويتمسحن بالدهن ويتحلين بالخرز والسكسك والقماش الملون ٠

وعند الرابعة ظهرا وبعد عودة السبان من المراعى والحقول والصيد تنصب الطبول في مكان مرتفع فى القرية ويبدأ احد الشبان فى القرع منبها الجميع الى دنو وقت الرقص فتأتى النساء والعجائز ويجلسن تحت ظل شجرة مجاورة ليشاهدوا بناتهم واولادهم فى الرقص وتقدم لهم المريسة ، أما الشبان فيأتون من كل جهه على دفعات قد تبلغ عشرة أفراد للواحدة وهم يحملون عصيهم وحرابهم ويغنون ٠ وعندما يقتربون من الطبل يرسلون صرخاتهم ويلوحون بحرابهم وعصيهم فى شكل هجوم على الطبل ثم يرتدون منه وتسمى هذه الحركة (تحية الطبل) ثم تدخل الى الحلقة أسراب الفتيات ويرقص الجميع على شكل حلقة كل فتى معه فتاته التى أختارته للرقص معها أما الذين لم يقع عليهم الاختيار من الشبان فينتظرون على مضض خارج الحلقة وقد يدخلون الرقص من دون الفتيات .

ويربط الشبان الاجراس حول سيقانهم ثم يقفزون قليلا فى الهواء وهم يغنون على نغمات الطبل ومن حين لآخر يرفعون عصيهم وحرابهم الى أعلا ويدورون وترفع الفتيات أيديهن معهم ويدرن معهم فى حركة منسقة . وفى كل مرة تتسع الحلقة بقدوم مزيد من الشبان والشابات ويستمر الرقص هكذا حتى وقت الغروب وقد يعودون اليه فى الليالى المقمرة ٠

وثروة الشلك تتكون من توضع على الأرض ٠ وفى رقصة النساء ولكنهم يعتقدون أنها أقل الماشية الا أنهم أقل حظا فيها من أبناء عمومتهم الدينكا والنوير ٠ وتحفظ الماشية عندهم فى (اللواك) وهى حظيرة كبيرة تتوسط منزل العائلة فى الخريف وفى الصيف تحفظ الماشية فى زريبة من الشوك ٠ وفى المساء يوقدون النار فى روثها ليطرد دخان الروث الذباب عن الماشية ٠ ولبن أبقارهم قليل يتراوح ما تحلبه البقرة من رطلين الى ستة أرطال ٠ والشلك يزرعون الذرة لغذائهم والذرة المفضل عندهم يسمى (الاقونو) وهو أبيض اللون وقد بدأت تنتشر عندهم زراعة الخضروات والفواكه فى السنين الأخيرة كما أنهم يصطادون ـ السمك ويعتمدون عليه فى غذائهم وفى حصولهم على النقود كما يربون الدواجن . وغذائهم الرئيسى المنجا كيلو والمنجا فوتو بجانب المريسة ٠ أما المنجا كيلو فعبارة عن كرات صغيرة من الذرة تشبه (السكسكانية) وهي تصنع بعد تنظيف حبوب الذرة من قشرتها ويخلطون تلك الحبوب بالسمك أو بعض الخضروات ٠ أما المنجا فوتو فهو عبارة عن حساء من الذرة يضاف اليه المسلى أحيانا ويأكلونه بملاعق من المحار ٠٠ أما السمك فهو غذاء رئيسى عندهم خاصة فى مواسم تكاثره فى النيل والأنهار الأخرى ٠ ويتسلح الشلك بالحربة والعصى والدرع الذى يصنع من جلد فرس البحر ٠ والشلك مشهورون بالمهارة فى صيد فرس البحر ولصيده مواسم عندهم وتعتمد مواصلات الشلك المائية على قارب (الكانو) ويصنع من جذع الشجرة الدوم ويتحولون به بين شاطىء النيل بين قراهم ويحملون عليه أشياءهم

ويحمل الكانو الواحد حوالى سبعة أشخاص ويسمى عندهم (بالشروق) وهم يجلسون القرفصاء فى وسطه ويجلس عامل المجداف فى المؤخرة .

ان الشلك معظمهم وثنيون وبينهم عدد من المسلمين والمسيحيين ويرجع عهدهم الى مملكة الفونج والمهدية حيث كان منهم أميران كما أسلفنا وأول كنيسة تأسست فى منطقة الشلك هى الكنيسة الكاثوليكية فى كل من « لول » و « ديتوك » فى عام ١٩٠٣ .

بعض العادات والتقاليد

(أجواقو) عند الشلك الاله وهم يعتقدون أنه يملك المجتمع ولذلك يلجأون اليه طلبا قوة سحرية يستخدمها لخير هو الساحر أو رجل جوك أى رجل المساعدة والرحمة . ويعتقد الشلك أن هذه السحرية الخيرة ترجع لاسلافهم القدماء من ملوك القبيلة . وحراس قباب نيكانج قد يكونون سحرة وقد لا يكونون لان مجرد حراستهم للقباب لا تعطيهم تلك الخاصية .

أما (جاليات) عند الشلك فهو عكس اجواقو أى انه يملك الروح الشريرة وهم يخافونه كثيرا وهو يمارس سحره سرا بالليل وقد يعتدى الشلك على أى شخص يثبت أن به روح (جاليات) والدايات هى الروح الشريرة فى وسط خطرا أما العين الساحرة فهم يسمونها (يوب) ويعتقدون خلافا للدايات والجاليات انها تورث ابا عن جد .. والشخص الذى يملك هذه الخاصة يحاول اخفاءها عن الناس وهى عندهم تنتج عن الحسد والغيرة والغضب .

والشلك لا يقتلون الثعبان أبدا وهم يحاولون منع أى انسان آخر من غير قبيلتهم من قتله ويعتبرون الثعبان حيوانا مقدسا ومن عاداتهم انهم لا يتكلمون أثناء نزول المطر .

وبالطبع فان كثيرا من عادات الشلك وتقاليدهم قد طغت عليها المدنية والتعليم الحديث الذى بدأ ينتشر بين شبابهم غير أن الشلكاوى مع ذلك مازال يعتز بقبيلته والانتماء اليها والى قريته .

فشودة

فشودة هى عاصمة الشلك التقليدية وهى تقع شمال ملكال على الضفة الغربية بالقرب من مدينة كدوك وينظر اليها الشلك باحترام كبير ويحجون اليها أحيانا .. وفشودة لم تكن معروفة قبل سنة ١٦٧٠ ميلادية حين كان كل رث من الشلك يحكم من قريته الخاصة . أما الطقوس عند التتويج والتى تحدث أغلبها فى فشودة فقد كانت تمارس فى قرية (دينيالو) . وتحكى روايات الشلك عن تأسيس فشودة القصة الآتية :

اسس فشودة الرث (توقو) ابن دوكوت حوالى عام ١٦٧٠ ميلادية وكان ذلك الرث يحكم من الجزء الجنوبى من مملكة الشلك وكان مقره قريته واسمها (باديانق) جنوبى كدوك وبالقرب من فشودة وكان هذا الرث يملك عجلين من دون قرون وكانا دائمى الانفصال عن القطيع فى الرعى وينتجعان مكانا بعيدا من القطيع ويحفران الارض براسيهما فى مكان بالقرب من قرية (باديانق) من جهة الجنو ب. وقد اثارت هذه الظاهرة انتباه الرث توقو وجميع شمائخ القبيلة فاجتمعوا لمناقشة الامر فاتفقوا ان هذه ظاهرة الهية فقاموا بردم المكا ن الذى كان يحفره العجلان براسيهما وصار مرتفعا . وأمر الرث بأن تبنى أربع قطيات لاتزال باقية حتى اليوم بفشودة . وقامت حولها المنازل الكثيرة وعرفت المدينة منذ ذلك اليوم باسم (باكود) وهى كلمة باللغة الشلكاوية معناها العجلين الذين لا قرن لهما وتحرف الاسم بمرور الايام حتى صار (فشودة) وصارت هذه القطيات الاربعة مقدسة و لاتزال أحفاد الرجال الذين بنوا تلك الطيات يتوارثون بناءها حتى اليوم .

وفى فشودة يوجد معبد نيكانج ويسمى (كنجو) وتحيط به اعمدة صغيرة تسمى (أريك) وتوجد معابد كثيرة لنيكانج واحفاده فى قرى الشلك . وتعقد محاكم الشلك امام هذه المعابد ليشهد الاجداد على عدالة الاحكام .

من أغانى الشلك : أغنية تتويج الرث :

والشلك يعشقون الغناء والطرب وقلما تجدهم سائرون دون غناء . هذه الاغنية تردد فى احتفالات تتويج الرث وهى ضمن معزوفات قوات الشعب المسلحة اليوم :

أجاك أقرع الطبل قرعا ليدوى
على أرواح جدودنا
والطبل يدوى عنيفا يارفاقى
وها أنذا السوح برمحى فى يدى
وانا اقرع الطبل فى عنف وحمية
ورمحى فى يدى
وارفع الصوت جهور اثم أصلى
وقل لقد عاد الرث الينا
وقل لقد عاد الرث الينا
لقد نجا الرث وعادت البهجة
وأنا أرفع ساعدى قويا
فتولنى يا الهى وقوى ساعدى

رابعا : قبيلة الانواك :

يعتبر الانواك من ضمن القبائل النيلية التى تنتمى الى الشلك فى كثير من العادات وفى الانتساب الى أصل لغوى واحد .

كما انهم يشبهون فى كثير من مفردات لغتهم قبيلة الجوربيحر الغزال . وأسرتهم الكبيرة (الشلك ـــ لاو) تضم الشلك والانواك والاشولى واللاو ببحيرة فكتوريا واللاو ببحر الغزال والدمبو والشات وكوام والمنانقير والجوبا أو غيرهم من القبائل الصغيرة .

ويسكن الانواك على ضفة نهر جيلا ونهر البارو ونهر اكوبو وفى منطقة البيبور حيث يشتركون مع المورلى . غير أن الجزء الاكبر من القبيلة يسكن فى داخل الحدود الاثيوبية . وكان الانواك يسكنون قديما على نهر سوباط من قمم نهر البيبور الى أسفل النهر عند ملتقى سوباط بالنيل الابيض والى والى الشمال الشرقى من خور مشار وعلى نهر ادورا ومكواى الى الجنوب ولكنهم قد جلوا عن معظم هذه المناطق بعد الحروب العنيفة والمتكررة التى كانت تنشب بينهم وبين جيرانهم نوير الشرق من قبائل الجيكانى .

والقرية هى الوحدة السياسية والاجتماعية الكبرى عند الانـــــواك وتسكن القرية دائما عشيرة واحدة وقد تسكن العشيرة الكبيرة عدة قـــرى ولكن فى هذه الحالة لا يوجد تعاون بين أفراد العشيرة الواحدة فى القـــــرى المتعددة .

والانواك بحكم الغارات الكثيرة التى كانوا يتعرضون لها من النـــوير وبحكم طبيعة بلادهم ووجود ذبابة التسى فى بعض منـــــاطقهم فانهم ميالون للزراعة أكثر من تربية الماشية .

والانواك ينقسمون الى عدة بطون وبجانب هذه البطون توجد عائلـــة النبلاء والتى تسكن كلها تقريبا فى شرق المنطقة وجنوب شرقها .. والقـــرية تشكل وحدة دفاعية قديما ، فهى اما تحيط بها الاشجار والحشائش كحاجز دفاعى طبيعى أو تعمل الحصون على النهر لحماية القرية اذا كانت فى المنطقة مستنقعات أو ذات أرض مفتوحة .. والقرية قد يصـــل أفرادها الى الفى نسمة وقد تكون مابين خمسين الى خمسمائة نسمة . والقرى تعتمد عـــلى الزراعة وتقوم المزارع حول القرية .. والقرى على هذا الاساس تـــكون وحدة اقتصادية منفصلة عن بقية القرى مثلما هى مستقلة دفاعيا .. والوحدة الصغيرة فى القرية هى منزل العائلة وهى تتكون من عدة قطاطى قطية لكل مطبخ واحد وقطية للصغار وأخرى للشباب غير المتزوجين .. وقد تتعـــاون القرى المتجاورة فى حالة العدوان ولكن هذا التعاون مؤقت ولا يخضـــعهم بالضرورة لزعامة سياسية قبلية واحدة . ووحدة القرية عند الانواك تشبـــه القرية عند النوير حيث يكون شيخ القرية هو محور الحياة فيها فان كان قويا كانت القرية قوية وأن كان ضعيفا تفتت وحدة القرية . والزواج هو ســـبب من أسباب الاندماج عند قرى الانواك .

والانواك من ناحية الحكم لهم نظامان : النبلاء فى الشرق والجنـــوب الشرقى ورؤساء القرى فى بقية المنطقة . ففى هذه المنطقة يرأس القرية نبيل يسمى (نايى) .

وهو ينتمى الى طبقة النبلاء التى تسكن تلك المنطقة فقط . والنبيـــل

عنـــــدهم يمتلك الشــــعار الملكى وهو يتكون من خمســـــة خرزات للرقبة وأربعة حراب ومقعدان وموقد حربة وطبل ويعتقدون أن عقد الرقبة المكون من الخرزات الخمسة كان يلبسه جدهم الاكبر (أوكيرو) .

وهو مؤسس العائلة المالكة عندما خرج من النهر حسب رواياتهم . أما رئيس القـــــرية فيـــــدعى كوا آرى أو أبـــو الارض وهم يحترمونه للغاية وهو يمتلك أشياء خاصة تدل على الرئاسة مثل طبـــل القرية والتى لا يحتفظ بها سواه وبعض عقود الحرز الخاصة وبعض الحراب المقدسة . .وهم يغرزون أعمدة مميزة أمام منــزله وهم يقدمون له مختلف الهدايا وفى حالة الفدية يعطون منها بقرة لان القتيل قد قتل فى أرضه . ولكن منصبه رغم ذلك غير مضمون الاستقرار فقد ينتزع من السلطة بواسطةثورة وينصب مكانه آخر والرئيس يجب أن يكون ذكرا ومن أعضاء العائلة الغالبة فى مكان آخر .. والرئيس يجب أن يكون رؤساء قبلــه . ومعظمهم أسباب اقصاء الرؤساء تنتج من عدم مساعدتهم أفراد القرية أو بخلهم وعدم ذبحهم للناس فى المناسبات . والانواك لا يعطون رؤسائهم هؤلاء سلطات تقليدية بل تختلف السلطات من رئيس لاخر حسب مكانته عندهم وهم غالبا مايميلون الى تسوية نزاعاتهم دون اللجوء الى الرؤساء . وقد يحدث أن تعطى قرية رئاستها الى نبيل من النبلاء بدلرئيسى القرية أما لاكتساب الشهرة أو تسوية لموقف ما .

ومعظم الانواك يتزوجون زوجة واحدة غير أنهم يؤمنون ايضا بتعـــدد الزوجات ولكنهم خلافا للقبائل النيلية الاخرى يعطون المهر كله لوالد الفتـــاة ولا يحق لاى أحد آخر من العائلة أو والدة الفتاة مشاركته فيه .. والوالد يلعب الجانب الاكبر فى زواج ابنته فاذا رغب والد أحد الشبان الزواج ابنته أرسل أحد أصدقائه ليتفاهم معه فاذا لم يجد الشاب ممانعة يتفقان عـــلى المهر .. أما اذا رغب أحد الشبان فى فتاة فانه يرسل أحد أصحابه ومعـــه رأس حربته وخرزة بيضاء لوالد الفتاة ويستثير الوالد عندئذ ابنته فان قبلت اتفق الصديق والوالد على المهر وان رفضـــت ردت الى الخاطب الخرزة البيضاء ورأس الحربة .

ويتكون المهر من أربعة بقرات مع بعض الحراب والخـــرز والماعز وفى السنين الاخيرة كثر الزواج بين قبيلتى الانواك والنوير لتجاوزهما فى الارض واذا لم تنجب الزوجة تطلق بعد مدة ويرد المهر للزوج ليبحث عن غيرها .

ومن بعض عاداتهم أن الشجر الذى ينبت فوق قبر أحد النبلاء يعتبر مقدسا وهم كالشلك يعتبرون (جوك) هو الخالق وهم يقدمون القرابين فى حالة المرض والمحن ولكنهم يصلون اليه مباشرة عكس الذين يتصلون بالآله (جوك) عن طريق (نيكانج) .. وهم يقيمون قبابـــا لنبلائهم ويزورونها فى حالة طلب العون . واشهر القباب عندهم تلك التى بالقـــرب من (أوثون) ويعتقدون انها قباب الآله (جوك) وهم يؤمنون بالسحر الذى يجلب الضرر للشخص الاخر مثل الشلك . وفى حالة الولادة فان والد الطفل يمنع من رؤية

مكان الولادة لمدة ثلاثين يوما وكذلك المراة الحبلى والا تسبب ذلك فى موت الطفل .

خامســـا : قبيلة المورلى :

المستر جون بارك هـــو أول من كتب عن المورلى من الذين سافروا لاستكشاف مناطق أعالى النيل وكان ذلك فى كتابه (أسفار فى وســـط أفريقيا) عام ١٨٦٩ ومنذ ذلك الوقت أرسلت حملات عسكرية لاكتشـــاف المنطقة واخضاعها لسلطان الحكومة الاستعمارية . وكان سبب حمـــلات الحكومة عليهم فى الغالب هو غاراتهم على جيرانهم خاصـــة دينكابوز حيث كانوا يستولون على ماشيتهم . والمورلى قوم أشـــداء محاربون ويخافهم جيرانهم كثيرا ويعملون لهم ألف حساب وكانت هذه الحملات تفـرض عليهم الغرامات من أبقار وذرة . .وكانت أهم تلك الحملات فى عـــام ١٩١٢ حيث قامت من بور وتتكون من ثلاثة كتائب من السرية السودانية الحادية عشر .. وقد اخترقت هذه الكتائب أرض المورلى من ثلاثة جهات معتقلة الزعمـــاء ومصادرة الماشية والممتلكات وقد أدى ذلك فى النهاية الى استلام كل الزعماء لسلطة الحكومة .. وأنشئت ادارة عسكرية لمنطقة سوباط ــ البيبور تحت قيادة ضابط انجليزى حتى عام ١٩٢٥ حيث أنشئت ادارة مدنية تتبع لمديرية أعالى النيل وكان لهذه الادارة مفتشان واحد للمورلى والآخر للانواك .. وفى عام ١٩٣٥ أعيد تقسيم مراكز تلك المنطقة ونشـــأ عن ذلك مركز للورلى بالبيبور .

وروايات قبيلة المورلى تقول أن أصل القبيلة من (منطقة جن) هى تقع بعيدا الى الشمال الشرقى من أثيوبيا . وهم يؤرخون هذا المنشأ فى عدة أغانى منها هذه الاغنية :

أوه يا جن .. فمن (جن) جاء أسلافنا الى الارض
وقبضـــوا الماشـــية الســـوداء
فتت التباكو ففى (جن) كان التباكو لذيذا مثل الماشية
اللعنة اللعنـــة على العـــدو الذى وجدناه هنـــا
فهم لن يتـــركوا عجولنـــا تهـــرب من أرضـــها

هذه الاغنية قد دلا تعنى اليوم عندهم كثيرا سوى انها تذكرهم بأهلهم فى (جن) التى ترمز الى الشرق المقدس عندهم ومصدر الحيـــاة والمطر فى عقيدتهم حتى انهم ينامون وهم يواجهون الشرق واذا تحول الطفل أثناء نومه ليواجه الشرق . وعلى العكس من ذلك الغرب الذى يعتبر مصدر الارواح . وقد تحرك المورلى من موطنهم الأول نحـــو نهر أومو الى بحيرة رودلف ثم دخلوا أرض التبوسا ووصلوا الى مرتفعات يوما والى شمال تلال (مازوو) ثم دخلوا فى عدة معارك مع جيرانهم من الدينكا والنوير والأنواك حتى أستقروا فى منطقتهم الحالية . فحددوهم الآن الى الشمال والغرب كونت حديثا نسبيا

وايضا طبل مع النوير والدينكا والى الشرق يجـاورون الانواك والذين لهم مجموعة صغيرة تسكن فى جبل لوفان ولهم بعض الاتصالات مع أولاد عمومتهم من قبيلة لونقاريم الذين يعيشون فى تلال بويا شمال جبال الديدنجـــا . ويتصلون فى الجنوب بقبائل الجيبى والتبوسا فى اعالى نهر الكنجن . وتعيش مجموعة صغيرة . وشرق بوما يتصل المورلى فى مرتفعات يوما فى أقصى الجنوب الشرقى من بلادهم حيث يجارون قبائل السورى او الدهواك وقبـــائل اخرى صغيرة . وشرق يوما يتصل المورلى بقبائل القالا فى المرتفعـــات الاثيوبية .

وارض المورلى تمتلأ بالانهار ومن اهمها البيبور ونانعام وكونق كانق ولوتيلا وفيغينو وكنقن واتوى . هذه الأنهار وفروعها تنحدر من الهضـــبة الاثيوبية وتصب داخل ارض المورلى وتكون كثيرا من المســـتنقعات وتكسر الحشائش والاشجار على شواطىء هذه الانهار أما بقية المناطق فسـهول واسعة مسطحة تملأها الحشائش الطويلة معظم هذه الانهــار تجف فى زمن الجفاف مخلفة وراءها عددا من أماكن الماء المتقطعة وتنتشر اشجار البــوى على شواطىء الأنهار فيغينو ولوتيلا وكنقن بسيقانها الســـوداء الملتوية وأوراقها الخضراء الباهته وهذه الاشجار تميز منطقة المورلى عـن بقية أجزاء السودان .

وفى السنين العادية تمتلىء هذه الأنهار فى شهر يونيو وتبدأ فى الجفـاف سريعا فى شهرى أكتوبر ونوفمبر .

ومع أن المورلى رعويون بطبيعتهم الا انهم مزارعون بالضرورة وتلعب الأحوال الجوية دورا كبيرا فى تشكيل طريقة حيـــاتهم . ففى منطقة بوما الجبلية حيث الارض اكثر خصوبة والامطار أكثر غزارة يزرع المورلى ثلاثة محاصيل فى السنة ولكن نظرا لوجود حشرة التسى تسى فى هذه المنطقة فانهم لا يربون الماشية ولذلك تتكون ثروتهم وخاصة فى المهور من الاغنام والخراف. وعلى الزوجة أن تقوم بفلاحة الارض فى مزرعة أهل زوجها . أما فى منطقـــة نهر فيغينو فالارض ذات طبيعة رملية ولذلك فهم يربون الماشية ويعتمدون عليها . والمورلى هنا يحيون حياة رعوية خالصة ويزرعون نادرا ويعيشون على اللبن والسمك ولحم الصيد وعروق بعض الاشجار والفواكه البرية . أما فى المناطق ذات التربة الثقيلة فهم يعيشون على اقتصـاد زراعى ورعوى مختلط وهم يزرعون هنا الذرة الشامى والتمباك فى مزارع صـــغيرة حول منازلهم وقد يزرعون فى مزارع أكبر ويسورونها بالاشواك لحمايتهـــا من حيوانات الصيد الكثيرة فى المنطقة كما سبق سرد ذكره فى مجال الصيد . وفى هذه المزارع يزرعون أنواعا مختلفة من الذرة وأحيانا للفول والسمسم ومعظم العمليات الزراعية الثقيلة والمحصول تمتلكه المرأة . أما صيد السمك فهو مهنة مختلطة بينما صيد الحيوانات البرية عمل ينفـــرد به الرجال فقط . وفلسفة المورلى فى الحياة تدور حول الماشية حتى أولئك الذين يمتلكونها فهم يربونها أو يتزوجون بها ويأكلون ويشربون منها وينامون على جلدها وتدور

معظم اغانيهم حول الماشية التى يسلبونها من جيرانهم والشبان يعيشون مع الماشية يتجولون معها ويغنون بها . وتلعب الاغنام والخراف دورا كبيرا فى تكملة ثروتهم .

الصيد عند المورلى

والمورلى قوم شديدو الغرم بالصيد وهم أذكياء جدا فى طرق القنص ولهم عدة أنواع من شراك الصيد وهم يدربون الكلاب على الصيد ويبنون الحواجز للاسرة ومنطقتهم ملأى بأنواع الصيد المختلفة ويستمر الصيد عندهم طوال أيام السنة وهو لهذا يكون جزءا هاما فى غذاءهم . ويبلغ موسم الصيد قمته عندما تبدأ هجرة الصيد فى المنطقة تجاه الجنوب فى بداية فصل الامطار وكذلك عند عودته من الجنوب وهذه الهجرة تبدأ فى جبال يوغندا ومنها جبل كاثيا نقور حتى أعالى نهر كنقن والى أميال بسيطة جنوب البيبور ويسمى المورلى هذه المنطقة باسم (شجرة اللحم) لكثرة الصيد فيها . ويحفظ اللحم بتجفيفـــه للاستعمال طوال السنة وكل شاب يصطاد صيدا يقوم بقطع أذنه اليمنى او اليسرى حســـب مكان الضربة القاتلة ويعلق هذه الأذن فى كوخ والدته وهم يفخرون بذلك ، والبنات يفخرون بالشباب الجلودأما الجلود فانها تحفظ فى أماكن الجلوس أو فى اندية كبار السن وهم أيضا يفاخرون بذلك وقد يغرم الفتى الذى لايحضر جلدا للصيد .

وفى أثنـــاء فصل الأمطار يعيش المورلى في القرية شبه المستديمة في المناطق المرتفعة قرب النهر . وفى باقى أيام السنة يتحرك المورلى وراء الماشية والصيد ويبنون فى هذه الأثناء معسكرات مؤقتة تسمى (بول) وعادة يبدأ تحركهم وفي ديسمبر عندما تنتهى هجرة الصيد . وفى أبريل ومارس يبدأون فى العودة لتنظيم الارض للزراعة . والمورلى لا يتحركون ويعودون بشـــكل نمطى منظم بل قد يرحلون الى منطقة وقد لا يذهبون اليها العام القادم .

النـــادى والقرية

والنادى نادى القرية ــ يشكل حلقة هامة فى حياة القرية عند المورلى حيث يجتمع فيه كبار الرجال للحديث وحل المنازعات كما أن حلقة الرقص تشكل جانبا هاما فيه . وهي بالطبع تجذب الى النـــادى كل القرية والنادى هذا عبارة عن شجرة كبيرة ظليلة ويسمونه (رى) وحملات الصيد الكبـيرة أيضا تقرر فى النادى وهى أيضا تجمع عددا كبيرا من أهل القرية وخلاف ذلك فالنادى مكان لاجتماع كبار حكام القرية . والقرية تتكون من عدد من العوائل وكل عائلة تبنى منزلها على شكل دائري وترتبط المنازل أو القطاطى بزريبة الشـــوك لحماية الماشية التى تبنى لها زريبة وســـط الدائرة ومزرعة الذرة والتباكو تقع خارج الدائرة وهى تسور بالشوك أيضا .

والقرية بهذا هى الوحـــدة الاجتماعية والاقتصـــادية والمورلى اداريا

مقسمون الى أربعة أقسام ويسمونها طبول ، وقد بقيت منها الآن اثنتان الا أنهم يعبرون على وجود الأربعة • وعند اعلان أى حكم هام فى قضية يتلون أسماء الأربعة طبول أو الأقسام • وكل قسم عبارة عن منطقة جغرافية محددة تحوى عددا من القرى • ويعتقد المورلى أن رئيس كل قسم يملك الأرض وهذا الرئيس ينتمى الى عائلة (بولانيك) الحاكمة وهذه الطبول الأربعة هى كلينيا وتنقاجيون وهورلى بوما ونقاروتى وتوجد أيضا نقنفاك التى أو قسم لوناريم فى جبال بويا • ويبدو أن تسمية القسم من القبيلة بالطبل سببه أن لكل قسم طبله الخاص • هذه الطبول مقدسة عندهم ويمنع اقتراب أى شخص غير مرخص له بذلك منها • ونظرا لاحترامهم لهذه الطبول وتقديسها فانهم بالتالى يحترمون رؤساء الطبول أو رؤساء الأقسام هؤلاء • ولا يستعمل المورلى هذه الطبول الا فى حالات الطوارىء النادرة كحالات الحرب أو انزال المطر أثر موسم الجفاف الطويل • وبالطبع أدخلت الآن تعديلات كثيرة على هذا النظام نتيجة لوجود مفتش للمركز ومحكمة له وهو الذى يخول الزعماء بالنظر فى بعض القضايا وذلك قل نفوذهم الى درجة كبيرة • ثم أدخلت الحكومة نظام محاكم الرؤساء التى تحكم حسب تقاليد كل قبيلة •

فى حالة وفاة الأب يترأس ابنه الأكبر من زوجته الكبرى رئاسة العائلة وهو الذى يقوم بتقسيم ورثة أبيه من الماشية على بقية الورثة • والمورلى يمنعون الزواج بين أبناء العائلة الواحدة ولذلك فهم يتأكدون أولا من صلات القرابة والزواج قبل السماح بالزواج • والمورلى يحترمون صلات القرابة الى حد بعيد ودائما ينادى الكبير فى العائلة أيا من أبناء أقربائه (بابنى أو بنتى) وهو ينادى ابنه (بابنى ووارثى) • وينادى الصغار الكبار فى العائلة بلقب « والدى » أو « والدتى » مهما كانت درجة القرابة • والزوج يحترم نسبيته الى حد بعيد • والزواج عندهم بجانب أنه رباط بين شخصين فهو أيضا تحالف بين عائلتين ومثلما تفقد عائلة الفتاة فردا فأنه يجب تعويضه بالماشية التى تغادر ملكية عائلة الزوج الى عائلة الزوجة • وهم يقضون ساعات طويلة فى جمع وتقسيم هذه الماشية ويتم زواج الابن الأكبر فالذى يليه • ولكن الأمر يزداد تعقيدا فى حالة الأخوة من الأب فى مثل سن الابن الأكبر من الزوجة الأولى والذى يجب زواجه أولا ويستعان هنا بكل الماشية لدى العائلة مهما تعددت الزوجات •

والزواج يبدأ بطلب من الفتى للبنت ويستمر نقاشهم طويلا وبوجود الأصدقاء واذا قبلت البنت ذهب الفتى لأمها فاذا قبلت واقنع أهله أتى أهله لمناقشة أهل البنت • ثم تبدأ مفاوضات المهر وسط الغناء والحديث عن الأجداد ، وعندما يتم الاتفاق على الماشية تقدم لهم القهوة ويقدم أهل الزوج خروفا أو معزة • وتقديم القهوة ضرورى لأعمال مراسيم الزواج عندهم وهم يستجلبونها اما من منطقة بوما أو من أثيوبيا وهى بمثابة مباركة للزواج • والبنت تفضل فى الزواج لسمعتها ومهارتها فى طهو الطعام وفى العمل فى الحقل • وتفاصيل طقوس الزواج كثيرة لا يتسع لها هذا المجال • ولا يوجد عدد محدد لمهر الزوجة من الماشية ، ويتوقف ذلك على كل حالة • وقد تبدأ

قيمة المهر بسبع بقرات عددا من الأغنام والخراف والذرة وقد يصل العدد الى عشرين بقرة وعددا من الأغنـــام وغيرها من الهدايا • وفي حالة الطلاق تعاد الماشية رغم أنها تكون قد قسمت بين أفراد العائلة عند الزواج ويذهب الأطفال مع أمهم • والمورلى يخافون من السحر ولا يسمحون لمن يعمل بالسحر بالعيش بينهم لأنهم يسببون المرض ويجلبون الشر • غير أن هذه الاعتقادات قد بدأت تختفى ويقل أثرها بظهور التعليم بينهم وبدخـول الدين الاســلامى والدين المسيحي في أوساطهم • ومنطقة المورلى عموما منطقة معزولة ومتخلفة بسـبب العوامل الطبيعية . ويشكو المورلى من قلة الخصوبة وسط نسائهم ولكن بتقدم وسائل المواصلات والخدمات الصحية والتعليمية والمشاريع الاقتصـادية فان المنطقة ستلحق ركب التطور لمـــا يتميز به ســكانها من نشـــاط واستعداد لتقبل الجـديد •

ســـادسا ـ قبيلة البرون :

يسكن البرون فى الجزء الشمال الشرقى من مديرية أعالى النيل فى منطقة المابان وفى عدة جبال وعلى طول شاطىء خور جمجم • وأرضهم منبسطة ذات تلال كثيرة ومعظم أفراد القبيلة يبنون قراهم على سفوح هـــذه التلال ولهذا يعتبر الجبل وحدة قائمة بذاتها من الناحية الادارية والاجتماعية • والقبيلة تعود بأصلها الى ملوك الفونج القـــدماء حتى أن سكان جبل أولو من القبيلة يسمون أنفسهم بالفونج • والبرون مزارعون ولكنهم يربون قليلا من البهائم خاصة الخنازير • وقرى البرون تبعد كثيرا بعضها عن الآخر وذلك لاتســـاع السهول خاصة فى منطقة المابان • والقرية هى الوحدة السياسية فى القبيلة وقد ترتبط بقرى أخرى عن طـريق علاقات الدم والقرابة • ويتكون المنـزل الوحد من عدة قطاطى تتوسطها قطية تستعمل كمخزن للغلال واخرى لحفظ الأغنام والخنازير •

ومن أبرز عاداتهم أن الرجل يجب أن يعمل لعدة ســـنوات فى مزرعة والد زوجته قبل أن يتم الزواج وهذا ينطبق على البرون سواء كانوا فى المابان أو جبل أولو أو خور جمجوم أو خوريابوس أو أولئك الذين فى شمال المنطقة أو جنوبها • ويلى العمل فى المزرعة تقـــديم بعض الأبقار والأغنام والخنازير وأشـــياء أخرى مختلفة كمهر • وباتمام ذلك تذهب الزوجة الى منزل زوجها مباشرة • وقد درج البرون زمانا كتقليد من تقاليدهم على « خطف » الفتـــاة عند اتمام مراسيم الزواج الى قرية زوجها • ويؤمن البرون بالسحرة ويلعب السحر دورا كبيرا فى حياتهم خاصة فى معالجتهم للأمراض ويظهر هذا الاعتقاد خاصـــة فى منطقة المابان •

ويوجـــد « صـــانعو المطر » بين برون منطقة جمجوم ومنطقة واديقا وتختلف الأسماء الآلهة فى المنطقتين فهو فى واديقا « صانع المطر » وهـو فى جمجوم « رجل الآلة » • وعملية انزال المطر عندهم تحدث باحداث الاحتكاك بين حجرين يسميان « حجارة المطر » ثم تذبح معزة كضحية • وعند نزول دم

المعزة على حجار المطر يتم نزول الامطار من السماء حسب اعتقادهم ! ويوجد صانع المطر فى كل جبل • اذا مات الرجل عندهم يتزوج أخوه زوجته ولا يسمح للرجل بالزواج من بنات عمه أو بنات خاله • وصانع المطر فى منطقة البرون يشبه فى وظائفه الاجتماعية والسياسية الى حد كبير الكجور فى منطقة جبال النوبة بكردفان ويبدو تشابههم مع النوبة حتى فى تكوينهم الجسمانى •

التنمية الاقتصادية والخدمات

● حدثني مارتن عضو المجلس التنفيذى طويلا عن الثروة الزراعية فى مديرية أعالى النيل ••• قال :

تمتاز مديرية أعالى النيل بالاراضي المنبسطة الطينية المتسدة ويمكنها بهذا أن تكون مخزن الحبوب الغذائية للاقليم الجنوبى خاصة ومن مناطق الانتاج الرئيسية للذرة والقطن في السودان عامة • وتعتبر منطقة الرنك شمال المديرية أكبر منطقة زراعية فى الاقليم الجنوبى باكمله • وقد تسببت ظروف الأضطرابات فى السابق فى هجران كثير من المزارعين لاراضيهم الزراعيه وبلداتهم • كما أن الفيضانات فى الأعوام الماضية قد غطت أجزاء كبيرة من مركزى بور وفنجاك مما قضى على المجهود الزراعى المنظم فيهما • ولكن بظهور التحسن فى أحوال الأمن فى أواخر موسم ٦٤ ، ١٩٦٥ بدأ المزارعون يعودون الى مزارعهم واقبل اصحاب المشاريع فى الاحوال الزراعية وكان لقيام هيئة الاصلاح الزراعى أثر كبير فى ذلك حيث أممت كثير من المشاريع الخصوصية للقطن وعادت زراعة القطن المصرى وزراعة الحريق كما قام مشروع الأعاشة النموذجى يملكان لزراعة الذرة على غرار مشروع فوز روم الآلى الحكومى بمركز الرنك • كما بدأ التخطيط لاقامة مشاريع مماثلة للمواطنين والعائدين فى مراكز الناصر وبور البيبور واكوبو وبنتيو وفنجاك •

وعن الثروة الحيوانية قال لى :

تشكل الماشية الثروة الرئيسية للسواد الأعظم من سكان المديرية وهى وثيقة الاتصال بحياتهم الاجتماعية كما أسلفنا عند حديثنا عن القبائل المختلفة • وللماشية عندهم مفهوم اجتماعي اكثر منه اقتصادي ولذلك فهى قليلة الفائدة فى حياتهم الاقتصادية ولكنها تشكل المحور الاساسى فى حياتهم الأجتماعية •

وتعداد الماشية حسب تقديرات وزارة الثروة الحيوانية لعام ٧٢ ، ٧٣ كالآتى (آخر تعداد أجرى فى عام ١٩٦٨ وتقدر الزيادة السنوية بنسبة ٦ فى المائة والتعداد لاسباب كثيرة يجب أخذه بحذر) :

الماشية ١ر٩٩٨ر٠٠٠

الماعـز ١ر٣١٨ر٠٠٠

الضـان ٠ر٧٥٧ر٠٠٠

وتحوى المديرية اعـدادا لا حصر لها مـن حيوانات الصيد وخاصـة فى المناطق الشرقية كما تكون الثروة السمكية رصيدا ضخما لم يستغل الاستغلال الأمثل بعد • والابقار هنا يغلب عليها الدم الأفريقي وعلماء السلالات يسمونها بالابقار الافريقية جاءت مـع القبائل النيلية عندما نزحت شمالا مـن افريقيـا الشرقية • وقـد اكتسـبت الابقار فى هذه المديرية مقاومة لبعض الامراض المستوطنه كالديدان ومرض الذباب بالاضـافة الى تحملهـا لعـوامل الطبيعة المختلفة من غزارة الامطار ورطوبة وكثرة المستنقعات • وأبقـار أعالى النيل لا تنتج لبنا كثيرا الا أنها غنية بالمواد البروتينية •

ان بالمديرية مناطق زراعية ورعوية بعيدة عن الأنهار وهى تشكو العطش فى فصل الجفاف • وقد قامت هيئة توفير المياه الريفية بجهود واسعة لمواجهة هذه المشكلة وحفرت عددا لا بأس به من الآبار فى الموقع التى تحتـاج لمياه الشرب للانسان والحيوان وقد نجح عدد من هـذه الآبار وفشل البعض الآخر أما بسبب ندرة المياه أو سبب التراكمات الصخرية • وتعد هيئة توفير المياه فى الوقت الحاضر برنامجا شاملا لحفر المزيد من الآبار •

وتبلغ جملة الآبار التى تم حفرها حتى الآن ٥٣ بئرا نجحت منهـا ٢٩ بئرا واخفقت ٢٤ بئرا وقد تم تركيب الطلمبـات والصـهاريج فى الآبار الناجحة • كما قامت الهيئة باعداد ٧٨ حفيرا للمياه •

وتبلغ حاجة الانسان للمياه فى المديرية ٦ر٩٧٦ر٣٦٠ مترا مكعبا وحاجة الحيوان ٧٩ر٣٩٦ر٣٦٣ مترا مكعبا تسعى الهيئة جاهدة لتوفيرها •

التربية والتعليم :

يبلغ عدد المدارس الابتدائية بالمديرية ٨١ مدرسة ابتدائية للبنين و ٢٥ مدرسة ابتدائية للبنـات وبالمديرية ثلاثة عشرة مدارس ثانوية عامة للبنـين واربع مدارس للبنات • وتوجد مدرسة ثانوية عليا واحدة للبنين بملكال ومعهد للتربية بملكال •

فى فبراير ١٩٧٠ تم فتح معهد ثقافى باسم معهد مايو الثقافى لتدريس اللغة العربية للموظفين والعمال ورجال الأمن والجنود من أبناء الأقليم الجنوبى وذلك للارتقاء بمستوى الأداء ولتعميق مفاهيم الوحدة الوطنية وقد نجح هذا المعهد نجاحا ملحوظا ويضم فى الوقت الحالى أكثر من ٢٠٠ دارس من مختلف

المصالح ويقوم بالتدريس فيه كبار رجال التعليم بملكال ٠

ويقوم معهد التربية بملكال بتنظيم دورات تدريبية منتظمة لمديرى المدارس من الأقليم الجنوبى لتدريبهم على المقررات الجديدة للسلم التعليمى ولتدريبهم على الأدارة والمسائل المالية ومحاضرات ثقافية عامة ذات صلة بعملهم كمعلمين ومديرين للمدارس وكمواطنين ٠

كما استطاع المعهد أيضا تدريب مائتى معلم من مدارس القرى القديمة وهم الذين كانوا يدرسون فى مدارس الكنائس باللهجات المحلية استطاع المعهد تدريبهم التدريب الكافى على أساس المنهج القومى وقد تم استيعاب هؤلاء فى كادر التعليم الابتدائى ٠

وفى مجال محو الامية فقد حدث تطور كبير منذ قيام ثورة الخامس والعشرين من مايو فقد كان عدد فصول محو الأمية قبل الثورة ٢٦ فصلا تضم ٧٦٩ منتسبا أرتفعت بعد الثورة الى ٦٧ فصلا تضم ٢٠١٥ منتسبا كما تم فتح ١١ روضة للأطفال كما أرسلت الى مركز التنمية الاجتماعية بشندى ٨ مرشدات للتدريب على ادارة رياض الاطفال وقد عدن وباشرن عملهن على أكمل الوجوه ٠

أما فى مجال الثقافة العامة فقد فتحت ثلاثة فصول بمدينة ملكال يتلقى المنتسبون فيها محاضرات فى التربية الوطنية والمعلومات العامة وجغرافية وتاريخ السودان ٠

الفطره وراحة البال

وبعد :

ان الحياة هنا فى مديرية اعالى النيل فطرية للغاية ٠٠ لا أثر فيها لتكلف أو مدنية صناعية ٠٠ فالناس ينطلقون فى أول النهار فى الغابات يرعون البقر ويصطادون الغزال ويعيشون بين الطبيعه ـ امهم الحنون ـ وهكذا يمضى النهار ـ فى بشر ومرح حتى اذا فرغوا من عمل النهار ـ عمدوا الى الرقص الجميل يقطعون به الليل الطويل ٠٠ والرقص هناك فن وعبارة للطبيعة البسيطة ٠

أن كل زائر لهذه المديرية بعد ان يشاهد هذه الحياة السهلة يتمنى من كل قلبه لو عاش مثلهم ، لكى يتمتع براحة البال وصفاء النفس اللذين يتمتعون بها ٠

يبقى بعد ذلك كلمة أقولها للمصريين جميعا .. أن الجو فى السودان رائع جدا فماذا يضركم لو قمتم برحلاتكم الى جنوب السودان ؟ ستجدون

المناظر الطبيعية الجميلة هناك بين الغابات وتستمتعون بجو صاف جميل الى جانب انكم ستساهمون فى توثيق العلاقات بين مصر والاخوه فى جنوب السودان من ناحية أخرى .

وكم اتمنى لو نظمت الجامعات والمدارس رحلات الى السودان لكى يدرس الطلاب عن قرب منابع حياتهم فى النيل الحبيب .

الرحلة الثانيـــة (١)

مديرية بحر الغــزال

(١) مايو ١٩٧٤ .

كانت هذه زيارتى الثانية « لواو » عاصمة بحر الغـزال بجنـوب السودان .. وكانت الزيارة ـ كسابقتها ـ مع الرئيس نميرى ، وكانت ـ كاسبقتها ـ أيضا زيارة تتم فى اطار أعياد واحتفالات .

كانت المناسبة فى « واو » هى افتتاح كوبرى « الجور » وهو رافد من روافد النيل الابيض الكثيرة فى تلك المنطقة والكوبرى المقام عليه كان يتم افتتاحه ضمن المنشآت والمشاريع المكثفة التى يبدأ عملها ، أو يبدأ العمل فيها مع أعياد ثورة ٢٥ مايو .

وكانت « واو » مرة أخرى تلك المدينة الجميلة وقد ازدادت جمالا .. كانت الاستعدادات للاحتفال بأعياد ثورة مايو قد اكتملت والمدينة ازدانت بأقواس النصر والزينات .. وكانت جماهير « واو » قد بدأت احتفالاتها الشعبية بالاعياد .. الشعب فى جنوب السودان له أسلوبه وطريقته فى الاحتفال .. الرقص فى الطرقات وعلى أنغام الطبول الافريقية الشهيرة .. الملابس الملونة المزركشة .. الرقص العنيف الصاخب تتبادله الفتيات والشبان .

وكانت زيارة نميرى لواو فرصة ذهبية للشعب فى الجنوب ليبدأ احتفالاته بالرقص والطرب والغناء ، متابعين لموكب الرئيس نميرى مستوقفين الركب فى معظم الاحيان ليشاهد أو يشارك .

الطبيعة تنظم الحياة فى الجنوب

من الزيارة الاولى للجنوب أحببت الحياة فيه .. كل المناسبات عندهم لابد من الاحتفال بها .. بالرقص والغناء .. كل شىء له طقوس وتقاليد خاصة .

بعد افتتاح الكوبرى وفى الاستراحة ، جلست الى بعض الأخوة من الجنوبيين أسأل عن سر ذلك .. سر ربط كل مناسبة بالرقص والغناء .. قالوا .. ان الافريقى يلون حياته بألوان الطبيعة على أرضه .. لعلك لاحظت هذه المنطقة فى الخريف .. خضرة وجمال ونضار .. الطبيعة بكل جمالها وانطلاقها تنعكس على تصرفاته .. على أسلوب حياته .. الملابس الملونة المزركشة .. حبات الخرز التى تتدلى من جيد الفتيات .. حب الانطلاق والغناء والمرح .. كل هذا انعكاس للطبيعة .. الطبيعة توزع الوانها بسخاء على الارض .. وعلى الانسان أيضا .

الانسان هنا منطلق . .يرقص للحياة .. للمطر .. للميلاد .. للزواج .. وحتى للموت والحرب . .لها طقوسها ورقصاتها .. هناك يعيش الانسان كما يجب أن يعيش كل انسان الحياة بحلوها ومرها هى الحياة ولابد أن تعاش ..

حـــــكاية الكجور

والكجور هناك هو زعيم القبيلة ، وهو الساحر وهو الطبيب وهـــو القاضى .. هو القـــادر على انزال المطر وهو الذى يقود افراده الى النصر .. له الحق فى أن يتزوج من يشاء وبأى عدد .. يحترمه الجميع ويرجعـــون اليه فى كل كبيرة وصغيرة .

الاعتقاد هناك بأن « الكجور » له قوى خارقة .. قادر على انزال المطر ، وقادر على امساكها .. يستطيع أن يشفى المريض ويســتطيع أن ينزل البلاء .. له القدرة على ان يقتل من يريد بقوى سحرية .. من هنـــا فهو مركز الاهتمام من كل الافراد ومطاع الاوامر .

سقطة الثور .. والســـــلام

هذه الصورة الاجتماعية تجدها فى المناطق البعيدة عن المدن ، حيث تتمركز القبائل .. سمعتهم يتحدثون عن الكجور « روى » وانه أصـــــبح الآن مواطنا فى المدينة يتمتع بمركز محترم .. ويقابل الشخصيات الرسمية ويجلس معها .. ورأيته .. كان يلبس « البدلة الافريقية » الانيقـــة وكان يجلس الى بعض الوزراء الأقليميين .. لم اشعر بأى قوى خارقة تحيط به بل كان مواطنا عاديا جدا مرح وكثير الابتسام والضحك ..

وسمعت قصته ..

كان قبل السلام وحل مشكلة الجنوب فى صراع مع زعيم آخـــر او بالأصح مع « كجور » آخر .. وصل الخلاف بينهم الى حد الاقتتال .. وبعد الاتفاقية كان سعى الحكومة على حل الخلافات بين القبائل وبين الزعماء بقدر سعيها لأحلال السلام فى كل الجنوب .. من هنا فقد انعقـــد مجلس الصلح بين قبيلتى الزعيمين الكجور « روى » والكجور الآخر .

ولأقرار الاتفاق جرت طقوس تعرف باسم طقوس الاتفاق .. جاءوا بثور صغير .. تجمعت حوله القبيلتان المتنازعتان ومعهم مجلس الصلح .. ثم أتوا بحربة طويلة يطعن بها الثور فى جانب من جوانبه .. وينتظر الجميع النتيجة ..

اذا سقط الثور على جانب الجرح فهذا يعنى أن نزيف الجـــــرح توقف — وهو معنى أشمل لتوقف نزيف الدم بين القبيلتين .. أما اذا سقط الثور على الجانب الآخر فهذا يعنى استمرار الحرب .

قد يبدو ذلك غريبا .. أن يتوقف احلال الســـلام بين القبيلتين على

سقطة الثور .. على الجانب الذى يسقط عليه .. فأما سلام وأما حرب مرة اخرى .. ولكنها على كل حال الطقوس المتعارف عليها ..

وكان أن سقط الثور .. سقط على الجرح .. وتوقف النزيف .. وتوقف أيضا نزيف الأخوة .

تلك قصة عن الطقوس والعادات .. وهى قصص كثيرة .. لكل منها معنى ومغزى ..

أروع ما فى كل ذلك أن الحكومة تباشر معالجة القضايا المحلية فى اطار العادات والتقاليد .. الصلح يتم وفق التقاليد ، العمل يراعى فيه وكل القرارات تتم فى هذا الاطار ، مما يخلق للقرارات بعدا اجتماعيا يتقبله الجميع .

الساعات تهرب بسرعة

وفى الجنوب تهرب الساعات بسرعة فى المدينة الحية .. دائما كنا نجد ما نود أن نراه فيها .. عالم جديد .. ملىء وغنى .. يشدك اليه تتحرك طوال ساعات النهار .. ويظل للغد نصيبا فى الانبهار .. شوارع واو تصخب بالألوان أشجار المانجو والاناناس والجوافة والموز .. جمال خلاب يواجهك فى تجوالك أينما سرت .. الجميع يرتدون ملابس ملونة ويرقصون فى كل وقت على أصوات الطبول والرماح والسهام لا غنى عنها فى كل وقت ..

قصة الخمر

فى الجنوب سمعت عن الحملة التى يقودها أبيل الير نائب رئيس الجمهورية ورئيس المجلس التنفيذى للاقليم الجنوبى ضد شرب الخمر .. وهى المشكلة التى تعوق العمل والانتاج هناك .

الأسباب وراء ذلك تعود الى أيام الشقاق .. كان الجنوب مسرحا للعمليات الحربية .. توقف العمل تماما .. الا فى بعض المرافق الحكومية، معظم المواطنين هناك كانوا بلا عمل .. وفى نفس الوقت بلا أمل .. الخوف من المستقبل والخوف من الحاضر .. ثم ولم يكن هناك الا الخمر يدفنون فيها الخوف ويدفنون فيها المأساة ..

وكانت صناعة الخمور المحلية .. هى أروج الصناعات ابان الحرب المستمرة فى الجنوب ..

وحين حل السلام .. كان سرعة العمل والذى تتطلبه المرحلة

فوق قدوة التجاوز لآثار الحرب الاجتماعية . .وكان لابد من عمـــل مكثف لتجاوز ذلك ..

حددت أماكن بيع الخمور المحلية وقلت نسبتها .

شنت حملة اعلامية مكثفة ضد الخمر ٠٠ قادها أبيل الير بشخصه ٠

واثمرت هذه الحملة .. وبدأ المواطنون تجاوز هذه المشكلة كثيرون منهم انغمسوا فى العمل وبدأوا يدركون أن الوقت الضائع فى شرب الخمر يمكن أن يكون أكثر نفعا .

الأرض للجميـــــع

حكايات الجنوب كثيرة .. ومتلونة .. وهذه حكاية أخرى عن الأرض فالارض هناك مقسمة بين القبائل .. ليست هناك حدود مرســومة ولكن هناك العرف السائد .. كل قبيلة لها حرية الحركة فى اطار أرضها .. اذا تجاوزتها كانت تلك نذر لخلاف مع القبيلة التى تمتلك الارض المعتـــدى عليهـــا .

الأرض هناك ٠٠ مرعى للحيوانات ٠٠ أهمها الأبقار ٠٠ وهى حيوانات مقدسة وهى فى الحقيقة تصوير للموقع الاجتماعى للقبيلة أو حتى للفرد ٠٠ تقاس المكانة الاجتماعية بعدد الأبقار ٠٠ بحجمها وجودتها ٠٠ الأبقار لا تذبح ولا تباع ٠٠ التعدى عليها انتهاك لشرف القبيلة وكرامتها ٠٠ ودونها تراق الدماء ٠٠ هكذا كانت ٠٠ وهكذا ظل الصراع من أجلها ومن أجل الأرض التى تمرح فيها ٠

امتداد الصراع قبل الاتفاق شمل حتى الأرض والأبقار ٠٠ قبائل تسعى لزيادة موقعها الاجتماعى بالحصول على الشارد من أبقار القبائل الأخرى ٠٠ ويظل الصراع فى اطار الصراع الكبير ٠٠ ومع بوادر السلام ٠٠ كانت قضايا المراعى والمنـــاطق تشغل أذهان المسئولين ٠٠ فى مصـــدر للمتاعب بين المواطنين ٠

وفى نفس الاطـار ٠٠ الاطـار المحلى ٠٠ ومن الواقع الاجتماعى ٠٠ تم التغلب عليها أيضا ٠

اداريا أصبحت المنـاطق مقسمة بحيث تســتطيع كل قبيلة أن ترعى بأبقارها فى مناطق معينة ٠٠ أما منـاطق التماس فهى مفتوحة للقبيلتين ٠٠ سنت قوانين محلية تحكم القبائل هناك ٠٠ أصبح هناك اداريون من الدولة يجوبون هذه المناطق يعيشون مع القبائل ويعملون على تنفيذ الاتفاقيات المبرمة

هؤلاء (الاداريون السيارة) كما أطلق عليهم يراعى في اختيارهم القدرة على حل المنازعات والتفاهم مع القبائل ٠

وهكذا ٠٠٠ في الاطار المحلي عولجت القضايا الملحة ٠

العراة ٠٠٠ اختفوا

كانت ظاهرة العرى واحـــدة من المظاهر التى تميز الجنـوب ٠٠ ورغم انى لم أر فردا بهذا الشكل ٠٠ الا أن ما سمعته عنها أوحى لى بأن ما بذل من أجل تجاوز هذه الظاهرة استطاع أن يحقق نتائج سريعة للغاية ٠

الظاهرة فى حـــد ذاتها ظاهرة تعود الى المخلفات الاســـتعمارية ٠٠ والاستعمار حاول أن يترك الجنوب بصورته البدائية ٠٠ بحيث يكون التباين بين الجنوب والشمال كبيرا ٠٠ فى الشمال النهضة العمرانية والحضارية ٠٠ التعليم والثقافة ٠٠ أما الجنوب فيترك على طبيعته ٠٠ يسكن حيث ظل يسكن يلبس ما اعتاد عليه ٠٠ وما اعتاد عليه هو لا شيء تقريبا ٠

فلسفوا ذلك بأن الجنوبى لن يقبل أى شيء غريب عليه ٠٠ حرصه على تقاليده ستقف أمام أى محاولة لتحضيره ٠٠ اذن فالأمثل أن يظل كما هو ٠٠ هذا يعطيه قدرة على الشعور بذاتيته واستقلاله ٠٠ هكذا صوروها ٠

وعلى مدار الســـنوات السبعة عشر ٠٠ كان الصراع يستحوذ على كل الجهد ، فلم تكن هناك جهود للنهوض بالانسان ٠٠ بتغيير واقعه ٠

وبعد السلام تغير واقع الحال ٠٠ العمل الآن يستهدف الانسان فى المقام الأول ٠٠ لنشله من التخلف ٠٠ ونقله الى حضارة القرن العشرين ٠٠ بالرغم من أن الجهد فى هذا المجال يحتاج الى كثير من الوقت الا أن ما تحقق فيه يثير الاعجاب حقــا ٠

لقد سقطت فلسفة الاستعمار ونظرياته ٠٠ لقد كان المواطن الجنوبى فى حاجة ماسة الى من ينقله الى مشارف الحضارة ٠٠ ليواصل وحدة المشوار ٠٠ وهكذا كان ٠

أقبل المواطن فى الغابات الى المدن ٠٠ لبس الأنيق من الثياب ٠٠ بدأ العمل فى المزارع والحقول ٠٠ سكن المنازل الحديثة وتطلع الى الحياة الحديثة ٠٠ بل واستدعيها بأسرع مما تصور الاستعمار ٠

فى تجوالى فى مناطق الجنوب لم تقع عينى على أى شخص عار ٠٠ أغلبهم ارتدى (الجلابية) السودانية وبعضــهم ارتدى البنطلونات ٠٠ يميلون دائما الى الألوان الزاهية والمتعددة ٠٠ وهى ظاهرة تعكس الطبيعة هناك بصدق ٠

حكاية الآلات الموسيقية

لفت نظرى فى واو مجموعة من المواطنين الجنوبيين يحملون آلات موسيقية صغيرة صنعوها بأنفسهم وهى شبيهة فى شكلها الى حد كبير (بالبيانو) فى حجم صندوق صغير يمكن حمله فى اليد الواحدة ٠٠ وكان معظم هؤلاء يعزفون عليها بأنغاما جميلة ٠٠ وقد علمت أن هذه الآلات الموسيقية هى عامل مساعد لهم فى السير ٠٠ فالجنوبيين يجوبون مناطق شاسعة من المدينة (واو) الى قراهم التى تبعد بمسافات طويلة ٠٠ يأتون فى الصباح لمزاولة أعمالهم ، ثم يقضون الوقت حتى المساء فى المدينة ٠

وعند بداية غروب الشمس ترى منظرا رائعا للمواطنين وهم يمضون الى قراهم فيما يشبه الطابور العسكرى ٠٠ فالطريق يمر فى الأغلب وسط حشائش عالية ٠٠ تصل الى منتصف الرجل وهو طريق ضيق يسيرون فيه واحدا خلف الآخر ٠٠ ويسير حامل الآلة الموسيقية فى المقدمة وهو يعزف على آلته الموسيقية أنغاما تتماشى مع حركة الأقدام ٠٠ وهكذا حتى يجدون أنفسهم فى قراهم ٠٠٠ أحيانا قد يستبد بهم الطرب فيقفون فى منتصف الطريق ليباشروا الرقص والغناء ٠

الليل فى الجنوب

والليل عندهم أجمل الاوقات ٠٠ هو وقت الراحة والرقص والغناء ٠٠ يهتم كل مواطن بالليل ٠٠ ليجتمع الأخوان والاصدقاء ٠

جلسات المساء عندهم تسمى (الترم ترم) هو تعبير مستمد من صوت النغمة الموسيقية ٠٠ فهو تعبير عن الجلسة الغنائية حيث سيكون هناك مغنى وراقصون ٠٠ فى جلستهم يلتزمون بالاسلوب الاوروبى فى الرقص بكل قواعده ٠

الليل هناك أنس وسمر ورقص ٠

انتخابات مجلس الشعب

لا أنس فى غمرة الحكايات الطريفة فى الجنوب ٠٠ ان زيارتنا الثانية ـ والتى جئناها فى ركب نميرى ـ كانت تؤكد كل مرة شعبية هذا الرجل ٠٠ بالرغم من أن الزيارة لم يتم اعلانها الا قبل بدئها بليلة واحدة فقد شعرت بان بحر الغزال كلها فى استقباله ٠

وكعادتهم أستقبلوا الرئيس نميرى بازهى ملابسهم كأنهم فى يوم عيد ، وانطلقوا مع موكبه بالاقدام والعربات ٠ لفت نظرى ٠٠ الشعارات المرفوعة ، بالعربية والانجليزية ٠

الاشتراكية .. لنهضة الجنوب .

٢٥ مايو لتحقيق العدل الاجتماعى .

نميرى يحقق السلام والاشتراكية .

وهكذا أصبح الجنوب فى بوتقة الثورة .. دعوة لاشتراكيتها ورافعا لشعاراتها .. واصبح الاتحاد الاشتراكى بكل وحداته فى الأقليم الجنوبى مركزا للعمل السياسى الفعال .

وأبرز ما يمكن أن يقدم هى انتخابات مجلس الشعب .. لقد سجلت الأرقام ارتفاعا كبيرا فى بعض الدوائر .. بلغت نسبتها أكثر من ألف .. وكلهم مارسوا حقهم فى الانتخابات .

صورة لم تكن موجودة من قبل .. بل ان الجنوبيين لم يمارسوا من قبل حقوقا سياسية بهذه الصورة ، ولكنهم حين أعطى لهم هذا الحق مارسوه وبكفاءة .

كانت عمليات الترشيح والتصويت ثم الليالى الانتخابية صورة للواقع السياسى الجديد .. المشاركة الفعالة .. بل والقدرة على اختيار الفرد الأصلح .

وهكذا جاء السيد بونا ملوال نائب وزير الاعلام السابق نائبا فى مجلس الشعب عن دائرة .. بمديرية بحر الغزال .. وهكذا جاء السيد أروب بور .. وزير الاشغال الاقليمى .. وعدد من السياسيين الجنوبيين .

الصورة الآن فى الجنوب ملونة بالوان الطبيعة .. زاهية فى كل جوانبها اجتماعيا يقبلون على الحياة كما يجب .. سياسيا يشاركون بفاعلية .. اقتصاديا تجد العمل والانشاء فى كل مكان .. ويقبلون هم على العمل بعد أن تجاوزوا سنوات الضياع والرهبة والخوف .

مناقشات فى (واو)

مديرية بحر الغزال هى أحدى المديريات الثلاث التى يتكون منها الأقليم الجنوبى لجمهورية السودان الديمقراطية وهى المنطقة التى يرويها بحر الغزال وروافده . وتحتل هذه المنطقة الجزء الجنوبى الغربى من جمهورية السودان الديمقراطية . وتمتد هذه المديرية فى الغرب على حدود السودان مع جمهورية آفريقيا الوسطى وتمتد من ناحية الشمال على حدود مديريتى كردفان ودار فور

وفى الشرق تلتقى بمديرية أعالى النيل عنـد مشـارف منطقة السـدود وفى الجنوب تلتقى حدودها مع المديرية الاستوائية وتقع بين خطى عرض ٦ ، ١٠ درجة شمالا وبين خطى طول ٢٤ و ٣٢ درجة شرقا ٠

وتقدر المساحة الكلية لمديرية بحر الغزال بـ ٢١٤ر٠٠٠ كيلو متر مربع أو ٨٢ر٥٠٠ ميل مربع ٠

ولقد عانت هذه المديرية فى الماضي مـن ظروف عـدم الاستقرار والامـن الكثير اذ تعثرت فيها نتيجة لتلك الظروف حركة التطور الاقتصادى والاجتماعى وساعدت على زيادة نسبة التخلف فيها اذ هجر الكثير من المواطنين ديارهم الى الأقطار المجاورة والى داخـل الغـابة فنقص عـدد سـكانها وتأثر النشـاط الاقتصـادى والبشرى فيهـا واصـبح يقوم عـلى انتـاج بدائى لا يكفى لسد احتياجاتهم الغذائية دون التفكير فى المشاركة فى التطور القومى والمحلى ٠

وبعد توقيع اتفاقية السلام باديس أبابا فى مارس ١٩٧٢ وعودة الحياة الطبيعية الى هذه الربوع بدأت أعداد كبيرة من المواطنين فى العودة الى ديارهم (وقد قدر مكتب اللاجئين التابع للامم المتحدة عددهم بحوالى ٢٥ر٠٠٠ لاجىء فى جمهورية أفريقيا الوسطى) وبدأ هـؤلاء فى الاسـتقرار وممارسة حياتهم العادية ٠٠

السطح والتضاريس

وصمت محدثى ازايا كولنك مابور محافظ واو وهو يشرح لى الأمكانيات المتوفرة فى هـذه المديرية ويعطينى فكرة مبسـطة عـن التكوين الاجتماعى والنشاط البشرى فى المديرية ٠٠ قال وهو يعود الى بعض مراجعة (١) :

من الناحية الطبوغرافية يمكن تقسيم مديرية بحر الغزال الى قسـمين طبيعيين :

(أ) السهولة التراسبية الطينية : ـ

وتحتل الجزء الشمالى الشرقى من المديرية وهى سهول خصـبة تصـلح للزراعة وتكثر فيها الغابات والأحراش وتحتل ثلث مسـاحة المديرية وهـذه المنطقة عبارة عن مثلث قاعدته خط يمتد من مدينة برول فى الجنوب الى مدينة أويل فى الشمال وضلعاه أحدهما فى الشـمال على امتداد مديريتى كردفان

---

(١) ـ راجع كتاب السلام والبناء ٠٠ مديرية بحر الغزال مطبوعات وزارة الثقافة والاعلام ـ ابريل ١٩٧٤ ٠

ودارنور والضلع الآخر فى الشرق على امتداد منطقة السدود غرب بحر الجبل وقد تكون هذا السهل من ترسبات الطمى التى تحملها روافد بحر الجبل وبحر العرب وبحر الغزال ٠

(ب) الهضبة الحديدية الحجرية : ـ

وتقع الى الجنوب والجنوب الغربى من السهول الترسبية الطينية وترتفع تدريجيا نحو الجنوب وهى عبارة عن تضاريس التوائية تتخاللها روافد بحر الغزال وبحر الجبل وتشمل نهر لو ، واو ، التونج ، الجور ، وتنحدر شمالا عبر هذه المنطقة لتكون السهل الشمالى مما تحمله من طمى ٠

تصريفا المياه :

يتضمن القطاع الغربى من هذه المنطقة منخفض حوض بحر الغزال والذى يقع الى الغرب من خط طول ٣٠ درجة شرقها وبحر الغزال رافد مـن الروافد التى تتصل بالنيل وخاصة من ناحية الغرب وتتجمع مياه روافد بحر الغزال عند خط تقسيم المياه الذى يفصل بين حوض نهر النيل وحوض نهر الكونجو تتجمع أيضـا المياه مـن المنحدرات الجنوبية والجنـوبية الشرقية بجبـل مره والمرتفعات الاخرى فى جنـوب غرب دافور ومع ذلـك فأن معظم هذه الروافد والمجارى المائية والتى تنتشر على مدى دافور واسع تفقد الكثير من مياهها التى تتجمع فى مساحات كبيرة من المستنقعات ٠

أن مجموعة الروافد الكبيرة والتى تبلغ عـددها ثمانية مجـارى نهـرية تنساب الى المستنقعات المنتشرة حـول مشروع الرق ويبـدأ من عندها مجرى بحر الغزال الرئيسى ونذكر من هـذه المجارى النهرية التى تتخذ مـن منطقة المستنقعات موقعا لنهاية الجريان المائى فيهـا : نهر باى ، نهر وهـل ، نهر مريدى ، نهر النعام ، نهر جل ، نهر ملكال ، نهر التونج ، خـور جلمار ٠٠ ولعلنا نلاحظ ان نهر الجور يمثل الرافد النهرى الوحيد الذى يتصل الجريان المائى فيه اتصالا مباشرا ببحر الغزال والذى يتخذ مجراه فى الارض الواقعة شمال المستنقعات عند مشروع الرق بالاضافة الى أن نهـر لول ونهر عـرب يلتقيان معا ويمران فى مجرى محدد يبلغ طوله ٨١ كيلو متر لكى يقترن ببحر الغزال شمال مشروع الرق ٠

ومهما يكن من أمر فأن مجرى بحر الغزال لاتكاد نتبينه الابعد حـوالى ٣٢ كيلو متر من مشروع الرق حيث يتسـع المر ويبدو عريضا كأنه بحيرة عرضها حوالى الفى متر وطولها ١٦ كيلو متر ولا ينخفض عن هـذا المجرى سوى جريان هزيل بشكل ملحوظ يسترعى الانتباه وينساب هـذا الجريان الهزيل الذى يتجمع من اقتران بحر الغزال بكل من بحر العرب ونهر بور فى اتجاه الشمال الشرقى الى بحيرة نو وهذا الاقتران هو الذى يظهـر بحـر

الغزال كرافد للنيل الابيض وهذا الجريان لايؤدى الا الى اضافة قليلة لاتزيد كثير عن حوالى نصف مليار متر مكعب فى السـنة أو ما يعادل ٦٪ من الايراد الطبيعى السنوى للنيل ٠

ونعتمد فى معلوماتنا عن نظام الجريان المائى فى انهار ذلك الحوض على حصيلة تسجلها محطات رصد تصريف المياه تتمثل بعضها فى مدينة واو عـلى نهر الجور حيث انشئت سنة ١٩٠٤ وفى بلدة نياميل على نهر اللول وفى بلدة التونج بكوبرى نهر النوتج ٠

ولابد من القول ان الخسارة التى يتعرض لها الجريان المائى فى روافد بحر الغزال فادحة وكبيرة الى حد بعيد كما يمكن القول بأن حجم الفائض من هذا الحوض الكبير لاتزيد عن ٣٪ من كمية المطر السنوى التى يستقبلها اذ تبلغ هذه الكمية ٢١٢/٤ مليارا من الامتار المكعبة وتضيع أكثر من ٩٩ر٧٪ من تلك الكمية فى منطقة المستنقعات كما أسلفنا ٠

● المنـــاخ :

تقع الاجزاء الشمالية من هذه المديرية تحت نطاق المنـاخ السودانى القارى الذى يمتد عبر أفريقيا ويسود هذا المناخ موسمين أحدهما شـديد الحرارة جاف والآخر رطب غزير الامطار وتهب الرياح الباردة فى فصـل الشتاء ويكون معدل الرطوبة النسبية أقـل وبسبب هـذا التغيير المفاجىء للمنـاخ متاعب لسكان تلك المنطقة ٠

أما الجزء الجنوبى من المديرية فيتمتع بمناخ السافانا الغزيرة فتقل فيه فترة الجفاف والحرارة وتزداد كمية الامطار حتى تصل الى حوالى (١ر٠٠٠ ملم أو ٤٠ بوصة) فى شمال هذا النطاق الى (١ر٥٠٠ ملم أو ٦٠ بوصة) فى غرب وجنوب المديرية والفصل المطر فى هذا الجزء اطول من سابقة ومدى الحرارة فيه اقل من المدى الحرارى فى شمال المديرية أما فصل الشتاء هـو الفصل القصير والذى ترتفع فيه درجة الحرارة نسبيا ٠

تاريخ مديرية بحـــر الغـــزال

بالرجوع الى بعض المصادر التاريخية الحديثة نسبيا نجد أن السـودان بحدوده المعروفة حاليا لم يكن دولة واحدة فى القرن الماضى ٠

كيف ؟

تشير هذه المصادر الى أنه كانت تقوم فى السودان عدة دويلات تحكم منفردة ولم تستطع اى من تلك الدويلات أن تفوز بحـكم بـلاد السـودان والدويلات التى عرفناها فى تاريخ السودان حق تلك التى قامت فى أواسـط

البلاد كمملكة سنار مثلا لم تضم تلك الدولة أى جزء من الاقليم الجنوبى كما أن التاريخ لم يذكر لنا أى مملكة قامت فى تلك الجهات الجنوبية والتى منهـا مديرية بحر الغزال وان تمتد رقعتها وسيطرتها على أى من الاقاليم والمناطق التى فى شمالها وأغلب الظن ان المديرية كانت تحكم بواسطة سلاطين القبائل كـل فى دائـرة محـدودة .

فتاريخ المديرية المدون بدأ مع فترة الحكم التركى فى السودان فى القرن التاسع عشر الميلادى . اذ ازدادت حركة التجارة مع تلك المنطقة والاجزاء التى بسط عليها الاتراك نفوذهم فى الاقليم الشمالى وقد وصلت فرقة كشاف محمد على باشا الى مشارف بحر الغزال سنة ١٨٤٠ وبعد منتصف القرن التاسع عشر الميلادى نشطت حركة التجارة نشاطا ملحوظا مع هذه المنطقة وكانت تجلب منها بضائع مشهورة مثل سن الفيـل وريش النعام وفى تلك الظروف استطاع احد التجار من أن يبسط نفوذه وسلطانه على تلك المنطقة وقد دانت له سيطرة السلاطين والقبائل فى فترة وجيزة وأحد مراكز المديرية الآن (ديم زبير) يحمل ذكراه وقـد كانت تلك بداية انضمام مديرية بحـر الغزال للنفوذ التركى وعند قيام الثورة المهدية وانتشارها فى انحاء البـلاد المختلفة هبت هذه المديرية أيضا بقيادة احد التجارى ويدعى كرم اللـه كرسـكاوى .

وكان ذلك فى سنة ١٨٨٤ وبعدها كما دخل السودان الشمالى فى فترة الحكم الانجليزى المصرى بعـد القضاء على الثـورة المهدية خضعت هـذه المديرية للحكم الثانى فى سنة ١٩٠٢ وحتى استقلال السـودان .

وتعتبر مديرية بحر الغزال من أقدم المديريات فى السودان من حيث التقسيم الادارى اذ خضعت للحكم التركى القديم لفترة من الزمن كما وصل الى أطرافها حكم المهدية وكما ذكرنا فقد دانت للحكم الثانى سنة ١٩٠٢ واعتبرت فى سنة ١٩٥٠ ضمن الثمان مديريات الكبرى فى السودان .

وقد افتتحت المراكز التالية بها فى سـنة ١٩٠٢ وهى مراكز واو ، التونج ومبيك ، وشامبى كما تم افتتاح مركز راجا سنة ١٩٠٧ وانشىء مركز اويل فى سنة ١٩٢٣ .

السـكان :

ويقطن مديرية بحر الغزال حسب آخر التقديرات السكانية حوالى مليون نسمة منهم حوالى ٣٪ فى مدن المديرية وتنتشر الاغلبية الباقيـة فى مناطق الريف المختلفة وتسكنها مجموعات قبائل مختلفة فمنهم النيليين ومنهم الحاميين النيليين .

والتوزيع الجغرافى لهذه القبائل كالآتى :

● **الدينكا : ـ**

تقطن مجموعات قبائل الدينكا فى شمال وشرق المديرية وفى منطقة السدود والمستنقعات وينتشرون فى أغلبية مناطق المديرية المختلفة ماعدا غربها وهم يكونون حوالى ٩٠٪ من جملة تقديرات السكان وتعتمد قبائل الدينكا فى حياتها على تربية الماشية وهى مرتبطة ارتباطا وثيقا بعادات وتقاليد الدينكا ويقل اعتمادهم على الزراعة على الرغم من توفر الاراضى الخصبة فى مناطقهم وتعتمد حياتهم فى الاربعة اشهر الأولى من كل عام على الرعى والصيد وفى أيام الفصل الممطر يقومون بزراعة بعض المحصولات الغذائية كالذورة والفول السودانى والسمسم ثم يتوجهون مرة ثانية بماشيتهم الى الرعى ..

● **قبائل البنقو : ـ**

ويسكنون السهول المرتفعة وهم يمتازون بالوداعة ولين الجانب وحب العمل والفرق بينهم وبين جيرانهم من الدينكا فى لون البشرة كنسبة الفرق بين لون تربة القبيلة الواحدة وتربة الاخرى فتربة البنقو حمراء فاتحة لما فيها من معدن الحديد وتربة الدينكا طينية سوداء ولذلك ترى لون الدينكا أسود ولون البنقو أحمر فاتحا وهم عرفوا استخراج الحديد والاشتغال به .

● **قبائل قولوا : ـ**

وهم يسكنون غرب البنقو ويشبهونهم فى هيئاتهم وأخلاقهم وعاداتهم .

● **قبائل الجور : ـ**

وبلادهم بين الدينكا والبنقو وهم يرجعون فى أنسابهم الى قبائل الشلك فى مديرية أعالى النيل ويتكلمون لغتهم ولا يعنون باعتناء الابقار كغيرهم من القبائل الأخرى بل يعنون بالزراعة ويشتغلون بالحديد ولهم معرفة بحفر الخشب وعمل التماثيل .

● **قبائل الشيرى : ـ**

وهم مجاورون لقبائل النيام نيام فى اقصى بحر الغزال وقد اشتهروا بالقوة والنظافة وحب العمل وسماحة الخلق مع القدرة على تحمل الصعب والتعب .

● **قبائل الآقار : ـ**

وهم فرع من قبائل الدينكا ويسكنون منطقة نهر الرول .

● **قبائل المورو : ـ**

على نهر ياى فى جوار الآثار .

● **قبائل الديور : ـ**

وهى فرع من قبائل الشلك ويسكنون غرب الدينكا .

● **قبائل الزانرى : ـ**

تقطن مجموعات منهم فى جنوب غربى بحر الغزال عند حدودها مع المديرية الاستوائية كما تتواجد مجموعات منهم فى ديم زبير فى أقصى بحر الغزال .

● **قبائل اندقو : ـ**

تقطن هذه المجموعات أواسط المديرية الى الغرب من قبائل الجور والبنقو .

الحياة الاجتماعية

عندما سألت عن ملامح الحياة الاجتماعية فى مديرية بحر الغزال قيل لى أن الحياة القبلية تمثل الرابطة العضوية التى ينتمى اليها الافراد ولكل قبيلة عاداتها وتقاليدها ومعتقداتها ومن هذه العادات الكجور والسحر وكذلك نجد عند الدينكا ما يعرف بشيخ المطر وهو شخصية دينية لها نفوذ سياسى . وهو رمز الوحدة القبيليه وهو الذى يدعو لرجال القبيلة بالانتصار فى معاركهم والتقاليد القبيلية عندهم لاتعتمد كثيرا على الوراثة فى سلطنة القبيلة وهناك أيضا المحاكم الخاصة بكل قبيلة وممثلوا السلطة المركزية .

وهذه التقاليد تحتل مكانا بارزا فى الريف ضمن التركيب الاجتماعى القبلى ومن هذه العادات والظواهر ايضا ظاهرة تعدد الزوجات والمظاهر الاخرى التى تتعلق بها .

● **الدين :**

وفيما يختص بالدين نجد أن الغالبية العظمى مازالت على وثنيتها ومعتقداتها التى لاتمت الى المسيحية والاسلام بصلة .

فالمسيحية رغم التشجيع الذى وجدته من الحكومة قرابة نصف قرن من الزمان لم تتأصل حقيقتها فى نفوس من أعتنقوها عن طريق المدارس

والتبشير والاديان لم تمس الا نسبة ضئيلة من السكان وهذا العدد موزع بين كاثوليك وبروتستانت ومسلمين بعد ان سمح للاسلام بالانتشار فى عهد الحكومة الوطنية .

ولقد لجأت سلطات بحر الغزال في عهد الحكم الثنائى وتنفيذا لسياسة السكرتير الادارى آنذاك والتى تعتمد على خلق وحدات عنصرية أو قبيلية فى جنوب السودان لجأت سلطات بحر الغزال الى عزل المديرية عن جاراتها فى الشمال كردفان ودار فور لكى تبعد عنها النفوذ العربى الاسلامى ومحو آثاره مستعينة فى ذلك بالجمعيات التبشيرية فرحلت قبائل بأكملها من تلك المنطقة تذكر منها قبائل الكريش وقبائل بلندا من مناطق سكنها جوار القبائل المسلمة فى الشمال الى مناطق نائية بعيدة كل البعد عن اى أثر عربى اسلامى (١) .

لقد كانت الجمعيات التبشيرية فى أوربا بوجه عام وفى السودان بوجه خاص سافرة فى عدائها ومناهضتها للغة العربية لانها كانت ترى فى تلك اللغة آداة عملية وطيعة لنشر الدين الاسلامى لذلك اصبحت محاربة اللغة العربية من أركان سياسة الحكومة الاستعمارية والدليل على ذلك ماجاء فى تقرير حاكم السودان لسنة ١٩٢٧ ولاغرابة اذا فى أن تدعوا حكومة السودان آنذاك الى عقد مؤتمر للنظر فى أمر السياسة اللغوية وكان ذلك فى سنة ١٩٢٨ وأهم قرارات ذلك المؤتمر تطوير اللهجات المحلية واستعمالها بجانب اللغة الانجليزية مع استبعاد اللغة العربية استبعادا تاما عن جنوب السودان وتم الاتفاق على أن تكون اللغات الرسمية ست لغات جنوبية وهى :

دينكا ــ باريا ــ نوير ــ لاتوكا ــ شلك ــ زاندى .

والاسباب التى ادت الى استبعاد اللغة العربية نهائيا كما جاء فى قرارات مؤتمر الرجاف هى أنها ــ أى اللغة العربية ــ ستؤدى الى تشرب اتجاه الشماليين فى الحياة ونظرتهم اليها .

ولا داعى هنا لسرد بالتفصيل قصة استئصال اللغة العربية واستبدالها باللهجة المحلية واللغة الانجليزية فأمر تلك القصة معروف فى بحر الغزال حيث كانت اللغة العربية قبل مؤتمر الرجاف هذا واسعة الانتشار عميقة الجذور وحيث كانت تستعمل فى كتابة الكتب البسيطة للصلوات والتراتيل للمسيحيين الجنوبيين .

● **الفنون الشعبية :**

لاحظت أن مديرية بحر الغزال زاخرة وغنية بفنونها الشعبية والتى

---

(١) راجع تقرير حاكم السودان لعام ١٩٢٧ .

هى جزء من التراث الثقافى لهم وهى تحكى بصدق مشـــاعر القبيلة وعمق احساسها وتحكى قصة حياتها بتقاليدها الراسخة والتى تجـد من افرادها التمسك والاحترام والرقص هو أحد الفنون الشعبية فى هذه المنطقة ويشترك فى آدائه رجال ونســـاء واطفال القرية .

ولقد قيل لى أن المديرية تضم ١٥ خمسة عشر رقصـــة مختلفة وبهـــا ٦ فرق للفنون الشعبية والتى تمثل بحر الغـــزال فى المناســـبات القومية . واشـهر هـــذه الرقصـــات هى :

● رقصـــات قبيلة الدينكا :

وهى دائما تعبر عن فكرة أو مناسبة خالدة فمنها رقصات الحرب حيث تستمع الى ضربات النقارة تنادى جميع أفراد القبيلة للتجمع والاســـتعداد وعنـــدما يبـــدأ الرقص فانك تســـتمتع بحركات ايقاعية وهم يعبرون عن اتجاهاتهم برشاقة وفى وقت واحد كأنها ضربة شخص واحـــد .

ومن هذه الرقصات أيضا رقصـــة ملوال العاطفية وفيها يغنـــون الى كجورهم ويمدحون ثورهم . ثم رقصة الصقر وهى عادة يقوم بهـــا الفتيان والفتيات عندما يحوم الصقر على جثث اعدائهم وفى الرقصة حركات بهـــا رشاقة التداخل بين الفتيان والفتيات أثنـــاء الرقص كمـــا تفعل الصقور فى الفضاء وهى تبحث عن فريسة تنقض عليها . والدينكا عموما يرقصـــون فى المناســـبات السعيدة ويستخدمون فيهـــا من الالات الموســـيقية الطبـــول (العصـــا والنقارة) .

● رقصات الجور :

لقبيلة الجور نوعان مى الرقص (الأدو والسيريا) وترقص الادو بسرعة وحيوية فائقة ويستخدم فى رقص الجور مى الآلات الموسيقية الطبل والعصا والبوق . والجور عموما يرقصون فى المناسبات الحزينة مثل الوفاة وموسمهم المفضل للرقص عادة فى شهر يوليو .

● رقصات الكريش :

لديهم ثلاثة رقصات هى :

١ ـــ الكاما : ويؤديها عموما الشباب .

٢ ـــ السنبالا : ويؤديها الشباب أيضا .

٣ ـــ النجابندا : وترقص عادة فى احتفال القبيلة بأبطالها وتحمل الحراب خلال الرقص .

ورقصهم جماعى يستخدم فيه الطبل والخورخـور والمناســبات التى يرقصون فيها الفرح والحزن .

● **رقصات قبيلة الاندقو :**

١ ـ الرونقو : والذى تبنوه من قبيلة الورو وهو أكثر رقصهم شعبية .

٢ ـ الروندقو : وهو رقصة الاندقو الحقيقية وهو منتشر الآن بين كبار السن من رجال القبيلة .

٣ ـ الميرادا : يرقصها الشباب فى الأمسيات .

٤ ـ النجابندى : وهى الرقصة التى تحتفل فيها القبيلة بأبطالها ورقصهم عادة جماعى يستخدم فيه الطبل والخورخور التصفيق بالأيــــدى والمناسبات التى يرقصون فيها الوفاة والتسلية .

● **رقصات قبيلة البنقو :**

١ ـ المانجنجى :

٢ ـ النجبانديلى : وهى مفضلة لدى الشباب ورقصهم جماعى يستخدم فيه من الآلات الموسيقية المانجنجى وهو طبل ضخم والخورخور ورقصهم يكون فى مناسبات الحزن كالوفاة ومناسبات الفرح أيضا .

أبرز المدن الهامة فى مديرية

بحر الغزال

مدينة واو :

تقع مدينة واو على نهر الجور وهذا النهر يصـــلح للملاحة جنوب واو من شهر أغسطس الى شهر اكتوبر من كل عام وهناك ايضا معدية تربط مدينة واو بالضفة الشرقية بالاضافة الى كبرى صغير وكبرى نهر الجور الذى تقوم بتشييده شركة ايطالية وسوف ينتهى العمل فيه فى شهر مايو ١٩٧٤ ويربط هذا الكوبرى مدينة واو بالطريق المؤدية الى مدينــة التونج والى ميناء شامبى ومن ثم الى المديرية الاستوائية .

ومدينة واو هى عاصمة مديرية بحر الغزال واكبر مدنها اذ يبلغ عدد سكانها اكبر من أربعين الفا (٤٠٫٠٠٠) نسمة مقابل ١١٫٠٠٠ نسمة ١٩٦٤ أو هذه الزيادة السكانية حدثت نتيجة لظروف الأمن رالاســــتقرار وكذلك

نتيجة لمد خط السكة الحديد اليها سنة ١٩٦٢ ٠ وقد ساعد هذا الخط على ازدهار الانتاج الزراعى وصناعة التعليب اذ يوجد مصنع لتعليب الفواكه وآخر لتصنيع البيرة يجرى تشييده الآن . وكما انها تشكل المركز الرئيسى لكل الخدمات الأخرى كالعلاجية والتعليمية وبهـا مطار على احـد الخطوط الرئيسية الداخلية للخطوط الجوية السودانية ويربطها هذا الخط بكل من الخرطوم وجوبا وملكال ــ كما أن الطريق البرية تربطهـا بمدينـة أويل فى الشمال ومدينة التونج ورومبيك فى الجنوب وديم زبير وراجا فى الغرب ٠

مدينـــة أويـــل :

تقع هذه المدينة الشمالية لمديرية بحر الغزال على الخط الحديدى الممتد شمالا الى مديرية كردفان . ومركز أويل من أكبر واقـدم مراكز المديرية اذ انشأ سنة ١٩٢٣ وتبلغ تقديرات السـكان فى المنطقة التى تتوسطها هـذه المدينة حوالى ٢٠٠ر٠٠٠ نسمة وتقع هذه المدينة فى منطقة خصبة تجرى الآن فيهـا تجارب زراعة الارز وقد دلت التجارب على نجاح زراعته . وكمـا أن بالمدينة أعدادا كبيرة من اشجار المانجو والتى تمثـل ثروة لابأس بهـا ووقوعها على الخط الحـديدى بين واو فى الجنوب وكردفان فى الشـمال أكسبها ميزة لاتتوفر لمثيلاتها من مـدن المديرية الاخـرى الى جانب الطرق البرية التى تربطها بكل من واو وراجا وقتريال .

مدينـــة رمبيك :

وهذه المدينة تقع فى شرق مديرية بحر الغزال على الطريق البرى الذى يربط مدينة واو بالمديرية الاستوائية وقد انشأ مركز رمبيك هذا سنة ١٩٠٢ ويوجد الان بهـا مجلس يشرف على منطقة يقدر عدد السكان بها أكثـر من ١٧٠ر٠٠٠ نسـمة .

ومن المدن الهامة الاخرى مدينة التونج فى شرق بحر الغزال وقد انشأ مركزها سـنة ١٩٠٢ ثم مدينة راجا فى شمال غرب المديرية وقـد أسس مجلسها لاول مرة سنة ١٩٠٧ م ثم مدينة قتريال فى شـمال شرق المديرية ومدينة يرول فى جنوب بحر الغزال ثم ديم زبير فى غرب المديرية ٠

النشـــاط الاقتصـــادى

ولكن : ماذا عن النشاط الاقتصادى فى مديرية بحر الغزال ؟

سألت مرافقى « مايكل » فأجابنى قائلا :

كما تعرف فان هـذه المديرية تقـع فى نطاق منـاخ السافنا والمنطقة الشمالية منها على الاخص سهول تكثر بها الحشائش اما المنطقة الجنوبية

منها فترتفع قليلا نحو الجنوب تتخللها نهيرات عديدة وتوزيع الامطار بها من ٤٠ بوصة فى الشمال الى اكثر من ٦٠ بوصة جنوبا فى هذه الظروف الطبيعية مازال الانسان يرزخ تحت اقتصاد بدائى يلعب العنصر الاجتماعى فيه دورا كبيرا ادى الى ان تعتمد حياتهم على حرفة الرعى عموما والتنقل بحثـا عن العشب أما الزراعة فى هذه المديرية فقد كان لهـا فى الماضى حظ قليـل من الاهتمام طبقا للظروف الاجتماعية السائدة فيزرع الاهالى بقدر ما يسـمح بسد حاجتهم المعيشية .

ومضى يقول ولكن فى الآونة الاخيرة دخل النشاط الاقتصادى مرحـلة جديدة اذ خططت مشاريع للزراعة فى مساحات كبيرة كما ادخلت الصناعة فى هذه المديرية للاستفادة من الامكانيات الطبيعية البكر فى هذه المنطقة والتى لم تستغل بعد وسوف نتعرض لكل بالتفصيل .

قلت له سمعت ان اقتصاد أكثر من ٩٠٪ من سكان مديرية بحـر الغزال يعتمد على الاكتفاء الذاتى تحت مستوى انتاج بدائى ويختلف هـذا الاقتصاد من منطقة لاخرى حسب الظروف البيئية والثقافيـة .

قال : هذا صحيح ففى بعض المناطق يكون الاعتماد الكامل عـلى الزراعة وفى جهات أخرى على الحيوان وفى أغلب المناطق تختلط الزراعـة بالرعى والصـيد .

سألت : وما مقدار المساحة الصالحة للزراعة عندكم ؟

قال : حوالى مليون فدان واذا أخذنا فى الاعتبار تلك الاراضى الشاسعة ومع قلة عدد السكان نجد أن الزراعة السـائدة عندنا هى الزراعة المتنقلة والتى تعرف بزراعة الحريق . وفى المناطق التى تغمرها ميـاه المستنقعات نجد أن الزراعة هنا مقصورة على الاماكن الجافة المرتفعة نسبيا والمحاصيل التى تزرع فى هذه المناطق هى الذرة بأنواعهـا المختلفة والسمسم الابيض والازرق والفول السودانى والدخان والبفرة . وعادة تتم الزراعة هنا قبل هطول الامطار ، ويزرع الفرد حول منزله مالايزيد عن عشر الفـدان وهى محاصيل غذائية وتستخدم فيها الالات البدائية ويعتمد غالبية الاهالى عـلى زراعة مساحة تكفى حاجتهم الغذائية اذ يعطى جل اهتمامه نحو الماشـية ونستطيع أن ندرك هذا اذا علمنا أن المخازن الحكومية بواو مليئة بالحبوب والتى أعدت لتوزيع على السـكان لزراعتها الا انه لـم يتحمس الكثيرين للاسـتفادة منهـا .

اما تلك المحاصيل التى تزرع على نطاق تجارى فتنحصر فى زراعـة الارز بمنطقة أويل والكناف بمنطقة التونج .

قلت له : لى رغبة شديدة فى معرفة مزيد من التفاصيل حول زراعـة هـذه المحاصـيل ؟

قال : خذ مثلا مشروع الارز فى منطقة اول التى تقع فى شمال مديرية بحـــر الغـــزال وتتميز بأمطار عالية وحشائش كثيرة وترتفع فيهـا درجة الحـــرارة الى اقصاها فى شهر مارس من كل عام لتصل الى ٣٨٫٨ درجـــة مئوية وتنخفض الى ٢٩ درجة مئوية فى شهر اغسطس اما درجة الرطوبة النسبية فمقاييسها اليومية كالآتى : ٦٩٪ فى الصباح و ٢٧٪ عند الظهـــر و ٦٩٪ بالليل وقد حدث اقصى معدل للرطوبة النسبية فى شـــهر اغسطس ١٩٧٢ : ٨٨٪ فى الصباح و ٦٠٪ عند الظهر . اما متوسط هطول الامطار حوالى ٩٠٠ ملم يهطل معظمها فى الفترة من شهر فبراير الى نوفمبر من كــل عام ويكون أعلى منسوب للامطار فى الفترة من أبريل الى أكتوبر من كل عام واقصى معدل لهطول الامطار يكون فى شهر يوليو (٢١١ ملم يوليو ١٩٧٢) .

وتربة هذه المنطقة تربة فقيرة من نوع (لاترايت) ، حجرية تغطيهـــا طبقة خفيفة من الرمال الطينية فى الوديان والمنخفضات وتقع هذه المنطقة تحت نطاق مناخ السافنا كثيفة الغابات والحشائش ومنطقة أويل نجـــد نســـبة انتشار الاشجار اقل وسط الحشائش ويبلغ طول الحشائش بها من أربعـــة الى ســـتة اقـــدام .

وتتخلل هذه المنطقة منخفضات تبلغ مساحتها الكلية حوالى (٧٠ الف) سبعين الف فدان تمتد من الشرق الى الغرب . وتنحدر تدريجيا من منطقة نهر لول من الجنوب الى الشمال ويقع الخط الحديدى الذى يربط مدينة أويل بمدينة واو على المنطقة المرتفعة ويفصل الخط الحديدى من منطقة المنخفض نطاق كثيف من الغابات وهذا المنخفض ارضـــه مسطحة غزيرة الحشائش وتربته طينية عميقة تحتوى على نسبة كبيرة من المواد المتحللة وعادة تنشق هذه التربة فى موسم الجفاف ويبدأ نهر لول فى الارتفاع فى شهر يونيو ويصل الفيضان الى قمته فى شهر سبتمبر بعدها يبدأ فى الانحدار حتى ينتهى تماما فى شهر نوفمبر .

وفى أواخر سنة ١٩٠٢ زرعت أربعة عينات من الارز أســـتوردت من الولايات المتحـــدة الامريكية واندونيســـيا وبورما وكانت تلك أول مرة يزرع فيهـــا الارز فى هـــذه المنطقة .

وفى سنة ١٩٥١ أستقر الراى على أن توســـع زراعة الارز فى هـــذه المنطقة وبعد تجربة عام واحد دخلت زراعته مرحلة جديدة وفى يونيـــو من ١٩٥٥ زرعت مساحة قدرها ٢٥٠ فدانا بأنواع مختلفة كما زرعت مســـاحة قدرها سبعون فدانا لتكون حقلا للتجارب .

قلت له : وما مدى مساهمة الدولة فى الاشراف على زراعة القطن ؟

قال : تقوم الدولة بالقسط الاكبر من عمليات زراعة القطن من اعداد الارض بالجرارات الي بذر الحبوب ورعايته وأما المزارعين فان عملهم يقتصر

على جمع القطن وحصاده وفى النهاية يتم تقسيم المحصول بنسبة ٥٠٪ لكل من المزارع والدولة وفى أغلب الاحيان تقوم الدولة بشراء نصيب المزراعين من الارز وتقـوم بتسـويقه .

قلت له : وهل ثمة مشاكل تواجهونها فى زراعة الارز ؟

قال : بالتأكيد ويمكن أن احددها لك فى الامور التاليـة :

— عدم أعداد الارض وتسويتها تسوية كاملة .

— لايستخدم المشروع اى دورة زراعية بالرغم من استعمال الاسمدة .

— زراعـة نفس الانـواع من الارز سـنويا .

— غالبا ما يتم الحصاد فى وقت متأخر وهذا يؤدى الى كسر الحبـوب عنـد عمليـة التقشـير .

— نقص عـدد الفنيين بالمشروع .

— تأخر وصول المبالغ الماليـة التى تخص عمليـة الجمع والحصاد .

— اسـتخدام وسـائل بدائيـة فى مكافحة الطيـور التى تتعرض للمحصـول .

— عدم توفر قطع الغيـار للالات الزراعيـة .

— ظروف عدم الاستقرار والامن قبل اتفاق أديس أبابا .

— مشاكل التسويق والتى تنجم عن مشاكل الترحيل وتكاليفه ولذلك لايستطيع أن يواجه أسعار الارز المسـتورد .

قلت له : وماذا عن زراعة الارز بمنطقة واو ؟

قال : بدأت التجارب فى هذا المشروع سنة ١٩٥٨ أما زراعته عـلى نطاق تجارى فقد بدأت سنة ١٩٦٢ بزراعة ٢٨١ فدانا كان انتاجهـا ٢٩٣ طنـا .

ومضى يقول : وقبل أن تسألنى عن المشاكل التى تواجهها زراعة الارز فى واو اقـول لك ابرزهـا :

١ ــ مشكلة الرى اذ تقل الامطار ويعتمد المشروع اعتمادا كليا علـى فيضان نهر الجور كما ان مياه الفيضان لم يتم التحكم فى تصريفهـا بعـد .

٢ ــ نقص فى عـدد الفنيين .

٣ ــ تأخر وصول المبالغ المرصودة لعملية الحصاد .

٤ ــ غالبا مايتم شحن المحصول الى اويل ليتم تقشيره هناك وفى هـذه الرحلة يتعرض الارز للتكسـير .

واستمر محدثى يشرح لى بقية المشاريع الاخرى :

● **مشروع الكنـاف بالتونج :**

بدات زراعته فى الموسم الزراعى ١٩٦٣/٦٢ فى مساحات ستة وثلاثين (٣٦) فدانا وقد زرعت فيها ثلاثة أنـواع من الكنـاف ، كوبا ، كوبانى ، سـودانى .

وقد اثبتت الزراعة أن عينات كوبا وكوبانى ناجحة بصورة كبيرة وقد وصل ارتفاع النبات فى ١٩٦٢/٩/٣ الى ٨ر٩ قدما أما النوع السودانى فلم يأت بنتائج مشجعة وقد تمت التجارب على زراعة خمسين عينة من الكناف كان أنجحها الكوبى .

وفى موسم ١٩٦٤/٦٣ كانت المساحه المزروعة ٢٠٠ فـدان ، وقـد توقف هذا المشروع بعد ذلك الموسم نسبة لظروف عدم الامن والاستقرار ، بدأ النشاط الزراعى مرة أخرى فى هذا المشروع فى موسم ١٩٧٠/٦٩ بزراعة مسـاحة قدرها ٢٥٠ فدانا .

وفى موسم ١٩٧٢/٧١ لم يكن هناك نشاط زراعى فى هذا المشروع .

وفى موسم ١٩٧٣/٧٢ تقوم التجـارب على زراعة عـدة أنواع من الكناف ، فى شهر مايو من هذا الموسم على مرحلتين احداهما تعتمد فى ريها على مياه الامطار والاخرى بالطلمبات وكانت المساحة المزروعة فدانين .

وقد أعيد النشاط الزراعى فى هذا المشروع بغرض توفير مليون جنيه بالعملة الصعبة يوفرها هذا المشروع وسيتم تنفيـذه على مرحلتين الاولى : ٦٠ فـدان والثانيـة : ٢٠٫٠٠٠ فدان لزراعتها عـلى مستوى تجارى .

وقدرت المساحة التي أعدت لزراعة هذا الموسم ١٩٧٤/٧٣ بحوالى

٦٣٢ فـــدان لتزرع بالنوع الكوبى وقد رصدت له ميزانية قدرها ٥٩٫٠٠٠ جنيـــــه ســــــــودانى .

● **مشروع كيوبيت لزراعة المحاصيل الغذائيـــة :**

بدأ الزراعة فى هذه المنطقة سنة ١٩٦٣ اثبتت نجاحا لزراعـــة الذرة وتصلح الاراضى المسطحة فيها لاستخدام الالات الزراعية . وذلك بغرض توفير بعض المحاصيل الغذائية وعلى رأسها الذرة لمقابلة بعض النقص الذى يحـــدث من حين لاخـــر .

وقد اعـــدت المســـاحات الآتيـــة :

٢٫٠٠٠	فـــدان	تزرع ذرة
٥٠٠	فـــدان	تزرع سمسم
٥٠٠	فـــدان	تزرع فول ســــودانى
٥٠٠	فـــدان	تزرع سمسم
٥٠٠	فـــدان	تزرع فول ســــودانى .

وقد رصد له فى ميزانية ١٩٧٤/٧٣ مبلغ ٣٨٫٢٢٠ جنية ســــودانى .

● **مشروع نقوسولقو للمحاصيل الغذائية :**

تبعد هذه المنطقة مسافة ١٦ ميـــل جنـــوب مدينة واو وتتميز بامطار سنوية (١١٠٠ ـــ ١٢٠٠ ملم) تتوزع على مدار ثمانية أشهر من العام .

ويهدف هذا المشروع الى :

ـــ توفير فرص العمل للاهالى فى تلك المنطقة .

ـــ تعمل كمزرعة تجريبية يحذوها مزراعى المنطقة .

ـــ توفير المواد الغذائية للمناطق السكنية القريبة منها كواو ويسرى .

ـــ من الناحية الاجتماعية باعتباره المشروع الاول من نوعه فى تلك المنطقة يرمى الى توزيع مشاريع التنمية على المناطق المختلفة .

وتقدر المساحات المزروعة كالآتى :

٢٥٠ فدانا تزرع ذرة

٢٥٠ فدانا تزرع فول سودانى .

٢٥٠ فدانا تزرع ذرة شامى

٢٥٠ فدانا تزرع سمسم

وتقدر المبالغ المرصودة لهذا المشروع فى ميزانية ١٩٧٤/٧٣ كالآتى :

١٨٫٣١٥ جنيه بالعملة الصعبة

٤٫٥٠٠ جنيه بالعملة الصعبة

٢٢٫٨١٥ مجموع المبالغ المرصودة

وقد بدأ العمل فىهذا المشروع فى نوفمبر ١٩٧٣ ثم فتح طريق بين المشروع ومدينة واو واقيم معسكرا للعمال بالمشروع .

● **زراعة البن بمنطقة راجا :**

تتميز منطقة راجا بأنها المنطقة الوحيدة بمديرية بحر الغزال التى تصلح فيها زراعة البن وقد رصدت مبالغ كبيرة للاستمرار فى اجراء التجارب على زراعة البن فى هذه المنطقة .

● **زراعة التبغ :**

وجهت الدولة اهتماما واضحا لاجراء تجارب زراعية لزراعة التبغ الفرجينى بمنطقة راجا وقد زرعت مساحة قدرها ستة أفدنة فى سنة ١٩٧٣/٧٢ واثبتت هذه التجارب نجاح زراعته فى هذه المنطقة . كما استقر الرأى على اجراء تجارب زراعة التبغ فى منطقة رمبيك .

● **مزارع الخضر والفواكه :**

بدأت الزراعة فى هذا المجال وبصورة جادة وعملية فى العام الماضى (١٩٧٣) وقد أقيمت مزرعة تجريبية حديثة لزراعة الخضر والفواكه بمنطقة بسرى جنوب مدينة واو ، رصد لها مبلغ ٢٠ الف جنيه لزراعة ١٠٠ فدان .

كما توجــد مزارع للخضر والفواكه على النحو التالى :

مزرعـــــة واو	٣٨ فـــدان
مزرعـــــة التونج	٢٠ فـــدان
مزرعـــــة سوبو	٢٠ فـــدان
مزرعـــــة مريلباى	٢٠ فـــدان
مزرعـــــة يرول	١٥ فـــدان
مزرعـــــة أجوك	٤ فـــدان
مزرعـــــة كوم	١٥ فـــدان

الثروة الحيوانيـــــة

سألت محدثى بلهفة شديدة : وماذا عن الثروة الحيوانيـــة الهائلة .. ما عددها ؟ وأين توجد ؟ وماذا فعلتم لايجاد مراعى صحية لها ؟

قال : يجرى العمل للاستفادة من الثروة الحيوانية الضخمة فى هـــذه المديرية حيث يزيد عدد الابقار بهـــا عن مليونين الى جانب اعداد كبيرة من الضان والذى يقدر عدده بـــ ٨٩٠٠٠ر رأس والماعز والتى يصل عددها الى ٩٦٦٠٠٠ر رأس الى جانب أعداد ضخمة من الحيوانات المتوحشة .

أما عن أماكن تواجدها فكما تعرف فان الابقار تكثر فى مناطق الدينكا فى منطقة أويل ، قفريال ـــ التونج ـــ رمبيك ـــ يرول ـــ كما توجد بهذه المناطق أعداد من الضان والماعز والتى تتواجد فى مراكز واو وراجـــا .

وفى منطقة راجا تتواجد اعداد كبيرة من الماشية فى فصل الصيف ، تأتى من جنوب مديريتى كردفان ودارفور وتبقى فى تلك المنطقة من شهر ديسمبر الى شهر مايو من كل عام .

وهذه الماشية ترعى فى منطقة حشائش طبيعية وقد تم اعداد مساحات كبيرة لتصبح مراعى للتحسين بها نوع العلف وموارد المياه وتحسين نوعيـــة الأبقار من أهمها .

● مشروع مراعى مريال باى :

يبعد المشروع حوالى ميلين شمال مدينة واو على طريق قفريال . بدأ هذا

المشروع فى ديسمبر ١٩٧٢ باعداد مساحة قدرها ٧٠٫٠٠٠ فدانا والغرض من هذا المشروع جذب انتباه الاهالى الى الطرق الحديثة فى تربية المواشي وتحسينها للأغراض التجارية وخاصـــة لبيع لحمها وقد ادخلت انـــواع من أبقار كنانه لتحسين النسل الموجود فى تلك المنطقة وكذلك بغرض تغيير اتجاه الاهالى فى تربية الماشية بهدف اعدادها لتكون صالحة للاسواق ٠

بدأ المشروع باعداد مساحة قدرها ٥٠٠٠ فدان تم تسويرها وكذلك تم اعداد ٢٠٠ فدان لتزرع علفا للماشية وبالمشروع الآن ٢٠٠ رأس من الأبقار ٠

ورصد لهذا المشروع فى ميزانية ١٩٧٣/٧٢ مبلغ ٢٠٫٠٠٠ جنيه وتعتمد صناعة تعليب اللحوم فى المستقبل على نجاح هذا المشروع مما جذب انتباه رأس المال الاجنبى اليه واهتمام البنك الدولى خاصة بعد ظروف الاستقرار والامن ٠ وقد رصد لهذا المشروع فى ميزانية ١٩٧٤/٧٣ ، مبلغ ٣٢٫٧٢٥ جنيه لتنمية المشروع ٠

مشروع مراعى رمبيك

يقوم هذا المشروع على نفس الاسس التى بنى عليهـــا مشروع مراعى مريال باى وفى الوقت الحاضر توجد بالمشروع ٣٠٠ رأس من الأبقار تقـــوم رعايتها الآن بمشروع مريال باى ورصد له فى ميزانية ١٩٧٣/١٩٧٢ مبلغ ١٥ الف جنيه ٠ وبناء على توجيه من البنـــك الدولى استقر الرأى على أن يكـــون الهدف من هذا المشروع :

- تحسين نوعية الابقار النيلية وقطعت التجارب فى هذا الشأن مراحل كبيرة ٠

- ان يعمل المشروع على حفظ الابقار وهى فى طريقها الى مناطق أخرى فى الجنوب ٠

وهذه الاعداد الضخمة من الماشية الموجودة بمديرية بحر الغزال ليس لها أثر اقتصادى مباشر على المنطقة أو على الاقتصاد القومى ، فهى موارد معطلة نتيجة للتركيب الاجتماعى عند القبائل اذ لاتبيع هـــذه القبـــائل أبقـــارها ولاتتاجر بها وقد يبيع الفرد بقرة أو ثورا ليس الا ليشترى بثمنه غيره . حيث يهتم أفراد القبيلة بجمعها والتفاخر بها والمحافظ على هذه الثروة الحيوانية تقوم كل عائلة فى القبيلة بالزواج داخل نطاق العائلة حتى تستطيع أن تضمن وجود هذه الابقار فى ملكيتها اذ انها تحدد المكانة الاجتماعية للفرد وللعائلة وللقبيلة٠

وهناك عدد من التجار يحصل على بعض الماشية يبيعها فى أسواق داخلية لاتتواجد بها أبقار كمنطقة الزاندى مثلا فى جنوب غرب المديرية ٠

ولحل مثل هذه المشـــاكل التى تقف فى طريق اســـتثمار هذه الثـــروة الحيوانية الضخمة لابد من التوسع في المراعى الصالحة وخلق حوافز الاستقرار والاستيطان حتى يجتذب اعدادا أكبر تقضى على التفتت الاقتصادى حيث يمكن لهذه القبائل من أن تزرع بعض المحاصيل الى جانب رعاية ماشيتهم ٠

مزارع تربية الدواجن

دلت تجربة مزرعتى واو وراجا للدواجن على نجاح هذا النوع من المزارع وقـد قامت مزرعة واو للدواجن بتصدير ٧٥٠ دجاجة لمدينة ملكال و ٤٠٠ دجاجة لمدينة أيول ووزعت حوالى (٣٠٠٠) ثلاثة ألف دجاجة على المواطنين بمنطقـة واو ، وكان هذا فى الموسـم ١٩٧٣/٧٢ وتحتفظ المزرعة بحوالى ٢٠ الف دجاجة على أمل زيادة هذا العدد عند توفير الغذاء الكاف لاعداد جديدة من الدواجن وهـذه المزرعة واحدة من المشاريع التى تحظى باهتمام البنك الدولى وقد رصدت لها مبلغ ١٫٠٩٢ جنيه فى ميزانية ١٩٧٣/٧٢ ٠

مزارع الألبــان

يجرى العمل على أنشاء مزارع للالبان في المناطـــق المختلفـــة ومزرعة مركزية فى مدينة واو والتى يوجد بها مائة وثمانين رأسا من الابقـــار تشرف عليها الوحدة البيطرية بالمديرية وهذه المزرعة تمد المواطنين بمدينة واو باللبن وتحتاج هذه المزرعة الى مزيد من الدعم والتطور حتى تلبى كافة احتياجات المدينة من الالبان ومشتقاتها ٠

وتقوم وحدة الانتاج الحيوانى بالمديرية بالاشرف عـــلى برنامج يرمى الى تخطيط وحفر قنوات لتروى (٤٠٠) أربعمائة فدانا لاستغلالها كعلف محسن للأبقار ٠ الى جانب عمل دراسة متصلة بنوعية التربة ٠ ورصد لهذا المشروع مبلغ ٧٫١٢٢ لمقابلة احتياجات هذه الخطة . والهدف من اقامة هذه المزارع أن تعمل كمزارع نموذجية يستفيد منها المواطنين فى هذا المجال .

الصـــــيد :

هذه المديرية تزخر ســـهولها وغاباتها باعـــداد هائلة من الحيـــوانات المتوحشة برية ومائية وبها انواع نادرة لاتوجد في مثيـــلاتها من المناطق التى تقع تحت نفس النطاق المناخي لهذه المديرية ومن هذه الحيوانات انواع نادرة منها الطائر الذى يســـــمى أبو مركوب وهذا يتواجد فى منطقة البحيرات فى شامبى ـــ أويل ـــ ويرول كما يوجد حيوان آخر نادر يسمى واد القرن الابيض ومنهما ايضا بوقا وأبو عرف وملك القرود ويقـــدر ثمـــن الزوج من طـــائر أبو مركوب بحوالى ٣٠٠ ثـــلاثمائة جنيه وثمن الزوج من واد القـــرن الابيض يكلف مائة وخمسين جنيها والحظائر المشهورة فى هذه المنطقة منها حظـــيرة

بحوالى ٤ آلاف جنيه واقل ثمن للزوج من هذه الحيوانات النادرة بهذه المديرية شامبى والتى ورد ذكرها آنفا وحظيرة عشانا والحظيرة الجنوبية فى مناطق أجاب وعالياب وهذه الحظائر يحظر الصيد فيها ، هذا كله الى جانب الانواع المعروفة من الحيوانات المتوحشة كالفيل والاسد والنمر والزراف وهناك أيضا فى منطقة البحيرات كميات هائلة من الثروة السمكية والتى يجرى العمل للاستفادة منها من الناحية الاقتصادية والسياحية .

الثروة الخشبية

قلت له : حدثنى عن الثروة الخشبية فى هذه المنطقة المليئة بالغابات ؟

قال : توجد بمديرية بحر الغزال انواع كثيرة ومختلفة من الغابات ومنها ماله قيمة اقتصادية ومنها مايستعمل للوقود وتقوم مصلحة الغابات برعاية الأخشاب ذات الفائدة الاقتصادية ، وفى هذا المجال استطاعت هذه المصلحة أن تقوم بزراعة ثلاثمائة وخمسين فدانا بشجر التيك فى سنة ١٩٦٩ . وستمائة وعشرة فدانا فى سنة ١٩٧٠ كما زرعت مساحات واسعة بأشجار البامبو للاستفادة منها فى تغذية المناشير فى منطقة بيسايل وفى منشار واو الذى ينتهى العمل فيه ويعمل الآن المنشار بكل طاقته وللاستفادة الكاملة من الثروة الخشبية فى هذه المديرية سوف يشيد مصنع للابلكاش بواو نظرا لوجود كميات هائلة من المواد الخام فى تلك المنطقة تتمثل فى أشجار المهوقنى ذات الشهرة العالمية فى هذا المجال .

قلت له : من المؤكد أن نجاحكم فى هذا المجال سوف يخدم أغراض عديدة فى مقدمتها مواجهة احتياجات السودان كله من الأبلكاش وتطوير صناعة الاثاثات الخشبية وصناعة التغليف بالاضافة الى أنه يؤمن لكم فرص توفير العملة الصعبة عن طريق التصدير للخارج بالاضافة الى زيادة فرص العماله.

قال : هذا صحيح بالتأكيد .

الصناعة

قلت له : أتصور أن فرص الصناعة فى مديرية بحر الغزال هائلة بالنظر الى الامكانيات الطبيعية المتاحة . .

وقبل أن أكمل كلامى بادرنى قائلا :

اذا اذنت لى أن أقدم لك زميل متخصص فى هذه الناحية يمكن أن يفيدك فيما تود معرفته عن هذا المجال . وبعد دقائق . وصل مايكل وبرفقته المهندس « تونى أدوت » ... سألنى أولا عن أحوال مصر وكيف تعيش الآن انتصارات ٦ أكتوبر وقال لى :

انه كان من اوائل المهندسين من أبناء الجنوب الذين تلقوا تعليمهم بمصر وانه لازال يراسل اساتذته وزملائه الذين عرفهم خلال دراسته بالقاهرة وقال : لقد نقل لى الأخ مايكل رغبتك فى معرفة جوانب الصــــناعة فى مديرية بحر الغزال وكما تعرف فانه حديث طويل وطويل .. ولكن يمكن ايجازه فى حديث مختصر ‏٠٠ قال :

اننى اتفق معك فى أن فرص الصناعة عندنا ضخمة للغاية نظرا للطبيعة السـخية المتاحة لنا وخاصة فى مجال الزراعة مثل تعليب الخضر والفواكه وصناعة الزيوت والصناعة الخشبية ، ويمكن أن تؤدى الى تحقيق الاكتفاء الذاتى للمنطقة من الناحية الغذائية وتطوير الانتاج الزراعى البدائى الى انتاج قائم على اساس تجارى لتحريك اقتصاد المديرية كما انها أيضا توفر فرص العمـالة للقطاعات الحديثة من القوى العاملة فى المدن ‏٠

وحديثنا فى البداية سوف يكون عن الصناعة الريفية وهى ذلك النـوع من الاعمال ذات الصبغة الحرفية الذى يمارسه المواطنون داخل منازلهم وفى أماكن أقامتهم مستفيدين من المواد المحلية فى انتاج مختلف الأشياء فى مستوى يعكس روعة الفنون الاصيلة وقد بلغت هذه الصناعة حد الروعة والجمال مما يدل على الذوق الفطرى السليم المتوفر لديهم ، بالرغم من قلة الامكانيات وعدم توافر وسائل التدريب المهنى الحديث وبساطة المعدات التى يستخدمونها ، تجد أن المنتجات فى غاية الاتقان والروعة وهو امر يؤكد ضمان نجاح هذه الصناعات اذا ما وجدت العناية الكاملة ، ويمكن أن تلعب دورا هاما فى تطوير الـريف وتساعد على خلق اقتصاد متوازن وسليم اذ انها وسيلة ناجحة لتوسيع قاعدة التصنيع اللا مركزى وعلى سبيل المثال لا الحصر نجد الصناعات الآتية : نحت الحيوانات والطيور والأسماك من الأبنوس وسن الفيل والمصنوعات الجليـدية وأعمال الزعف وغيرها ‏٠

وقال لى : لعلك سمعت عن مصنع تعليب الخضر والفواكه بواو ‏٠٠ أن هذا المصنع يعتبر تجربة رائدة فى مجال الصـناعة بالأقليم الجنوبى عامة وفى بحر الغزال بصفة خاصة اذ يعتمد على الاستفادة من الموارد الطبيعية فى هـذه المنطقة وهى المنتجات الزراعية وقد بدء تشييد المصنع سنة ١٩٦٣ على أرض تبعد ستة أميال عن مدينة واو ولم يكتمل تشييده الا فى سنة ١٩٦٧ وطاقـة المصنع الانتاجية هى ثلاثة مليون علبة خضر وفواكه وخمسمائة علبة عصـير موالح وخمسمائة طنا من الفواكه الطازجة ‏٠

ومن المشاكل التى تواجه هذا المصنع عدم توفر كل المواد الخام فى نفس منطقة المصنع وهذا يؤدى الى رفع تكاليف الانتاج كما يواجه المصنع أيضـا مشكلة تسويق انتاجه وعلى سبيل المثال لم يبع المصنع خلال الفترة من مارس ١٩٦٨ الى مايو ١٩٦٩ الا ثلثى ما انتجه ، حوالى مليون علبة علما بان المصنع كان يعمل بنسبة ١١٪ من طاقته الانتاجية ‏٠

وقال : هناك أيضا المزرعة المتصلة بالمصنع والهدف من اقامة هذه المزرعة هى توفير الاكتفاء الذاتى للمصنع من الخضر والفواكه والمساحة المقدرة لهذا المشروع ١٥٠٠ فدانا أعد منها وزرع كمرحلة أولى حوالى ٤٠٠ فدان زرعت بالطماطم والبامبا والفاصوليا ٠

وقال : ولعلك سمعت عن معصرة الزيوت بمنطقة يرول ؟ لقد تم انشاء هذه المعصرة فى ١٩٥١/٥٠ وبدات العمل ١٩٥٣/٥٢ وكان الهدف منها حل مشكلة تسويق انتاج السمسم فى هذه المنطقة والذى يزرع بواسطة الاهالى ولكن هذه المعصره كانت تعمل بخسارة منذ انشائها والى أن توقفت فى سنة ١٩٦٤ وذلك للاسباب الآتية : ــ

١ ــ كانت الكمية التى يتم انتاجها بواسطة المزارعين أقل بكثير من الطاقة الانتاجية للمعصرة والتى تقدر بحوالى الف طنا ٠

٢ ــ بدأ الأهالى فى تلك المنطقة فى استعمال محصولهم من السمسم كغذاء يومى ولعمل المشروبات الروحية المحلية (كوشيب) ٠

٣ ــ لجأ بعض التجار الى جمع السمسم ونقله الى مدينة جوبا فى المديرية الاستوائية طمعا فى أسعار أعلى ٠

وقد توقفت هذه المعصرة فى سنة ١٩٦٥ نظرا لظروف عدم الامن والاستقرار ٠ الا أن العمل الآن يجرى لاعادة تشغيلها وقد تم اعداد مساحة قدرها ٤٥٠ فدانا وزعت منها مساحة ٢٣٠ فدان ورصد لها مبلغ ٣٤٫٤٣٤ر٣٤ جنيه وقد تم حصد السمسم فى ديسمبر ١٩٧٣ وسوف تنعش هذه المعصرة اقتصاديات المنطقة وتسهم بعائدها فى تطويرها ٠

وقال : وهناك أيضا مصنع البيرة بواو ، ويقع هذا المصنع على بعد حوالى خمسة كيلو مترات جنوب شرق مدينة واو وسوف يبدأ التشييد فى مايو ١٩٧٤ وقد بدأ انتاج المصنع فى سنة ١٩٧٥ وينتج سنويا ٢٠ مليون زجاجة بيرة فى العام أى مايعادل ٧ر١ مرة ضعف انتاج فابريقة النيل الأزرق لانتاج البيرة بمدينة الخرطوم بحرى . ويقدر راسمال المصنع باثنين ونصف مليون جنيه كما يقدر للمصنع أن ينتج فى مراحل لاحقة كاكولا وفانتا وبعض المياه المعدنية الأخرى ٠

التجـــارة

قلت له : وماذا عن النشاط التجارى لمديريتكم ؟

قال لى : قصة التجارة بمديرية بحر الغزال لها تاريخ قديم يرتبط بتاريخ

المديرية المكتوب اذ كانت العلاقة بين هذه المديرية وشمال السودان قائمة على أساس التجارة وقصة ضم المديرية فى عهد التركية كانت التجارة عاملا أساسيا فيها . وظلت هذه الصلة التجارية قائمة قبل العهد التركي وبعده وهذه المديرية تتواجد بها بضائع تجارية فريدة لاتتوافر فى غيرها من المناطق وعلى رأس هذه المواد سن الفيل والذى يأتى من غرب هذه المديرية فى منطقة راجا الى العاصمة كما تصلها بضائع أخرى كالعاج وريش النعام وهذه البضائع ليس لها أسواق معينة اذ ان كل البضائع تجلب الى مدينة واو ومنها الى الخارج هذا الى جانب منتجات مصنع التعليب من الخضر والفواكه واللحوم داخل وخارج المديرية وكما ذكرنا انفا أن هذه المديرية غنية بثروتها الخشبية والتى تستعمل فى الأثاثات وترسل كأخشاب الى الخرطوم لتصنيعها كما أن صناعة الحرف اليدوية من نحت الخشب والعاج والسن تجارة رائجة فى المنطقة .

هذا كله الى جانب التجارة فى المواد الزراعية كالذرة والسمسم والفول السوداني والتى تجدها في أسواق مراكز المديرية المختلفة الى جانب السلع التموينية . وحركة التجارة فى مديرية بحر الغزال ازدادت نشاطا خاصة بعد وصول الخط الحديدي اليها وظروف الأمن والاستقرار ، ويتضح ذلك من زيادة مخصص الدقيق لهذه المديرية من الف جوال الى عشرة آلاف جوال سنة ١٩٧٣ فى الشهر وكمية السكر من ٢٥٠٠ جوال فى الشهر الى ٧ آلاف جوال فى الشهر فى سنة ١٩٧٣ .

التعليم

سألت : اعتقد ان نسبة التعليم وكنتيجة للظروف التى سادت الجنوب قليلة .. ماذا فعلتم لزيادة هذه النسبة ؟

قال : كما تعرف منذ كان التعليم فى مديرية بحر الغزال فى عهدالاستعمار قاصرا على المدارس التبشيرية والكنائس اما فى العهد الوطنى فقد فتحت كثير من المدارس فى مراكز المديرية المختلفة الا انه نسبة لظروف عدم الاستقرار التى اثرت اليها والتى سادت الاقليم الجنوبى لفترة طويلة فقد تعطلت كثير من المدارس خاصة فى المناطق الريفية .

وأكمل حديثه قائلا :

وتوجد بمديرية بحر الغزال مدرسة ثانوية عليا واحده وهي مدرسة رمبيك الثانوية العليا . عدد التلاميذ بها حوالىالف تلميذوقد ازدادالعدد بعودة بعض التلاميذ اللاجئين فى الدول الافريقية المجاورة كما يوجد بمدينة واو معهد مايو الثقافي وهو فى مستوى الثانوى العالى وهذه المدارس العليا تستوعب الطلاب من كافة مناطق الاقليم الجنوبى وليس مديرية بحر الغزال وحدها بل على أساس المنافسة العامة .

أما التعليم الثانوى العام فهناك ثلاثة عشر مدرسة ثانوية عامة وكلهـا تعمل الان بمدينة واو نظرا للظروف التى كانت سائدة ماعدا مدرسة واحدة كانت فى المنطقة وهى مدرسة التونج وجميع هذه المدارس سـوف تفتح فى مراكزها فى العام الدراسى ١٩٧٤/٧٣ بعد أن ساد الأمن والاسـتقرار تلك المناطق ومن هذه المدارس مدرستين للبنات وعدد التلاميذ بهذه المدارس يقـدر بـ ١٫٣٧١ تلميذا وعدد المعلمين العاملين بها خمسة وتسعين معلما ومعلمة ٠

أما فى مجال التعليم الابتدائى فهناك مائة واربعين مدرسة منها خمسـة واربعين مدرسة للبنات تستوعب هذه المدارس حوالى ٢٤٫٥٩٠ تلميذة بهـا حوالى ٣٥٠ ثلثمائة وخمسين معلما ومعلمة ٠

ويتبع التعليم فى هذه المديرية نفس السياسة التعليمية العامة التى تتبع فى كافة أرجاء السودان وتسير المناهج على نمط واحد وتتم الدراسة فيها باللغة العربية ماعدا بعض المدارس الثانوية العامة والعليا التى تسـير على التدريس باللغة الانجليزية ٠

وبعد ظروف الامن والاستقرار ازداد عدد التلاميذ والتلميذات الذين هم فى سن الدراسة ولم يجدوا أماكن بعد ، أكثر من (٨٤ الف) ، وهـذا ممـا يتطلب العمل الجاد والسريع لترميم واعادة فتح المدارس القديمة وفتح أخـرى جديدة لمواجهة الظروف الجديدة ٠

الصـحة

وامسك مايكل مرة ثانية بدفة الحديث قائلا بالطبع تريد أن تعرف نوع الخدمات الصحية ٠٠ ثم أكمل كلامه قائلا :

تقوم وزارة الصحة هنا بتقديم الخدمات العلاجية والوقائية للمواطنين وذلك بتوزيع هذه الخدمات توزيعا عادلا يتفق مع تعداد السكان فى المناطق المختلفة علما بأن غالبية الشفخانات ونقط الغيار قد تم تدميرها ابان أحداث عـدم الاستقرار والأمن فى الماضى والآن وبعد عودة السلام الى ربوع الاقليم فقد أعيدت الى العمل معظم هذه المراكز الصحية ٠

وفى مجال الطب العلاجى ، توجد بمديرية بحر الغزال سبعة مستشفيات فى كل من واو التونج ، رمبيك ، يرول ققريال أويل وراجا كما خصصت أربعة مستشفيات أخرى للمديرية لم تبدأ العمل بعد ٠

وأكبر هذه المسـتشفيات وأهمها مستشفى واو وبه ٣٣١ سريرا ثم مستشفى رمبيـك وبه ١٦٧ سريرا ومستشفى يرول وبه ٨٠ سريرا والتونج وراجا وبكل منهما ٤٠ سريرا ثم مستشفى ققريال وبه ٢٥ سريرا ٠

وتوجد بالمديرية ثلاثة وعشرين شفخانة منها ١٦ عاملة وسبعة تحت الترميم وكما تم التصديق بفتح ١٤ شفخانة أخرى فى ميزانية التنمية ٠

أما نقط الغيار فعددها ثمانية وسبعين يعمل منها بصورة جيدة ثلاثة واربعين أما العدد الباقى فيجرى العمل لاعادة نشاطه وتم التصديق بفتح أحدى وعشرين نقطة غيار فى ميزانية التنمية ٠

وقال : وفى مجال الطب الوقائى ازداد الاهتمام فى الآونة الاخيرة بهذا الجانب وقد انشىء مركز صحى كبير للعناية بالأمهات والاطفال بحى المقطاع بمدينة واو كما تم افتتاح مركز آخر فى مبانى مؤقتة بمنطقة سوق الجو وفى هذا الجانب تساهم اللجنة الأفريقية للاغاثة بفتح ثلاثة مراكز أخرى فى كل من كيوبيت ، أكون وثيث وسوف يتم افتتاحها فى أول ١٩٧٤ كما يجرى تدريب عدد من الزائرات الصحيات على أعمال الصحة المنزلية فى أمدرمان لتسليم هذا المهام فى مديرية بحر الغزال ٠

كما أن هناك خطة للعناية بالصحة المدرسية بانشاء وحدة للتثقيف الصحى ، الى جانب ذلك فان وحدات التطعيم ضد الكوليرا والجدرى والسل وغيرها من الامراض المستوطنة تجوب كافة انحاء المديرية ٠

وفى مجال صحة البيئة فان ضابطو عمال الصحة يقومون بتقديم كافة الخدمات الى جانب تقديم الارشادات المناسبة فى هذا المجال ٠

وفى مجال تدريب الكوادر العاملة فى مجال الصحة فقد تم افتتاح مركز لتدريب المساعدين الطبيين فى مدينة واو فى أكتوبر عام ١٩٧٣ ويقوم مستشفى واو بتقديم التدريب النظرى والعملى لطلاب المركز ٠

وهناك مدرستان للتمريض فى واو ورمبيك وهناك خطة لفتح مدارس اخرى للتمريض فى كل من أويل التونج وراجا وسوف يتم افتتاح مدرسة لتدريب القابلات بواو فى ١٩٧٤ ٠

وقال وبالنسبة للخدمات البيطرية :

تقوم وزارة الزراعة والموارد الطبيعية برعاية الثروة الحيوانية المتواجدة فى بحر الغزال بتقديم الخدمات البيطرية المركزية والمتنقلة وتقوم وحدة الانتاج الحيوانى بمعاونة منظمة الزراعة والاغذية العالمية التابعة للامم المتحدة بمكافحة مرض الطاعون البقرى وعدد الابقار التى تم تطعيمها حتى منتصف سنة ١٩٧٢ تقدر بأكثر من نصف مليون رأس من الأبقار ٠

كما تم تطعيم أكثر من ٢٧٥ر٠٠ رأس ضد مرض الذبابة كما تم تطعيم

أكثر من ١٨٨٫٥٠٠ رأس من الماشـــية ضد امراض أخرى منتشرة فى تلك المنطقة ٠

وتوجد خمسة مستشفيات بيطرية ثابتة بمدينة واو ، ومســـتشفى بيطرى بكل من اويل قفريال ، راجا ، التونج رومبيك ، برول وبكل من هذه المراكز شفخانة بيطرية وعدد من النقاط البطرية .

اما فى مجال الانتاج الحيوانى فهناك مشاريع لتطوير الانتاج الحيوانى منها مزرعة واو للألبان والدواجن كما أن هناك مشروع لتحسين العلف ونقل الماشية .

كما يوجد قسم خاص بالجلود باعتبارها احد مصادر الدخل القومى فهناك عناية بها ابتداء من السلخ الجيــد والتجفيف بأنواعـــه ثم التخزين والشـــحن ٠

وقال مايكل : نسيت أن احدثك عن مصلحة الغابات :

أن هذه المصلحة تلعب دورا هاما فى الاقتصاد الوطنى بالنسبة للقطر عامة وبحر الغزال خاصة فهى تقوم برعاية الثروة الخشبية التى تحدثنا عنها وتقوم باستغلال هذه الموارد الطبيعية وتوفر الكثير من احتياجات البلاد من الأخشاب المنشورة والمصنعة وتوفير بذلك الكثير من العملات الصعبة التى تحتاجها البلاد .

الى جانب ذلك فان هذه المصلحة تمثل سلطة الدولة فى الاماكن النائية الوعرة التى لا يتواجد فيها نشاط حكومى . كما انها تتيح فرصـــة العمل للمواطنين وخاصة العائدين من أجل الاستقرار وتقوم بالاشراف والصيانة على المناشير الموجودة فى منطقة فنقواويل وفنقو نوير وبسيلية ومنشار واو والمنشار الجديد الذى سيفتتح بيرول وتقوم هذه المصلحة ايضا بتوفير خشب المنشار والاثاثات وخشب الحريق وتحسين أنواع الاشجار النامية باستجلاب اشجار ذات فائدة كبيرة والاشراف على عملية التوازن بين الزراعة والقطع لضمان استمرارية ثراء غابات المنطقة والمحافظة على التربة .

وهناك أيضا مصلحة الصيد ومصايد الاسماك :

ومن أقسامها الهامة قسم وقاية الحيوان ويقوم هــذا القسم بحماية المواطنين ومواشيهم ومزارعهم من الحيوانات الضارة ولحماية الحيوان مثل الفيل والزراف والبوقا والخرتيت من خطر الصيد غير المصرح ، كمـــا شرع هذا القسم فى تطوير مركز تجميع الحيوانات بواو . هــذا بالاضافة الى أن هذا القسم يمول البلاد بما تحتاجه من سن الفيـــل ومن اعماله الاساسية ايضا رصد حركة وهجرة الحيوانات داخل وخارج السودان .

اما القسم الثانى فى هذه المصلحة فهو قسم الاسماك اذ أن مديرية بحر الغزال تزخر بالانهار والروافد التى تعج بثروة سمكية طائلة تعود للمواطنين والبلاد بفوائد جمة كما يقوم القسم برعاية وانشاء مزارع سمكية لاستغلال هذه الثروة .

الثقافة والاعلام

وقال المهندس تونى ادوت موجها كلامه لمايكل :

هل نسيت انك تتحدث الى صحفى يهمه بالتأكيد أن يعرف الكثير عن النشاط الثقافى والاعلامى واضاف موجها كلامه لى : لقد أنشىء هنا مكتب للثقافة والاعلام فى أكتوبر ١٩٥٨ والغرض منه تبصير المواطنين وتزويدهم بالمعلومات ورعاية وتطوير تراثهم الفنى والثقافى ويتضمن المكتب ادارتين :

— قسم التحرير : ويقوم باصدار نشرات اخبارية باللغتين الانجليزية والعربية .

— قسم السينما والصوت : ويقوم بعرض الافلام السينمائية المختلفة للمواطنين فى مناطقهم وتغطية المناسبات المختلفة .

أما الادارة الاخرى فهى ادارة الشباب والرياضة وتقوم برعاية النشاط الرياضى وحركة الشباب من اقامة المعسكرات والاشراف على المناشط الاخرى وعلى المركز النموذجى للتنمية الاجتماعية تحت أشراف خبير من اليونيسيف للاستفادة من قدرات الشباب وخاصة الذين فاتتهم سن التعليم والعمل على ترشيدهم ورعاية اهتماماتهم المختلفة .

وفى جانب الثقافة والاعلام وتنفيذا لقرارات مؤتمر كبار ضباط الاعلام المنعقد فى الخرطوم فى سنة ١٩٧٠ لقد فتح فرعى فى رمبيك وآخر بأويل .

وبالنسبة للمحاكم والقضاء : يوجد قاضيان بمدينة واو كما يمارس مفتشو الحكومة المحلية بالمراكز وضباط المجالس بعض السلطات القضائية ويشرفون على المحاكم الاهلية لمراجعة احكامها والنظر فى الاستئنافات كما تلعب المحاكم الشعبية دورا هاما فى تسوية النزاعات الفردية والقبلية بالمديرية .

● الجاليات الاجنبية :

هناك بعض الخبراء الذين نشأ حضورهم المؤقت عن الانشاءات التى تقوم بها الدولة فى مجالات التنمية ايطاليون — صينيون — بريطانيون ، وغيرهم كما أن هناك جالية يونانية تعمل بالتجارة ويتواجد بعض النازحين من الدول المجاورة وأغلبهم من زائيرى .

وتوجد بمدينة واو كاتدرائية القديسة مريم والتى تعتبر أكبر مركز للكنيسة الكاثولوكية بالاقليم الجنوبى كما توجد كنائس كاثوليكية عاملة فى كل من أويل وتقريال — التونج — ريميك — وراجا كما ان هناك كنيسة للبروتستانت بمدينة واو بالاضافة الى مجموعة من الجوامع التى يؤمها المسلمون .

● المنظمات الجماهيرية :

خلال تجوالى بمديرية بحر الغزال لاحظت انه توجد بالمديرية فروع لمعظم نقابات واتحادات العاملين المسجلة بجمهورية السودان الديمقراطية مثل اتحاد المعلمين ونقابة عمال النقل الميكانيكى والغابات وغيرها . كما يوجد مجلس فرعى لنقابات العمال واتحادات الموظفين وهناك أيضا اتحاد المزارعين وآخر للتجار كما أن بالمدينة تنظيمات للمرشدات والكشافة ومنظمة وطنية للسلام .

كما يوجد بالمديرية فرع للاتحاد الاشتراكى السودانى وتنظيماته المختلفة وروافده التى تضم منظمات الشباب والتى تشارك فى العمل الاجتماعى والسياسى واقامة المعسكرات الصيفية للمساهمة فى مشروعات التنمية ، كما أن هناك أيضا فرع لاتحاد نساء السودان وهو كرصيفة فرع اتحاد شباب السودان وكرافد من روافد الاتحاد الاشتراكى ، ويساهم فى تطوير المرأة ببحر الغزال ويشارك فى العمل السياسى وله فروعه المختلفة بمراكز المديرية ووحداته بالاحياء . كما أن هناك تنظيم للمثقفين بمديرية بحر الغزال والذى يضطلع بتبصير المواطنين بالظروف الجديدة وما تتطلبه من عمل وانتاج وذلك الى جانب تنظيم الراسمالية الوطنية ومساهمته فى مشاريع العون الذاتى لتعمير المنطقة بالاضافة الى لجان تطوير القرى والتى تنتشر فى انحاء المديرية المختلفة .

● المواصلات :

وبالنسبة للمواصلات : تربط وسائل المواصلات الحديثة مديرية بحر الغزال بأجزاء البلاد المختلفة ومن هذه الوسائل المواصلات البرية والنهرية والجوية والهاتف والبريد والبرق فنجد بها خط للسكة الحديد يربطها بمديريتى كردفان ودارفور عن طريق تقاطع بأبنوسه بكردفان ويستغل هذا الخط الحديدى فى حركة نقل الركاب والبضائع وهو الخط الوحيد الذى يربط الاقليم الجنوبى بأجزاء السودان المختلفة اذ ينتهى عند مدينة واو والمسافة التى يربطها هذا الخط من بحر العرب حتى مدينة واو طولها ٢٦٩ كيلو متر ويغادر قطار الركاب مدينة واو متجها شمالا مرتين فى الاسبوع .

كما يوجد بمدينة واو مطار لاستقبال الطائرات وهو المطار الوحيد بالمديرية ويستقبل الطائرات من الخرطوم — ملكال — جويا ..

اما فى مجال الملاحة النهرية فتقتصر على المواصلات الداخلية فتسير القوارب عبر الانهار المختلفة موسميا اذ تتأثر هذه الانهار بمنسوب الامطار حيث تجف مياهها فى بعض الفترات الى حد لايسمح بالملاحة .

اما فى مجال المواصلات البرية والطرق فنجد أن بعض الطرق يكون صالحا للاستعمال طول العام والبعض الآخر موسميا اذ يتعسر استعماله فى فترة الخريف نسبة لطبيعة الارض الطينية خاصة فى شمال المديرية ومن هذه الطرق الموسمية الطريق الذى يربط بحر الغزال بمديريتى دارفور وكردفان وأما طريق واو – يامبيو – جوبا فيعمل طول العام .

أما فى مجال المواصلات السلكية واللاسلكية

فنسبة للظروف الطبيعية والمناخية فى مديرية بحر الغزال والتى تتميز بكثرة الحشائش والاشجار فان الاتصال اللاسلكى هو أنسب الوسائل الحديثة لربط اجزاء المديرية باتجاه البلاد الاخرى ويجرى العمل لتكثيف شبكة الراديو الحالية وتجديدها لتسهيل الاتصال السريع بين الاطراف المختلفة وفى الوقت الحاضر الى جانب أجهزة مصلحة البريد والبرق والهاتف فهناك أجهزة الاتصال اللاسلكى فى وحدات حكومية أخرى كالشرطة والاعلام بالاضافة الى الخط التليفونى بين واو وبابنوسه وبين واو ويرول والذى تعطل سنة ١٩٦٤ كما يجرى العمل لتجديد شبكة الاتصال التليفوني داخل مدينة واو بأخرى آلية .

● **السياحة :**

قلت لمايكل : بعد كل الذى أوردنا ذكره عن مديرية بحر الغزال من الثروات الطبيعية وبعد حديثنا عن أوجه النشاط المتعددة الموجودة ثم حديثنا القصير عن السكان لابد ان يسأل المرء عن موقع السياحة بين هذه الانشطة ؟

قال : أن السياحة فى بحر الغزال لم تتعد بعد طور كونها ثروة خامة لم تستغل بعد نسبة للظروف الغير ملائمة التى سادت الاقليم الجنوبى فى الماضى والسياحة كنشاط اقتصادى اجتماعي وثقافي تتطلب المناخ المناسب الذى تزدهر فيه فالى جانب الامكانيات الطبيعية والمادية لابد من تسهيلات أخرى .
أما من ناحية الاماكنيات الطبيعية فنجد أن هذه المنطقة تقع تحت نطاق مناخ السافنا حيث تنتشر السهول والغابات فى منظر طبيعي غاية فى الروعة وفى هذه السهول على جمال طبيعتها تعيش فيها أنواع مختلفة من الحيوانات وهناك حظائر كاملة مثل حظيرة عشانا وحظيرة شامبى .

هذا بالاضافة الى أن العنصر البشرى في المنطقة يشكل مركز جذب للسائح اذ تزدهر فيها الفنون الشعبية المختلفة فمن رقص بديع رشيق الحركات

عميق المدلول متناسق الاتجاهات صادق التعبير عن البيئة والانسان فى هذه الربوع • والحديث عن الرقص والفنون فى هذه المديرية يجرنا الى الحديث عن الصناعة اليدوية والتى بلغت غاية الروعة والاتقان وتتجسد فيها روح فنية اصيلة وذوق فطرى سليم ولقد افضنا الحديث عنها حين تحدثنا عن الصناعة الريفية ولاشك أن السائح سيجد فيهما الجديد الذى يروقه •

ولتنشيط الحركة السياحية فى هذه المديرية سوق يتم تشييد استراحة سياحية مجهزة بالوسائل الحديثة للراحة والاقامة حتى يمكن نزول السياح بها والاستمتاع بمناظرها الطبيعية وطقسها الجميل وسوف يتم تشييد هذه الاستراحة بمنطقة شامبى •

ثم أقامة معسكر سياحى بديم زبير اذ تعتبر هذه المنطقة من مناطق السودان الغنية بحيواناتها البرية لامر الذى يقتضى تطويرها وفتحها للسياح.

كما سوق يتم اعداد معسكر آخر بمنطقة البحيرات (رمبيك) للاستفادة من الثروة السمكية الهائلة وفتحها للسياحة وهذه المعسكرات تتيح الفرصة للسياح لارتياد هذه المناطق فى المستقبل القريب الواعد •

● ● ●

ونظرت الى ساعتى فلم اجد امامى سوى دقائق قبل أن تقلع بى الطائرة عائدة الى الخرطوم • وودعت الاصدقاء على أمل اللقاء قريبا في مديرية بحر الغزال . وفى الطائرة قفزت الى ذهنى صور العوائد الضخمة التى يمكن أن يحققها استثمار زكى لهذه الثروات .

وفي الخرطوم جلست ادون ملاحظاتى عن زيارة مديرية بحر الغزال •• لقد تبين لى من اتصالى بالقبائل المختلفة فى هذه المديرية حدة ذكائهم واستعدادهم للاخذ باسباب المدنية الحديثة وقابليتهم للتعليم .. كما ثبت لى أن شعب وادى النيل لايمكن أن يموت فهو جنس عريق فى المدنية يحمل فى دمه بذور الحضارة وعنده كل المؤهلات ليتصدر الحضارات العالمية .

الرحلة الثالثة

المديرية الاستوائية (١)

---

(١) مارس ١٩٧٢ .

اذا كانت فنون الرقص والغناء هي انعكاس لتراث وحضـــارة الامم ، فالواقع يقول أن جنوب السودان امة زاخرة بهذه القيم ٠٠ هذا ماتأكد لنا من خلال العروض التى قدمتها فرق الفنون الشعبية على خشبة المسرح القومى ٠

وحينما ذهبت الى المديرية الاستوائية ، اصطدمت بظواهر أيقظت فى نفسى كوامن من حب الاستطلاع والتوق الانسانى الى المعرفة .

لقد وجدت نفسى فجأة وسط كرنفال من الازياء المتباينة وآلات الغناء المثيرة وادوات الفروسية ونماذج الفلكور السودانى ٠

واقتربت استفسر واسمع ٠

وكانت بداية اللقاء مع « دنجى صمويل » رئيس الفرقة الموسيقيةالذى قال لى أن هذه الرقصات التى نشاهدها تعبر عن الترحيب بمقدم رجل السلام جعفر نميرى وتمجد الوحدة الوطنية مرورا بقسوة الماضى وانتهاء بالوئام الذى ساد هذه البقاع بعد احلال السلام . وهذه الازياء التى تراها أمامك تعبر عن البيئة نحول السيقان تم ربط قطع من الحديد وحول الوسط شعر من محـــار الوحش وحول الرقبة زيل الزراف أما على الرأس فيوجد ريش النعام وكل هذا يكسب الآداء روعة وجمالا ٠

وفى مساء اول يوم قضيته فى جوبا اقترح على مرافقى الصـــديق اينى كروسمان أن أصحبه لمشاهدة فرقة « لاتوكا » والرقصات والاغانى التى تؤديها تعبيرا عنسرور الناس بالوحدةالوطنية والسلام . ولقد لاحظتان هذهالفرحة تظهر فى ازياء الفرقة التى يغلب عليها اللون الابيض تعبيرا عن الصفاء والوئام والمحبة ، وان كانت هذه الازياءايضا تضمتشكيلة تعكسالبيئة . فالازياءتتكون من (السكسك) حول الوسط وحول الايدى اساور من عاج الفيل وانياب وعلى الرأس خوزات من الذهب الخالصالى جانبريش النعامفى أيدى افراد الفرقة وهم يلوحون به فضلا عن ذلك فان الفتيات من اعضاء الفرق يلبسن السكسك الابيض حول الوسط بينما يبدو خيط احمر من السكسك فى الاسفل ، ولهذا مناسبة وهى ان السكســـــك كله كان باللون الاحمر ٠٠ فترة الاضطرابات تعبيرا عن التمرد اما بعد استتباب السلام استبدل باللون الابيض تعبيرا عن السلام وهذا يعنى ان حلول السلام فى الجنوب قد انعكس على الفنون فما من غناء أو رقص الا وللسلام فيه دور ولقد اتيح لى فى نفس هذا المساء أن أشهد أروع العروض التى قدمتها احدى الفرق فى جوبا حيث كانت الرقصات تمجيدا للوحدة والسلام اما الازياء فقد كانت مثيرة للغاية فعلى الرأس صـــوف الفنان الابيض وحول السيقان قطع من الحرير اما رئيس الفرقة فهو يلبس جلد النمر وادوات الرقص تتكون من الدرقة المصنوعة منجلد الجاموس فضلا عنالحراب الطويلة وهناك عصا يحملها رئيس الفرقة ورأس هذه العصا عبارة عن رأس تمساح صغيرة تحيط به قطع من عاج الفيل وعندما حان موعد العشـــاء أصر

« جون دنكور » ان اتناوله فى حديقة منزله حيث كانت فى انتظــارى وباقى الوفد الصحفى حفلة رقص قبلى انطلقت خلالها السهام والرماح .. فهى اشياء أساسية فى الرقص تماما كصرخات الرجال والنســاء العنيفة حيث ينسى المرء ماهو الصمت .

استقبال غير عادى

وفى صباح اليوم التالى كانت سيارة الصديق بابديك شول تنتظرنى لنبدأ جولتنا فى جوبا وخلال الطريق دار حوار طويل حول مغزى الاستعداد لاستقبال نميرى . قال لى : ان الاستقبال الذى يجرى أمامك خير دليل على الشعور بالتغيير واظنك تعرف حجم الناس الذين كانوا يخرجون لاستقبال المسئولين السابقين .. الناس هنا بداوا يتملكون الشجاعة لعرض قضاياهم على الرئيس نميرى مباشرة ودون وسيط . فى المظاهرات التى خرجوا بها من خلال هتافاتهم تستطيع ان تلمس مدى تأييدهم لهم .. الشىء الثانى كمية اللاجئين الذين عادوا الى هنا دلالة واشارة واضحة الى أن جزءا كبيرا منهم اقتنع بسياسة الدولة .

سألته : ماهى الحلول التى تراها لازمة لاستمرار هذا التأييد قال : لعلك لاحظت أن المواطن العادى هنا لا يهتم كثيرا بالمناقشات السياسية وانما يهتم بالمناقشات التى تؤثر تأثيرا مباشرا على حياته .. يريد بكل بساطة أن تتوفر له الحماية اليومية .. أن يتوفر التعليم .. أن تقام له المستشفيات وفى هذه الحالة لن تستطيع قوة أن تغير أو تحد من اندفاعه نحو أخوته فى الشـــــــــمال .

واستطرد يقول : ان مشكلة الجنوب كما قال الرئيس نميرى ليست مشكلة عسكرية يمكن ان تحل بالطريقة العسكرية انها مشكلة اقتصادية واجتماعية ولها جذور بعيدة تحتاج لوقت وجهد لاحتثائها كما أن التطــــــور الاقتصادى وحده فى ظروف الزمن فيها غير متوافر لايحل المشكلة . ان تطوير الجنوب اقتصاديا واجتماعيا وتوفير الحماية للمواطن العادى يكون بامكان أن يحل المشكلة فى المدى القريب .

وصمت محدثى قليلا ثم قال : لقد كنت اتحدث قبل قليل مع صديقى كورينو وهو من الرجـــــال الذين عمـــــلوا لفترة مع الانجليز واطلعنى على التوجيهات للضباط الانجليز الذين كانوا يعملون فى السودان قال لى لقد قرأ بنفسه فى منشور سرى أصبح محور سياسة الانفصال البريطـــــانى فى الجنوب : ان الهدف الذى تحرص عليه الحكومة البريطانية هو تشـــجيع التجار بدلا من الجلابة (أى العرب من السودانيين الشماليين) وبناء عليه فينبغى أن تقلل تصاريح الدخول الممنوحة لهؤلاء باستمرار ولكن فى حكمة ودون اثارة .. أما الذين يبقى على تصـــاريحهم من الجـــلابة فينبغى أن يختاروا بحيث يكونون ممن ليست لهم اية اهتمامات أو نشاط خارج ميدان

المعاملات التجارية وأن تكون هذه مشروعة وتمارس وفق القانون ، على أنه لابد من حصر الجلابة فى المدن والطرق الرئيسية وللقضاء على التزاوج بين الشماليين والجنوبيين فقد حرم على الأزواج الشماليين اصطحاب اولادهم وزوجاتهم الجنوبيات الى الشمال .

وقال بانديك شول مكملا ولاشك أن هذه السياسة البريطانية قد حالت طويلا دون تلاقى أبناء الوطن الواحد فى الشمال والجنوب وكان يمكن لو استمرت أن يكون لها آثارها وانعكاساتها الخطيرة لو لم تتحقق الوحدة الوطنية عن طريق تنفيذ قانون الحكم الذاتى الاقليمى واحلال السلام فى الجنوب .

وقال هاهى الممارسة العملية تثبت فعالية صيغة الوحدة الوطنية كاطار لتجنيد طاقات الشعب الواحد من أجل بناء المستقبل الافضل . وهاهى سياسة السلام تحقق كل يوم انتصارا جديدا باقناع مزيد من القطاعات بالانخراط الواعى فى صفوفها وستظل الوحدة الوطنية هى الصيغة الوحيدة المناسبة لبلادنا شريطة أن يلعب الاتحاد الاشتراكى السودانى بنشاط وفعالية دوره فى تقوية ومجابهة كل العناصر المعادية للفكر السودانى الحر ومبادىء وأهداف ثورة مايو ومنعها من التسلل الى جسم التحالف ومنظماته الفرعية .

صوفية القرع المنظم

فى جوبا عاصمة المديرية الاستوائية شاهدت الكثير .. الكثير وسمعت الكثير .. الكثير .. تحدّثت الى زعماء القبائل وابناء الشعب فى مختلف المواقع .. اكلت معهم وسهرت حتى الصباح الباكر فى ضوء القمر (وما أحلى القمر فى جنوب السودان) .

فى صوفية القرع المنظم .. ايقاعا يحرك فى الانسان جسمه وخلجات قلبه ..

لقد صورت لنا صحافة الغرب اهل الجنوب اغرابا علينا .. دنيا بعيدة .. عالم لا تربطنا به اية رابطة .. وجاءت زيارتى للجنوب لكى تؤكد لى زيف هذا التصوير المغرض . لقد اكدت لى انه اذا كان الشماليون فى السودان اخوة لى فكذلك هم الجنوبيون .

جوبا عاصمة المديرية للجنوب كله

المديرية الاستوائية هى احدى المديريات الثلاث للأقليم الجنوبى لجمهورية السودان الديمقراطية وعاصمتها مدينة جوبا . والتى هى عاصمة للاقليم الجنوبى الان وبها المجلس التنفيذى العالى ، ومجلس الشعب

الاقليمى المكون من ستين عضوا ، ورئاسة الحكومة الأقليمية التى تضم اثنى عشر وزيـــرا .

وتقع المديرية الاستوائية فى أقصى الجزء الجنوبى من البلاد بين خط العرض ٥٤ ومنتصف خط العرض ٥٨ شـــمالها . وتقـــــع الاستوائية الى الجنوب من مديريتى اعالى النيل وبحر الغزال وتحدها من الجنوب والشرق والغرب خمس دول افريقيا وهى من الشرق الى الغرب : أثيوبيا ، كينيا ، أوغندا ، زائير ، وافريقيا الوسطى .

وتبلغ مساحة المديرية الاستوائية ١٢١ر١٩٨ كليو متر مربع .

تقع منطقة جوبا فى وسط المديرية وبها عاصمة المديرية وعاصـــــمة الاقليم الجنوبى وهى مدينة جوبا ، وبها مجلسان مجلس بلدى جوبا ، ومجلس ريفى جوبـــا الذى يهتم بالمناطق الريفية الغربية من المدينة مثـــل تركاكا ، وتبالغ مساحة مجلس ريفى جوبا ١٦٠٠ ميلا مربعا ، وتعداد ســـــــكانه ٢١٠ر٠٠٠ أما تعداد مجلس بلدى جوبا فيبلغ ٧٥٠٠٠ نسمة .

الســــــكان

وتوجد بالمديرية الاستوائية ثلاثة وثلاثون قبيلة .. لها لهجاتها ولغاتها المتداخلة وتسود اللغة العربية كلغة تخاطب بين الكثير من السكان ، كما تسود الأنجليزية بين قطاع المثقفين ، وقد اصـــــبحت اللغة العربية هى السائدة الآن بالمدارس بعد توحيد المناهج وتعريبها .

وتنتشر حرفة الرعى فى الاجزاء الشمالية الشرقية ، والاجزاء الوسطى وهم رعاة بقر فى الغالب ، بينما تنتشر الزراعة عنـد سكان الجزء الجنـوبى الغربى وذلك لانعدام الحيوانات الأليفة فى تلك المنطقة .

ويقوم مكتب الزراعة بجوبا بالاشراف على كل أوجه النشاط المتعلقة بالمزارع النظامية من ارشاد وتوجيه وتنمية راميا الى جعــــل المنطقة من المناطق الانتاجية الكبرى حتى يكتفى المواطنون ذاتيا ، هذا بجانب الاسهام فى حل مشكلة العائدين واستقرارهم .

وهناك مشروع يرمى الى مد مدينة جوبا باحتياجاتها اليومية من الخضر، كما يرمى الى استقرار العائدين ، ومساحة هذا المشروع ٥٠ فدانا هذا بالاضافة الى ٢٠٠ فدان لزراعة الفول السودانى والسمسم واللوبيا والذرة .

وتعتبر الطرق فى المديرية من أجود الطرق اذا ماقورنت بمستوى الطريق فى السودان ، وهناك طريق يربط بين جوبا وتمول له أهميتـه اذ انه يربط

مناطق جنوب السودان بيوغندا وكينيا وبالتالى العالم الخارجي كما ان جـوبا ترتبط بمديريات أعالى النيل وبحر الغزال ، وكردفان ودارفورد والخرطوم

وبالنسبة للمواصلات النهرية فان عاصمة الاقليم الجنوبى ترتبط بعاصمة البلاد وعن طريق النيل اذ تسير البواخر النيلية من الخرطوم حتى جوبا غير ان المسافرين يفضلون السفر بالقطار أو البعض حتى كوستى ومن ثم بالباخرة حتي جوبا • وتسير مصلحة النقل النهرى فى خط كوستى جوبا ١٢ باخرة كبيرة ، و١٣ باخرة صغيرة ، بينما يبلغ عدد الصنادل المخصصة للبضائع ٧٨ صندلا ، وعدد صنادل الركاب ٤١ صندلا •

هذا بالاضافة الى أن خدمات الخطوط الجوية السودانية تربط مدينة جوبا بمدينة الخرطوم والعالم الخارجي •

كما ترتبط جوبا بالخرطوم بخدمات بريدية وبرقية ••

تاريخ المديرية الاستوائية

حدثنى الاخ روت أجن المدرس باحدى معاهد المديرية الاستوائية طويلا عن تاريخ مديريته • •قال :

ان تاريخ المديرية الاستوائية بحدودها الحالية يرتبط ارتباطا وثيقا بالمحاولات التى قامت لاكتشاف منابع النيل والغزو الاستعمارى لافريقيا السوداء •• كانت هناك محاولات كشفية فى افريقياتوغلت من جهات متعددة وقد وفقت فى الكشف عن الكثير من أسرارها الا أن أمر متابعة مجرى النيل حتى منابعه في الاقطار الاستوائية بقى وحده بعيدا عن متناول الجميع •وذلك لصعوبات كثيرة منها الطبيعة وكذلك رداءة المواصلات •

ولكن بدخول مصر السودان ١٨٢٠ بدأ العالم يعرف الكثير عن تلك المناطق • فقد أرسلت مصر ثلاث بعثات بقيادة سليم قبطان بدأت عام ١٨٣٩ وانتهت ١٨٤٢ استطاع أن يصل منها الىغندكر وعلى خط عرض ٢ر٤ درجة ـ ٤ شمالا •

وقال : وبالرغم من ان تلك البعثات عادت ادراجها الى الخرطوم دون الوصول الى المنابع الاصلية الا أن ماأحدثته من فضل هو تمكنها لاول مرة فى تاريخ العام من اختراق منطقة السدود وكشف حقيقة أمرها • ونتيجة لهذا تمكن سبيك وبرتون من الوصول الى منطقة البحيرات وأطلق اسم فكتوريا على أكبرها متخذا طريق شرق افريقيا وكان ذلك فى عام ١٨٥٨ ، ورجع الى انجلترا ثم عاد ليؤكد صلة بحيرة فكتوريا بمجرى النيل ـ وفعل ذلك ثم تقدم شمالا نحو مناطق النفوذ المصرى معتمدا على ماأكدته بعثات سليم قبطان •

واستطرد روت أجن يقول .

حدث هذا فى ذات الوقت الذى أفاد فيه مستكشف آخر هو صموئيل بيكر من آثار الكشف المصرى ومن نفوذ مصر فى السودان وما وراءه مما عرف بالاقليم الاستوائى أو المديرية الاستوائية كما أفاد أيضا من تغلب مصر النسبى على مشكلة السدود فتوغل بمساعدة حكومتها ومساندتها جنوب النيل الابيض وعبر بحر الجبل الى غندكرو ووصلها فى ١٨٦٣ حتى التقى بسبيك وجرانت وعاونهما بالاشتراك مع بعض التجار على اكمال رحلتهما للشمال تلك المرحلة التى أثبتت نهائيا حقيقة مصادر النيل ومنابعه .

وشاع بعد ذلك غنى الاقليم الجنوبى فانتظمت الحملات التجارية وبمرور الزمن تحولوا الى تجارة الرقيق وكون تجار الرقيق قوة لايستهان بها .

وكشف بعض الاوربيين فى كتاباتهم مساوىء تجار الرقيق .

حدث هذا فى الوقت الذى تولى فيه الخديوى اسماعيل الحكم عام ١٨٦٣ — ١٨٧٩ م فسعى لتوحيد حوض النيل ومحاربة تجارة الرقيق فادى ذلك الى التوسع حتى بلغت المساحة التى ضمها حدا اضطره الى تقسيمها اداريا الى اقليمين كبيرين هما اقليما خط الاستواء وبحر الغزال .

وقد تغيرت حدود الاقليم الاستوائى وتطورت كثيرا واشتهرت باسمه الادارى الذى أطلقته عليه مصر وهو المديرية الاستوائية والتى شمل امتدادها المنطقة الواقعة بين خط الاستواء وخط ١٠° شمالا والتى انتشرت واتسعت بين خطى الطول ٢٧°ر٣٤° شرقا .

ووصلت حدودها الشمالية حتى بلدة التوفيقية عند التقاء السوباط بالنيل الابيض كما بلغ انتشارها الجنوبى مناطق أوغندا ، ودخل فى هذا الامتداد شرقا مرتفعات لاتوكا البالغة الجمال ومنابع النهيرات المتعددة التى تصب فى بحر الجبل من الشرق والجنوب الشرقى وامتدت غربا الى أقصى الطرف الجنوبى الغربى لبحيرة البرت ، كما احتوت المناطق الممتدة غرب بحر الجبل، والتى تسير بحذائه ، وتشمل حوض نهرى «لاو أويای» و «روهل أو نعام» اللذين ينتهيان شمالا الى مجموعة المستنقعات التى تصل مياهها أحيانا الى بحر الغزال .

وقال :

ومن هذا نرى أن الحدود التى انتشرت داخل نطاقهما المديرية الاستوائية بمعناها العريض فى الفترة الزمنية ١٨٧٠ — ١٨٩٠ تجمع بين جانب من هضبة البحيرات الاستوائية ، وجانب آخر من أحواض بحر الجبل والغزال والزراف .

وهكذا تقدمت مصر فى عهد الخديوى اسماعيل لاتمام مابدأته فى السودان والنيل الاوسط منذ أوائل القرن التاسع عشر ، الاتصال بمنطقة بحر الجبل والبحيرات . والذى يترتب عليه تأسيس أسباب التمدن والعمارة ، وتوسيع دائرة الزراعة والتجارة ، ودفع الأحوال الوحشية ، وتمهيد الطرق وتأمينها والتأليف بين الاهالى . وطابقت هذه المثل والاهداف الاتجاهات العالمية للكشف عن هذه المناطق جغرافيا وعلميا ، والقضاء على تجارة الرقيق المنتشرة بها .

غادر بيكر (الادو) فى عام ١٨٧٣ ووصلها الحاكم الجديد غوردون ١٨٧٤ وخلال هذه الفترة (نحو عام) تحمل القائد المصرى محمــد رؤوف بك جميــع مسئوليات المديرية .

وبعد فترة غوردون ١٧٨٩ والتى امتازت بالعنف والقسوة فى ســبيل الغاء تجارة الرقيق ، مما أدى الى تعطيل الزراعة والتجارة ، فضلا عن انتشار الذعر والهلع بين السودانيين .

وعندما ظهرت بوادر المهدية رأى فيها الدناقلة (المنتشرون خاصــة فى المديرية الاستوائيه وبحر العزال) الامل الأخير للخلاص مما أصــابهم على يد الحكم المصرى من تشتيت وتشريد بعد أن سحقت جماعاتهم التى انضمت الى سليمان الزبير فى بحر الغزال ، ورغم أبعاد المــديرية الاســتوائية فى عامى ١٨٨١ ـ ١٨٨٢ م لكثير منهم الا أن البقية الباقيــة والمنتشرة بين القبــائل المختلفة كانت كفيلة باثارة المتاعب مباشرة ، أو عن طريق استغلال مااتصف به رجال القبائل المحلية اذ ذاك من بساطة . وبعد ذلك بدات هجمات القبائل المحلية تزداد على المحطات المصرية منتهزة انشغال شــمال السودان بمقاومــة المهــدية .

انقطعت المديرية الاستوائية عن العــالم الخــارجي عام ١٨٨٣ (مارس) وبقيت كذلك حتى تمكن المسئولون من الاتفاق مع ملكتى أوغنــدا ويونيورو فى أواخر عام ١٨٨٥ للسماح بمرور المراسلات عبر أراضــيهما . وســاءت الحالة فى المديرية وكان عليها امين باشا وتمرد عليه رجاله وهو يحاول اقناعهم بالانسحاب عن طريق لبحيرات لان الشمال كان فى يد المهـــــدية والتى كانت تناوشهم من وقت لآخر .

وقد حاولت قوات المهدية دخول المنطقة الجنوبية ولكنها لم تفلح وكان عام ١٨٨٨ بداية انحسار لموجة المهدية عن الجنوب ، اذ عجزت لفترة طويلة عن تدبير أى هجوم رئيسى آخر ، واكتفت بالاحتفاظ بقوة اسمية فى الرجاف .

وقد صاحب كل ذلك الاطماع الاستعمارية فى تلك المنطقة ، مما أدى الى تفكك المديرية ، وخروج مصر منها فى عهد احتلال بريطانيا العسكرى لمصر ، ثم كان اعادة فتح السودان على يد كتشنر ١٨٩٨ م .

وقد حرص الاستعمار الانجليزى على جعل جنوب البلاد مناطق مقفلة ، كما شجع الروح القبلية فأثارت الفتن والعصبيات القبليـة • وفيما بين عام ٢٤ـ١٩٣٠ م كانت الادارة البريطانية التى تدير السودان باسم مصروانجلترا قد نجحت فى اضعاف معانى الوحدة الوطنية ، وشغلت الجنوب والشمال عن التخطيط الاستعمارى الخفى • ومنعت انتشار اللغة العربية ، ومنع التجار الشماليين من حرية ممارسة التجارة فى الجنوب ، وبلغ من اخطار الاستعمار الانجليزى أن خلط الدين بالسياسة ، فقاوم الاسلام ، وأطلق الارسـاليات المسيحية ، ومزج التقاليد الدينية بأفـكار عنصرية تبعـدهم عـن اخـوانهم فى الشمال •

وقد شجعت بريطانيا سياستها الخفية العمل على فصل الجنوب •فعقدت مؤتمرا فى جوبا عام ١٩٤٧ م • وأثارت اضــطرابا فى توريت فى جنـوب السودان الاقصى عام ١٩٥٥ أثناء الفترة الانتقاليـة • ولم تتمـكن الحـكومة السودانية المتعاقبة منذ ١٩٥٦ أى بعد الاستقلال من التنبيه للحالة الخطـيرة التى تحدث فى الجنوب ، من اتصالات غامضة فى أوغنـدا بين زعماء القبائل الانفصالية ، فقد ظلت القيود مفروضة على الانتقال الى الجنوب الا بتصريح من الحكومة • وقامت حكومة عسكرية عام ١٩٥٨ م وعن طـريق العنف فى قمع التمرد زادت المشكلة تعقيدا ، وفر الكثير من أبناء الجنوب الى الاقطار الافريقية المجـاورة •

وساءت الحالة بعد ذلك ـ حتى كانت ثورة مايو ١٩٦٩ م وأعلنت سياستها الواضحة فيما يختص بالاقليم الجنوبى ، وقالت بأن المشكلة لاتحل الا باعطاء الاقليم الجنوبى الحكم الذاتى الاقليمى تحت اطار السودان الموحد ، وكل ذلك باتفاقية أديس أبابا فى ١٩٧٢/٢/٢٧ م • وتوقف اطلاق النار وبدأت أفواج اللاجئين تتدفق من الغابة ومن الاقطار المجاورة ـ ومن ثم بدأت معركة البناء فى الاقليم الجنوبى •

٣٣ قبيلة و٣٣ لهجة مختلفة

لفت نظرى فى حديث روت أجن مارواه لى من ان المديرية الاسـتوائية تضم ثلاثة وثلاثون قبيلة لها لهجاتها ولغاتها الخاصة المتداخلة •• وقال لى : أن اللغة العربية تسود كلغة تخاطب بين الكثير من السكان الذين بلغ عددهم طبقا لآخر احصائية ١٩٧١/٧٠ مليون وثلاثمائة وستة وثلاثون ألف نسمة • كما تسود اللغة الانجليزية بين قطاع المثقفين •• وان كانت اللغة العربية هى السائدة الآن بالمدارس بعد توحيد المناهج وتعريبها •

وقبائل المديرية الاستوائية خليط متنوع ترجع أصـوله الجنسـية الى عنصرين أساسيين هى العنصر السودانى والعنصر النيلى وهناك عنصر ثالث جاء نتيجة للاختلاط بين هذين العنصرين هو العنصر (النيلى ـ الحامى) الذى

يمكن ان نعتبره من الاقسام الكبرى · الآن بالاقليم الجنوبى ـ وهذه الاقسام الرئيسية الثلاثة لها بذورها أقسام داخلية متعددة ·

وهناك أوجه للتشابه واضحة بين النيليين والنيليين الحاميين ـ منها التشابه الثقافى فى التركيبات اللغوية ومنها التشابه فى حرفة الرعى التى يعتمدان عليها أساسا · ومن الصفات الشكلية المنيلى طول القامة وسواد البشرة والملاحة النسبة اذا قورن بالزنجى النقى · ويمكن ان نقول ان العنصر (الزنجى) هو العنصر الأصلى فى حوض النيل لانه دخل افريقيا مبكرا جدا وقد اختلط بالعنصر الزنجى النيليون وانصاف الحاميين فكونا سلالتين مختلفتين كما ان هناك بعض الشبه بينهما غير اننا نجد أن نسبة الدماء الحامية هناك فى انصاف الحاميين أعلى منها فى النيليين ـ كما أن انصاف الحاميين يمثلون زمنيا هجرة أحدث من النيليين ·

والقبائل النيلية تسكن مديريتى بحر الغزال وأعالى النيل مثل الدينكا والشلك والنوير ـ وهناك قبيلة نيلية تسكن المديرية الاستوائية هى قبيلة الاشولى والقبائل النيلية موجودة بكثرة وبصورة شبه متصلة فى المنطقة بين خطى عرض ٢°ر١٢° شمالا بحوض النيل ·

العنصر النيلى الحامى (انصاف الحاميين) :

هم رعاة بقر فى الغالب مثل النيليين ويتواجدون بداخل وخارج السودان فى أثيوبيا ، كينيا وأوغندا وحتى تنزانيا ـ وهذه القبائل ليس لها ميزات واضحة فى شكلها العام ، فلونهم يتدرج من البنى الغامض الى الاسود مع وجود بعضهم باللون الذى تشوبه الحمرة قليلا ، وهم يتميزون بالطول والوجوه الطويلة وهذه المجموعة من القبائل تتكلم لغات شبيهة ببعضها البعض الى درجة كبيرة وقد قسم هؤلاء الى ثلاثة أقسام حسب العلاقات بينهما فالحاضر نيليون فى السودان يقطن معظمهم المديرية الاستوائية ـ وينتمى معظمهم الى المجموعات الشمالية · والحكايات التى تتكلم عن المكان الذين أتوا منه باهتة ـ ولكن هناك رأى سائد يقول انهم قدموا من المنطقة الجبلية الواقعة بين السودان وأوغندا شرق بحر الجبل ولا يعرف بالضبط التاريخ الذى حضروا فيه ·

والمجموعات الشمالية منهم تضم

البارى المندارى ، النياقبارى والبوجلو ، والكاكوى والكوكيو ، والنيابيو واللوكويا ، واللولوبا ، واللاتوكا واللوبايت واللانقو ، وبالاضافة الى بعض الاقليات التى تعتمد على الصيد ويسمون الليقو ·

وتتواجد مجموعات البارى واللاتوكا فى حوض بحر الجبل وللبارى لغة خاصة وان كان بينها وبين الدينكا بعض التشابه وأرضهم سهلة وخصوصا فى

القسم الشرقى منها تتخللها بعض المرتفعات لايزيد ارتفاع أى منها على ١٥٠ متر فوق سطح البحر ، كما توجد بمنطقتهم بعض الاودية الضحلة ٠

والاصل فى البارى انهم رعاة مواشى ـ وأغلب غذائهم مشتق من الالبان وقليلا ماياكلون اللحوم ويزرعون الذرة والسمسم ـ ومساكنهم ولمعظم سكان الاقليم الجنوبى فى الارياف يتكون من سقف من القش محمول على روافع أو اعمدة خشبية ، وتعيش الاسرة الواحدة غالبا فى مسكنين وهذا بخلاف مسكن ثالث للماشية ٠

والنظام الاجتماعى للبارى قائم على انقسامهم الى عشائر منفصلة ٠٠ ولا يجوز الزواج داخل العشيرة الواحدة ، ولهم نظام طوطمى ، فلكل قبيلة طوطم خاص ، قد يكون حيوانا أو جمادا ، كما نلاحظ أن لهم نظاما طبقيا عبيدا أو خدما ، بل تعتبر طقات لها حرف تنظر اليها الطبقة العليا بشىء من فمجتمع لبارى فيه طبقة عليا وطبقة دنيا ـ ولكن الطبقات الدنيا لايعتبرون عدم الاحترام ومن تلك الحرف الحدادة وصيد النهر أو النبر والطب وهى الحرف المغايرة للرعى بصفة عامة ـ وقد زالت بعض هذه الفوارق الآن ٠

ومن أهم زعماء البارى زعيم المطر أو صانع المطر وهو الرئيس الاعلى والحكم فى المنازعات وهو اعلى منصب ٠

وللبارى أيضا نظم خاصة بالزواج والمهر وقيمته ، والمهر عند البارى أقل منه عند الدينكا ومتوسطه عشر قطع من الماشية توزع بين والد العروس وأمها والعم ٠

ومن حيث العقائد الدينية يؤمنون بوجود اله للسماء وآخر للارض ، اله السماء هو الذى خلق العالم وهو الذى يرسل المطر ، والاقرب الى الناس هو اله الارض ويتمثل فى أرواح السلف . هذه صفات خاصة بقبائل البارى والمندارى وكل القبائل التى تسكن شرق بحر الجبل من انصاف الحاميين ٠

أما القسم الثانى من انصاف الحامين الشماليين فهم متواجدون الى الشرق من البارى ، وهم اللوكويا واللاتوكا وغيرهم وهم قريبون جدا فى شكلهم ونسبهم من البارى ، ويسكنون مناطق أكثر ارتفاعا من تلك التى يسكنها البارى ، كما أنها من أغنى البقاع الافريقية وأجملها بمناظرها الطبيعية ونباتها الكثير الخضرة ومناخها الاكثر اعتدالا وهم ينقسمون الى عشائر طرطمية ولديهم اعتقاد بانتقالهم بعد الوفاة الى جسم الحيوان الذى يؤمنون به كطوطهم لهم ٠ وقد يكون هذا الطوطم الفيل أو التمساح أو القرد أو النمل الابيض أو الثعبان ، وأقوى العشائر ماكان التمساح طوطمها وصانع المطر يكون عادة منهـا ٠

والفروع الشمالية للبارى وخاصة الشير أختلطت الى حد بقبائل الدينكا وأصبحت أشبه بمرحلة انتقال بين انصاف الحاميين والنيليين ٠

أما القسم الثالث من أنصاف الحاميين فيشمل اللاتوكا واللانقو ٠

أما القبائل الحامى نيلية الوسطى فهى تمثل فى السودان بقبائل (التبوسا) و (الدونيرو) و (الجى) و (التوركانا) ومن هذه القبائل فان قبيلة التبوسا تسكن كلها داخل السودان فى السهول التى تقع الى الشمال من جبال الديدنقا ٠ أما قبيلة (الجى) فانها تمثل فرعا صغيرا من القبيلة الكبيرة التى تعيش فى الشمال الشرقى لاوغندا ٠٠ أما (الدنيرو) فهى فرع من قبيلة التبوسا ولكنهم أنفصلوا عنها وهاجروا الى الشرق ولهذا كانوا فى فترة من الفترات تحت سيطرة الحكومة الاثيوبية ٠ أما قبيلة التوركانا فان أصلهم من شمال غرب كينيا ولكنهم فى فصل الصيف يعبرون الحدود السودانية ٠

كل هذه القبائل لها لهجات ذات صلات وثيقة مع مجموعة التيسو وهى مشابهة للهجات التى تتكلم بها التيسو فى شرق أوغندا ٠

ومعظم القبائل الحامى ـ نيلية رعاة الا أن قبيلة التبوسا تعتمد اعتمادا كبيرا على الزراعة وهم الوحيدون الذين لديهم قرى ثابتة ومشيدة تشييدا جيدا ٠

العنصر السودانى

هم من الزنوج النقاة ـ وهم منتشرون فى حوض نهار الويلى وأمبوبو فى أعالى الكنغو ٠ كما يتواجدون فى أعالى بحر الغزال ٠

والمجموعة التى تهمنا هنا هى التى تسكن الجنوب الغربى من المديرية ٠ ومعظمهم مناطق سكناهم يبلغ متوسط ارتفاعها عن سطح البحر نحو ٥٠٠ مترا ٠ وواضح فى هذه المجموعة بعض المؤثرات الغزمية من استدارة الرءوس ولون البشرة النحاسى الداكن والقامة المتوسطة الطول ، كما أن لهم مجموعة من اللهجات المتقاربة ذات الاصل الواحد .

ومن الفروق الواضحة بينهم وبين جماعة النيلين وأنصاف الحاميين أنهم يشتغلون بالزراعة ، بعكس الآخرين الذين يعتمدون على الرعى ، كما أنهم يرتدون الملابس ويحتقرون العرى والعراة ٠

وأهم القبائل فى هذه المجموعة هم « الزاندى » ، يتكونون من عدة قبائل ـ منها :

النودقوسيرى ، مجموعة الموريومادى والبنقوباكا والمكركة ، ومجموعة المنبتو ٠ وهذه المجموعات ليس لها مناطق محددة ولكنها متداخلة فى بعضها البعض ، وأن معظم هذه المجموعات تعيش خارج السودان ماعدا البنقو الذين

يعيشون فى منطقة التونج ، والذين تقطن منهم جماعات صغيرة فى الكونغو قرب الحدود .

وتاريخ هجرة هذه المجموعات الى السودان غير واضحة ولكن فى الغالب أن هذه القبائل جاءت من جهات الغرب والجنوب فى شكل موجات أنحصرت فى هذه المنطقة الموبؤة بذبابة التسى تسى .

ومجموعة الزاندى تمتاز بخفة الحركة ومتانة البنية وذلك فان قدرتهم على العمل طيبة . وهم يعدون من أذكى سكان أفريقيا جنوب الصحراء ويميلون الى النظام والطاعة .. ولهم مهارة واضحة فى الاعمال اليدوية . ومن ذلك مهارتهم فى صناعة الحراب والاسنة وكانت من عوامل تقدمهم نحو الشرق . وهم يهتمون بالنظافة فى حياتهم ومعيشتهم ويستطيعون اعداد مساكن واسعة مزينة بالالوان أحيانا من الداخل .

وهم مزارعون بطبيعتهم ولكنهم يجهلون تسميد الارض ولذلك فانهم يتركون الارض بعد محصولين أو ثلاثة ثم يعودون اليها بعد عدة سنوات .

والنظام الطوطمى والطبقى موجود بينهم ، والملك أو الشيخ يكون من الطبقة العليا وهو الزعيم ويرثه أبنه الاكبر .

أما العبادة أو الديانة فهى بسيطة اذ أن معظم ما لديهم منها يدو حول السحر والشعوذة ، ومع انهم يعترفون بالالة الا أنهم قليلا مايشيرون اليه ، فمعظم ابتها لاتهم هى الى أرواح السلف .

طرق المعيشة والنشاط البشرى

لاحظت أن سكان المديرية الاستوائية يعتمدون أساسا على حرفتين ، هما الزراعة والرعى .. وتنتشر الزراعة بكثرة عند سكان الجزء الجنوبى الغربى من المديرية . وخاصة عند مجموعات قبائل الزاندى ، وذلك لانعدام الحيوانات الأليفة فى هذه المنطقة لانها موبوءة بذبابة التسى تسى ، ونجد الزراعة أيضا فى مساحات صغيرة فى الاجزاء الاخرى من المديرية ولكن ليست الحرفة الرئيسية عندهم .

أما الرعى فهو الحرفة الرئيسية الثانية ـ وهذه نجدها منتشرة بكثرة فى الاجزاء الشمالية الشرقية والاجزاء الوسطى وهم رعاة بقر فى الغالب ، فهذه المناطق قليلة الاشجار والحشائش العالية اذا ماقورنت بالمناطق التى تنتشر فيها الزراعة ، كما أنها تخلو من ذبابة التسى تسى .

وخير مثال للقبائل التى تمثل هذا النوع من النشاط (الرعى) هم انصاف الحاميين مثل البارى والمندارى واللاتوكا .

وهؤلاء وأولئك يمارسون حرفة الصيد فى الغابات والسهول كما أنهم يصطادون السمك بدرجات متفاوتة • كما ان اعـــدادا منهم تعمل فى المـدن كعمال أو موظفين وخاصة فى مدينة جوبا وياى وازارا وغيرها •

تعتمد معظم هذه المناطق على الرعى ـ والزراعة متوفرة بجانب الرعى ـ والزراعة بوصفها القديم لم يكن لها دورة زراعية (حتى أواخر القرن التاسع عشر) ولم تحاول الاستعانة بالاسمدة لتجديد خصوبة الارض ، مما كان يترتب عليه ترك الاهالى لارضهم كل بضع سنوات لينقلوا الى أرض جديدة ـ وأهـم الغلات التقليدية هى الدخن والذرة ، كما يوجد الفول السودانى والسمسم والبفرة والتيلبون • وهذه المحاصيل والغلات تزرع فى مساحات ضـــيقة للاكتفاء الذاتى • وبمرور الزمن بدأت هذه الطريقة تتغير تدريجيا الى الطرق الحديثة ، وان كانت تمارس حتى الان وسط الغابات •

تنقسم الثروة الحيوانيـة هنـاك الى شـقين برية ومائيـــة منها الاليف والمتوحش فى المديرية الاستوائية، فالحيوانات الاليفة : الابقار والماعز والضان ولدواجن ، أما الحيوانات البرية بالاستوائية فهى : الافيـــال والجاموس وحيوانات أخرى •

وبالنسبة للثروة السمكية فان مساحة المياة تقدر بحوالى مليون هكتار مربع ، ويقدر انتاج الهكتار المربع الواحد بحوالى ٤٠ كيلو جراما سنويا وهذه المساحة تشمل بحر الجبل والنيل الابيض من بحيرة نوالى الرنك ونهر السوباط وبحر الغزال ثم المستنقعات والروافد •

والتوزيع الجغرافى للماشية فى المديرية كالاتى : قبيلة التبوســـا تملك حوالى ٧٠٪ من أبقار وضأن التبوســـا وتليها قبائل اللاتوكا ، والاشـــولى والديدنقا ثم المندارى • وعموما فان هذه الثروة تتمركز فى منطقة كبويتا ثم توريت • وأبقار قبيلة التبوسا من نوع الزيبو وهى أقل حجما من مثيلاتها فى شمال البلاد ـ أما الضأن فطابعه صغر الحجم مع قلة الانتاج وقصر الذيل •

ليس هناك فائدة تجارية ترجى من الابقار الآن ، وذلك نظرا لعدم ميلهم الى ذبحها ، الا بعد أن تبلغ ارذل العمر ، وكذلك لعدم مهارتهم فى استخدام منتجات الالبان •

ولعل مما تجدر الاشارة اليه ان لحوم أبقار هذه المنطقة ـ أجود للغذاء من الابقار لدى قبيلة البقارة ذاتها ، هذا اذا وجدت عناية خاصة • والواقـــع أنهم فى أعتنائهم بالحيوانات يعتمدون على الفطرة فحسب ، ولا تقوم رعايتهم لها على أسس علمية • وان أفضل العجول التى تولد من البقر السليم المـدر للبن تحفظ للتوليد واللقاح ، عـــلى أن تخص باقى العجول ، ولكن يســـمح للابقار جميعها بالولادة •

والقبائل التى تربى الابقار هى بالنسبة لها كل شيء فبجانب قيمتها في انتاج الالبان ، فانها تلعب دورا هاما فى المهور عند الزواج وان كان العدد الذى يدفع هنا فى الاستوائية أقل بكثير من مثيله عند القبائل النيلية كالدينكا والنوير والشلك فى أعالى النيل ·

وعندما تكون الاراضى فى حيازة القبيلة ، ويكون قطيع الابقار مملوكا ملكية خاصة ، فليس هناك فرد يرضى بان يقلل من مواشيه أو قطعانه ، كما انه ليس من اليسير تخطيط نظام عادل للحد من التوسع فى تملك القطعان · ولهذا كثيرا مانجد المشاكل تنتج بين القبائل بسبب المرعى ·

والثروة الحيوانية في المديرية الاستوائية تعانى من مشاكل كثيرة أبرزها عدم كفاية الرعاية الصحية ·

وتعتبر مصادر العيش فى طول المنطقة وعرضها الرعى والزراعة وصيد الاسماك ــ أما الصناعة بمعناها الحديث فانها تكاد تكون معدومة فى المديرية الاستوائية اللهم الا اذا استثنينا الصناعات البسيطة التى نجدها مرتبطة بالزراعة ، وحتى هذه فان ظروف الامن فى السابق كانت ذات أثر كبير فى توقف أو عرقلة سير الكثير منها ·

ولعل الحديث عن بداية الصنافى فى الاستوائية يقودنا الى عام ١٩٤٦ ، عندما بدأت فكرة تنفيذ مشروع الزاندى ترى النور · والذى كان يرمى فى المقام الاول الى الاستفادة من الثروات الطبيعية لتحقيق الاكتفاء الذاتى بقدر الامكان حتى يمكن تجنب استيراد أكثر السلع من الخارج ــ وان يقتصر

على الاشياء التى لايمكن صناعتها محليا ·

وقد بدأ العمل فى المشروع عام ١٩٤٦ · وبحلول عام ١٩٥٠ كان المشروع قد انتج القطن قصير التيلة ·· وكذلك بدأت زراعة الحبوب الزيتية ــ وقد صدر محصول القطن للخارج قبل تركيب مصنع النسيج بانزارا · ثم استخدمت الاقطان بكثرة بعد ذلك فى انتاج الدمورية ــ كما انتجت المصانع زيت البذرة والصابون ــ فضلا عن اقامة مصنع لانتاج السكر الاحمر وقد انتج عدة أطنان عام ١٩٥٣ · وكانت البضائع المنتجة محليا لاتجد منافسة من البضائع المستوردة لانه ليس هناك رسوم تضاف الى تكاليفها ·

والمشروع رغم المشاكل التى أعترضته ، فقد كان بداية لقيام نهضة صناعية حديثة لابناء الجنوب ومعلما فى الطريق ·

والشاى من المحصولات التى يمكن ان تنتج فى المديرية الاستوائية · وزراعته محصورة فى مركز ياى ويزرع الان فى مساحة صغيرة جدا ــ وهناك مصنع بياى لتصنيع الشاى (أى تخميره وتجفيفه فى هيئة البيع) ، كما ان هناك خطة لزيادة المساحة المزروعة ·

أما بالنسبة للتبغ فقـــد كان يزرع توريت ، مريدى وياى وقد بلغت المساحة المزروعة تبغا حوالى ۳٫۰۰۰ فدان ، كما كانت توجد مصانع للسجائر بجوبا . ولكن نتيجة لحوادث التمرد فان زراعة هذا المحصول النقدى الهـــام توقفت حتى جاءت اتفاقية السلام ، مما نتج عنه ترحيل مصنع السجائر الى الخرطوم لانتاج سجائر البرنجى والشامبيون .

وبما ان الاحوال قد استقرت الان فان الامال معقودة عـلى المزارعـين بمساعدة مكتب الزراعة بالمديرية لانتاج هذا المحصول النقدى ، وعودة مصانع التبغ الى حالتها السابقة . ويجرى العمل الان لاعادة تشغيل مصنع السجائر لانتاج سجائر البرنجى والشامبيون بمدينة جوبا خاصـــة بعد اعادة تنظيف وزراعة مزارع التبغ .

صناعة الاخشاب : بما أن المديرية الاستوائية غنية بانواع كثيرة من الاخشاب القوية ـ فان قسم الغابات بالاستوائية يعد من أكبر أقسام الغابات ومن أهمها .

ويقوم (قسم الانتاج) بانتاج الاخشـاب المنشـــورة لعمل الموبيليات واحتياجات المبانى السكنية وخطوط السكك الحديدية والكبارى .

المعـــادن :

يوجد الحديد فى حوض بحر الجبل ، ولكن الاستفادة منه غير ممكنـــة على الاقل فى الوقت الحاضر ، للتكاليف الباهظة اذا أريد ترحيله . كمـــا ان المنطقة لايوجد بها فحم حجرى لصهر هذا الحديد .

هذا ويمتاز سكان هذه المديرية والزندى على وجه الخصوص ـ بالنحت ، سواء أكان ذلك من العاج (أى سن الفيل) أو الاخشاب القوية كالابنوس ـ وهذه الصناعات تجد رواجا عند السياح ، لما فيها من روعة وتصوير لحيوانات وانسان الغابة . التجارة فى سن الفيل لها رواج عالمى ومنطقة الاستوائية من المناطق الغنية فى العالم بالافيال .

وعلى العموم فان الصناعة فى الاستوائية مرتبطة ارتباطا وثيقا بالزراعة فاذا قامت مشاريع زراعية كبرى ، فان مشاريع صناعية كبرى سوف تصحبها وخاصة فى المنتجات التى تختص بها هذه المنطقة الاستوائية كالاخشاب القوية والشاى والتبغ والارز وما شابه ذلك .

والآمال المعقودة كبيرة فى تنفيـذ كل ذلك ، بعـــد أن عادت الحياة الى مسيرتها الطبيعية فى أقليم البلاد الجنوبى .

التجارة : بما أن معظم سكان الاستوائية يعتمدون على الرعى والزراعة

بوضعها القديم – أى الزراعة فى مساحات ضيقة وبطريقة بدائية بغرض الاستهلاك المحلى فاننا ، نجد الحركة التجارية فى المديرية راكدة اللهم الا بعض أسواق المدن الكبرى مثل جوبا وانزاراوياى وغيرها حتى نجد فيها البضائع المستوردة أو القادمة من شمال القطر .

والمديرية الاستوائية تعتمد اعتمادا كليا على الشمال فى المواد التموينية الغذائية ، حيث أن المواطنين كما ذكرنا .. لاينتجون مايكفى حاجتهم طوال العام ، وعليه كان لابد من جلب مواد اضافية من الشمال لسد الحاجة .

وكمثال لذلك فانه يتم جلب حوالى ٢٥٠٫٠٠٠ جوال ذرة سنويا . والمنطقة الوحيدة التى تنتج انتاجا زراعيا يكفى حاجتها هى كبويتا . الامر الذى عرقل الكثير من مشاريع التنمية والانشاء نسبة لانشغال وسائل النقل فى نقل المواد التموينية .

ولعل المشكلة التى تسبب كثيرا من المضايقات فى هذه المديرية هى عدم توفر اللحوم والخضروات ، نسبة لتكاثف السكان داخل المدن ، فقد قل أو انعدم امكان مد الريف للمدن بالخضروات .

السياحة .. والصيد

اذا نظرنا الى مقومات المديريات الجنوبية السياحية عامة فسنجد أنها متعددة ، ومتنوعة ،فهناك الحياة القبلية التى تعكس عادات أفريقيا وتقاليدها ، وهناك الفلكلور الشعبى ، والمصنوعات اليدوية وخاصة الخشبية منها والعاجية ولكن أهم جاذب سياحى لجنوب القطر هو الكمية الهائلة من الصيد التى تعيش فيه ، والذى جعل منه البقعة المثالية لهواة الصيد ، والتصوير . كما أن السياح يمكن أن تمتد زيارتهم من الاقطار المجاورة .

والذى جعل المنطقة غنية بالصيد انها تتمتع بغابات كثيفة تتخللها سهول خضراء ومستنقعات وجبال عالية تنحدر منها شلالات مياة النيل الخالد. فى هذه المنطقة تقطن أنواع كثيرة من الغزلان – وهناك أنواع كثيرة من حيوانات الصيد والطيور – منها الافيال ، والفهود والاسود والجاموس والزراف ووحيد القرن الابيض . كما توجد بالجنوب أنواع رائعة من الطيور منها طائرة أبو مركوب الذى انقرض فى جميع انحاء العالم ماعدا جنوب البلاد – ويوجد القرنوق وأبو منجل والحبارى والقمرى وهناك أنواع من حيوانات الصيد قلما توجد فى بلاد غير السودان ، مثال ذلك : البقر البرى من نوع اثلاند الاكبر وغزال البونقو وغزال النيل العوام والقلق الابيض ، وحمراوية تيتل .

وجوانب الجنوب السياحية أكثر قابلية للاستفادة من جميع الجوانب ،

حسب التقديرات فان عدد بعض الحيوانات بالاستوائية كالاتى :

الافيال : ٠٠٠ر٠٠٠ر١

الجامــوس : ٠٠٠ر٠٠٠ر٣

حيوانات أخرى : ٠٠٠ر٠٠٠ر١٠

نصر للشعب السودانى كله

قبل أن اغادر جوبا عائدا الى الخرطوم أصر هنرى لوقالى محافظ المديرية على ان يسمع رأى فيما رأيت وسمعت ··

وقلت : قبل أن اصل الى هنــا .. زرت ملكال والناصر واكوبو والبيبور وتقريبا كل مناطق اعالى النيل وما رأيته فى هذه المناطق يؤكد النجاح الساحق الذى حققه الشعب السودانى فى اتفاقية أديس أبابا · وهذا الاتفاق هــو نصر للشعب الســودانى وكما قال الرئيس نميرى فليس لاحد ان يقول ان هــذا النصر ملك له لانه من عرق الشعب السودانى ومن معاناته ولذلك فهى ليست نتيجة نميرى أو أبيل ألير أو الجنوب أو الشمال ·· هذه هى الحقيقة التى يجب ان يفهمها الجميع داخل السودان وخارجه لقد برهــن الاتفاق عــلى ان السودان واحد وسيظل واحد والى الأبد باذن الله .. ان هناك أشياء قومية عديدة تؤكد وحدة هذا الشعب ، أبرزها فى رأيى قوات الشعب المسلحة التى أصبحت واحدة ثم سقوط جدار الخوف بحيث أصبح الجميع اخوة فى حقوق المواطنة ·· يستطيع كل سودانى ان يعمل فى أى مكان فى الســودان بلا خوف .. لقد رأيت الجنوبى يعمل فى الشمال بلا خوف وبلا حساسية وهذه ظاهرة صحية لم يكن من السهل تحقيقها فى ظل النظرة الضيقة التى عالجت من خلالها الحكومات الحزبية مشكلة الجنوب .. واذا كان لى من تعقيب آخر فهو ضرورة اليقظة والتنبه للضرب بيد من حديد على كل من يحاول النيل من هذا المكسب الكبير ·

وقال لى هنرى لوقالى : أطمئن فالشعب قادر دائما على حماية مكاســبه مادام مقتنعا بها ·· لقد حلت المعادلة الصعبة ·

الباب الرابع

الرهان الاسرائيلي على جنوب السودان

كانت العاصمة الاثيوبية « اديس ابابا » تشهد دورة انعقاد غير عادية لمؤتمر القمة الافريقى فى مايو ١٩٧٣ .. المناسبة فى هذا التاريخ كانت مزدوجة :

● دورة الانعقاد العادى لمؤتمر القمة الافريقى والذى تميز عن غيره من المؤتمرات الاقليمية بالانتظام .

● ثم الاحتفال بمرور عشر سنوات على قيام منظمة الوحدة الافريقية .

الا أن قمة اديس ابابا الافريقية فى سنة ١٩٧٣ كانت متميزة عما سبقها بسمات لها دلالتها :

أولا — انه كان التجمع الافريقى الاول الذى أجمع على ادانة اسرائيل بينما كانت الادانة فيما سبق لاتصل الى حدود الاجماع ، بل ان التحفظات ايضا كانت مطروحة كما حدث فى مؤتمر القمة الافريقى بالرباط سنة ١٩٧٢ .

ثانيا — ان الادانة الافريقية لاسرائيل كانت مقرونة هذه المرة بحركة افريقية ايجابية ، تمثلت فى قطع عدد من الدول الافريقية لعلاقتها مع اسرائيل بالاضافة الى قرار « بأن تكون المقاطعة لاسرائيل على مستوى القارة اذا ما واصلت اصرارها على احتلال الاراضى العربية المحتلة » .

ثالثا — كان القرار المطروح فى قمة أديس ابابا والذى اجيز بالاجماع فيما بعد يقول بأن اسرائيل تمارس عدوانا على القارة الافريقية باحتلالها اجزاء منه « صحراء سيناء فى مصر » وان التحرك الافريقى ينبغى ان يتجاوز فى مرحلة لاحقة حدود المقاطعة الدبلوماسية الى التحرك الايجابى لانهاء الاحتلال الاسرائيلى عن أرض أفريقية .

رابعا — كانت هذه هى المرة الاولى التى تمتنع فيها الحكومة الاثيوبية عن دعوة السفير الاسرائيلى فى أديس ابابا لحضور الجلسات المفتوحة فى المؤتمر . كما كانت المرحلة الاولى التى يتجاوز فيها الموقف الاثيوبى فى ذلك الوقت المساندة اللفظية للقضية العربية لاتخاذ اجراء مهما بدأ شكليا الا انه كان بادرة خطر على العلاقات الاسرائيلية الاثيوبية .

ولقد كانت قمة أديس ابابا الافريقى عام ١٩٧٣ هي بداية النهاية للنفوذ الاسرائيلى فى القارة على حد وصف احد القادة الافارقة كما أن مداولات المؤتمر عبر جلسات العمل العشرة كانت قد ركزت بصورة خاصة على صور النشاط الاسرائيلى فى افريقيا وعلاقته بالمواجهة العربية الاسرائيلية وبالرغم من التكتم الشديد الذى أحيط بهذه المداولات الا ان

بعض الوثائق الهامة كانت قد تسربت وهى تدور حول مخطط اسرائيلى مزدوج كان يجرى العمل على تنفيذه بالفعل .

ماذا تقول الوثائق ؟

كانت الوثائق تتضمن مخططات اسرائيل الاستراتيجية للعمل المتكامل فى الشرق الاوسط وافريقيا . وبالرغم من أن ما تسرب من هذه الوثائق لم يكن شاملا لكل تفاصيل الاستراتيجية الاسرائيلية فى الشرق الاوسط الا ان « الكم » الهائل من التفاصيل حول استراتيجية اسرائيل ومخططاتها التفصيلية حول جنوب السودان على وجه الدقة كان حافلا ومثيرا .

فيما يتعلق بالشرق الاوسط فلقد كان المخطط الاسرائيلى يضع الخطوط الرئيسية الآتية كموجهات للحركة فى منطقة الشرق الاوسط فى ذلك الوقت المبكر من صيف ١٩٧٣ أى قبل حرب أكتوبر باربعة أشهر على وجه التقريب . ولقد كانت موجهات الحركة كما كشفت عنها الوثائق فى قمة اديس ابابا الافريقية كما يلى :

أولا — العمل المكثف على تكريس حالة « اللا سلم واللا حرب » فى الجزء الساخن من منطقة الشرق الاوسط وذلك عن طريق افتعال بؤر بديلة ساخنة داخل المنطقة ولكن على ان تكون هذه البؤر بعيدة عن مركز الصراع العربى الاسرائيلى .

ثانيا — العمل على انهاء الاستقطاب الحاد للقوتين الاعظم بالنسبة لمشكلة الشرق الاوسط بشكلها الراهن حتى يأخذ الاستقطاب شكلا تتعدد فيه القوى بما يتيح تفتيت الضغط الذى تتعرض له اسرائيل .

ثالثا — ان تكون البؤر الجديدة بحكم حساسية الاوضاع داخلها وبحكم تداخل المصالح الدولية المتمركزة فيها قادرة على تشتيت أى جهد يحاول الانفراد بحل المشاكل الطارئة التى تواجهها ، كما تكون قادرة وفى نفس الوقت على أن تسحب الاهتمام الدولى والمحلى عن الساحة الراهنة للصراع العربى الاسرائيلى .

رابعا — يشترط فى البؤر الجديدة أن تكون على المدى القريب والبعيد هى الاحتياطى الاكبر والاقدر على دعم صمود الكيانات المتماسة مباشرة مع اسرائيل ، وبحيث أن يستهدف التحرك الاسرائيلى العمل على وضعها فى مواقف الدفاع عن كيانها المباشر بحيث تفقد أى قدرة على القيام بتقديم أى دعم للطرف العربى فى صراعه مع اسرائيل .

خامسا — أن نوع الحركة المطلوبة وحجمها ومداها سواء فى مراحل التمهيد أو مراحل التنفيذ يجب أن تستقطب « كما » غير محدود من موارد هذه البؤر الامر الذى يقلل مرة أخرى من امكانية قيامها بهذا الدعم .

• • ولقد كانت مبررات هذا التحرك الاسرائيلي كما كشفت عنه وثائق قمة أديس أبابا الافريقية السرية يرتبط أولا بمناخ الوفاق الدولى والانسحاب المتدرج للولايات المتحدة من فيتنام وتفرغ الاتحاد السوفييتى لمواجهة مشكلة الشرق الاوسط بالاضافة الى الحد من فاعلية السلاح السوفييتى والذى وصفته الوثائق الاسرائيلية بأن كفاءته كفاءة « كمية » لا نوعية . وبالرغم من أن الوثائق التى تم تداولهـا فى قمة اديس ابابا الافريقية لم تكشف بالوضوح الكافى عن مسار التحرك الاسرائيلى ومداه الا انه كان مفهوما بأن البؤر المقصودة هى منابع البترول العربى وأن الاستراتيجية الاسرائيلية تعمل على نقل الصراع العربى الاسرائيلى من مواقعه الحالية الى موقع جديد بالاضافة الى ضم اطراف جدد اليه . كذلك فان الوثائق لم تؤكد ولم تنف اذا ما كان المقصود بهذا الانتقال أن تقوم به اسرائيل أو توصى به لكيانات دولية أخرى أو حتى تشارك فيه معها الا انه كان واضحا رغم ذلك بأن اسرائيل لا تخطط بمفردها كما انه ليس من المتوقع أن تتحرك بمفردها وان دورها فى كل الحالات هو المشاركة من موقع الظل .

• • والمثير فى أمر هذه الوثائق والتى كشف النقاب عنها جزئيا فى هذا الوقت بل تم تداولها بين الأطراف المعنية فى المنطقة فيما بعد لم تثر اى ردود فعل عربية الا فيما بعد حرب أكتوبر بمضاعفاتها المعروفة .

• • وقد يكون من الانسب ان نتناول بشىء من الايجاز بعض السمات الرئيسية التى تميزت بها الحركة السياسية فى منطقة الخليج فى الفترة من مايو ١٩٧٣ وما قبله الى اكتوبر ١٩٧٣ وما بعده والتى كانت على النحو التالى :

١ — أن منطقة الخليج عايشت بالفعل مرحلة تهديد تمثل فى شكل احتكاكات على النطاق الاقليمى اتخذت فى بعض المراحل شكل التحرك المسلح .

٢ — أن المنطقة عايشت ومنذ هذه الفترة مرحلة استيعاب نهم للسلاح ومن شتى المصادر وبكميات هائلة وبنوعيات متطورة .

٣ — أن منطقة الخليج انشغلت لبعض الوقت بما فى داخلها أكثر من اهتمامها بما فى خارجها . بل لوحظ ماهو أخطر من ذلك أن أية مبادرات للحركة لمجابهة واقع الاحتلال الاسرائيلى للأرض العربية المحتلة كان يقابله وفى « صدف » متكررة فرقعات كبيرة داخل منطقة الخليج وهى فرقعات بعضها كان ينبع من الداخل وبعضها كان يتحرك بتأثير القوى الملاحقة لها وبعضها الآخر كان ناتجا عن تحرك غير متكامل وغير متوازن بين أجزائها وذلك اذا استبعدنا تعبير التلميح بالصدام .

٤ — فيما بعد حرب أكتوبر اتخذ مسار الأحداث فى الخليج العربى صورة أكثر وضوحا ولعله ليس من المطروح أن تكون الصدفة مرة أخرى

هى التى بلورت الدور البالغ الاهمية والخطـــورة للبترول العربى فى حرب أكتوبر وما بعدها تلك البلورة التى واكبها وعلى الفور حملة التهديدات باحتلال منابع النفط فى الخليج بل وفى كل المنطقة العربية وذلك اذا وضعنا فى الاعتبار أن تضخيم هذا الدور وقصره على بترول المنطقة العربية دون سواها كان مصنوعا من جانب ذات القـــوى التى لوحت بامكانية احتلال المنابع .

مخططات اسرائيل لجنوب السودان

◆ ◆ واذا كانت الوثائق قد تعرضت بالتلميح لمنطقة الشرق الأوسـط فانها تعرضت بالوضوح بل والافاضة فيما يتعلق بالتحرك الاسرائيلى بالنسبة لجنوب السودان والتى حددت الأهمية الاستراتيجية لهذا الجزء من افريقيا على النحـــو التـــالى :

أولا : انه الكيان المؤهل من وجهة النظر الاسرائيلية الأن يكون الكيان الفاصل بين أفريقيا الافريقية وأفريقيا العربية .

ثانيا : انه الكيان غير المؤهل من الناحية الموضوعيـــة لا للذوبان فى كيانات افريقية غير السودان بسماته العربية ولا هو قادر على البقاء ككيان مستقل لاعتبارات تتعلق بموارده الاقتصادية وعدم وجود مداخل أو مخارج له عن الخارج ، بالاضافة الى ندرة الكوادر الفنية والادارية القادرة على تحمل أعباء التنمية الذاتية ، فضلا عن تكاليفها الباهظة ، وهو من هـــذا المنطلق وفقا للاستراتيجية الاسرائيلية مؤهلا لان يكون قاعدة نموذجيـــة لاسرائيل ، تحقق بها الأهداف الآتية :

(أ) أن تكون اسرائيل بالجنوب كيان عازل بين جنوب الصـــحراء وشمال الصحراء ، أى بين افريقيا والعالم العربى .

(ب) أن تكون اسرائيل بالجنوب وفى الجنوب قاعـدة للانطـــلاق داخل القارة ومن موقع ثابت تتوافر له مقومات الاســـتقرار حيث لا يتأثر بتغيير نظم الحكم أو شخصية القادة .

(جـ) أن تكون اسرائيل بالجنوب تطويقا للسودان وبالتالى مصر .

(د) أن تكون اسرائيل بالجنوب وفى الجنوب ، قدرة تحكم فى بعض المصادر الاساسية لنهر النيل ، بتأثيره الضخم على الحياة الاقتصادية فى مصر والســـودان .

◆ ◆ ثم تتحدث الوثائق بعد ذلك عن مسار الحركة الاسرائيلية لتحقيق هذا الهدف ، وفق خطوات محددة ، بل وفقا لمعادلة يمكن تلخيصها عـــلى النحـــو التالى :

انه مادامت امكانيات الحركة الاسرائيلية قد تضاءلت الى أبعد الحدود

فى جنوب السودان بعد توقيع اتفاقية اديس ابابا ، والتى تم بمقتضاها اعلان الوحدة بين الشمال والجنوب فان الانتقال الى شمال السودان من الممكن أن يحقق نفس الهـــدف .

بعبارة اخرى أن تقويض الوحدة والقضاء على قيام الاتفاقيــة ، وان استحال موضوعيا أن يتم من خلال الجنوب ، فانه يمكن ان يتم بحـــركة محسوبة فى الشمال ولكن كيف ؟

(مالم تكشفه الوثائق)

◆◆ لم تكشف الوثائق الخطة التفصيلية للتحرك الاسرائيلى ، وان اشارت الى مجال الحركة وموضعها ، الا أن العاصمة السودانية شهدت فيما بعد مايو ١٩٧٣ مجموعة من الاحداث التى تصاعدت لتصـــل الى نهايتهــــا فى سبتمبر ١٩٧٣ ، وهى أحداث يكفى تسجيلها ، لعلها تشير الى معلومـــات منها ما تضمنته الوثيقة عن التحرك الاسرائيلى واتجاهه النقاط الرئيســية التالية :

١ — فى يوليو ١٩٧٣ شهد السودان سلسلة من الازمات التموينية الحادة والمتلاحقة ، وبالنسبة لبعض السلع ذات الصلة بالاحتياجات اليومية مثل الجاز ، أمواس الحلاقة ، البطاريات الجافة ، والتى يشـــيع استخدامها فى السودان بالاضافة الى نقص ملحوظ فى كمية المعروض من السكر .

٢ — عملت الحكومة على مواجهة النقص فى هذه المواد ، وذلك بطـــرح كميات متزايدة منها الا أن هذه المواد كانت تختفى فور وصولهــــا ليطل شبح الازمة من جديد .

٣ — حاولت الحكومة الاستفادة من الطائرات التى تشحن لحوم التصدير من السودان الى خارجه وذلك عن طريق شحن هذه الطائرات لبعض السلع ، منها أمواس الحلاقة والبطاريات الجافة وبكميات تفـــوق عدة أضعاف معدلات الاستهلاك المعتادة ، الا أن النقص فى هـــذه السلع بالذات كان يبرز وبصورة ملحة رغم ذلك .

٤ — فوجىء قراء الصحف فى السودان يوما ، بخبر عن اكتشاف مساحة واسعة من الارض مشبعة بالبترول فى منطقة سنار فى وسط السودان واشارت الصحف بأن هذه الظاهرة دليل لايقبل الشك عن وجـــود البترول فيها (لم تلاحظ الصحف أن هناك فروق حادة بين البترول الخام من حيث الشكل والقوام ، والتربة المشبعة بالجاز الابيض ، موضـــوع الخبر) .

٥ — اندلع حريق هائل فى وسط الخرطوم ، واتضح بعد التحقيق أنه نتج عن صفائح بترول مخزونة فى باطن الارض وأنهـا انفجرت بفعل الحرارة وفى نفس الوقت ، نشطت حركة سياسية لعناصر المعارضة داخل السودان وبصورة سافرة ومفاجئة . الغريب فيها أنها قامت تمثل وجوها من الصف الثانى من القيادات الحزبية القديمة ، والاغرب أنه فى الندوات التى عقدت والمنشورات التى وزعت فان التركيز وبغير مناسبة حول جنوب السودان سلبا وايجابا .

كان الحديث يدور حول عدم اهمية جنوب السودان بالنسبة للسودان ، وانه اذا كان ثمن الاطاحة بنظام الرئيس نميرى هو فصل الجنوب نهائيا فلنفصل الجنوب ، بل تطرق البعض فى حديثه عن الجنوب فطالب بفصله تمهيدا لاعادة فتحه بحد السيف .

كان معروف ان التحرك السياسى النشط والمفاجىء والمكشوف أيضا أنه تم تخطيطه فى اطار متدرج :—

١ — أن يسبقه ويمهد له ، اثارة جو من السخط الشعبى الناتج عن اختفاء السلع التموينية ، ذات التأثير المباشر على المواطنين فى احتياجاتهم اليومية (الجاز — السكر — امواس الحلاقة — البطاريات الجافة) .

٢ — ان يتصاعد هذا النشاط مع تزايد السخط الشعبى مع الحفاظ على تصاعده ليصل الى الذروة .

٣ — ان يتم التحرك فى موعده المحدد فى اكثر من اتجاه تحرك سياسى تقوده العناصر الحزبية ، ثم تحرك للتخريب فى نفس الوقت ، وهدفه هو استفزاز السلطة لتضرب بعنف ، ليكون رد الفعل عنيفا أيضا وهكذا فى سلسلة متكاملة تنتهى بسقوط النظام .

ولقد تم تنفيذ المخطط بالفعل وبصورة دقيقة ، الا أن أحداث سبتمبر ١٩٧٣ فى السودان لم تجد تجاوبا شعبيا على الاطلاق وانحسرت فىمظاهرات محدودة ، وتحركات للتخريب قمعها المواطنون قبل اجهزة الامن .. الا أن الاحداث وما سبقها اثارت أسئلة هامة وخطيرة حول الامور التالية :

١ — مصادر التمويل بالنظر الى حجمه والذى استطاع ولمدة ثلاثة شهور متوالية على استيعاب الكثير من السلع لا بقصد التخزين وانما بقصد التدمير الكامل ثم قدرته على مواكبة جهد الدولة فى مضاعفة المطروح من هذه السلع .

٢ — لماذا الجنوب بالذات والذى كان القاسم المشترك الاعظم للحركة السياسية المعارضة التى سبقت أحداث سبتمبر ١٩٧٣ ولماذا المطالبة علنا بفصله ؟!

٣ ـ توافر السيولة النقدية لدى الصبية وبعض الوافدين الافارقة والذين يعملون في الاعمال التافهة في أعماق السودان والذين قاموا بدور التخريب في أحداث سبتمبر للحد الذى كانت جملة المبالغ التى ضبطت عند بعضهم يتجاوز الخمسين جنيها .

٤ ـ من هي الجهة التى تستطيع أن تتحمل اعباء مثل هذه الحركة بتكاليفها الضخمة ، ثم الأهم ، ما هو العائد الذى كانت تنتظره حتى في حالة نجاحها ؟

والعائد هنا هو العائد المالى بصرف النظر عن العائد السياسى ؟
وهي أسئلة تم الوصول الى اجابة محددة لها ، عندما أشارت الخيوط المتداخلة الى شخصية سودانية تعيش في الخارج .

من هو فيليب عباس غبوش ؟

فيليب عباس غبوش ، سوداني من ابناء منطقة غرب السودان ، كان عضو في الجمعية التأسيسية (البرلمان) فيما قبل قيام ثورة ٢٥ مايو ، تاريخه السياسى في تلك الفترة كانمتميزا بعدة مواقع ومواقف على النحو التالى :

١ ـ أنه كان ينتمى لما يسمى كتلة الزنوج الاحرار والتى كانت تسعى لقلب نظام الحكم في السودان بالقوة ، بهدف القضاء على كل العناصر غير الزنجية في مواقع السلطة في السودان .

٢ ـ أنه في المرحلة التالية كان يطالب علنا بفصل غرب السودان عن الكيان السودانى ، وكون لهذا الغرض منظمة سرية أطلق عليها اسم منظمة سوني .

٣ ـ أنه النائب الوحيد في الجمعية التأسيسية الذى وقف بعد حرب يونية ٦٧ ليعارض وحده قطع علاقات السودان مع الولايات المتحدة لتواطئها في حرب الايام الستة ، كما كان هو الوحيد الذى وقف يعترض على تبرع أعضاء الجمعية التأسيسية بمرتب يوم واحد لدعم المجهود الحربى العربى .

◆ ◆ بعد قيام ثورة ٢٥ مايو اختفى فيليب عباس غبوش ، ليظهر بعد ذلك في اسرائيل ، ومن اسرائيل الى الدول الافريقية المجاورة لحدود السودان الجنوبية ، ولقد استطاعت أجهزة الأمن السودانية ان تحصل على خطابات بينه وبين القيادات الاسرائيلية ، كما استطاعت ان تحصل على مسودة خطاب بخط يده موجه لجولدا مائير ، يطالب فيها بتأكيد مساندة اسرائيل لمنظمة سوني بعد أن يتم فصل جنوب السودان .

◆ ◆ وبعد توقيع الاتفاقية عاد فيليب عباس غبوش الى اسرائيل ، ومنها الى لندن فروما حيث اتخذها مركز الاتصالات .

كل الطرق تؤدى الى روما

بعد أحداث سبتمبر ١٩٧٣ اتضح أن عناصر التخطيط لتلك الحوادث كانت قبلها على صلة مباشرة بفليب عباس غبوش وان هذه الصلة كانت لا تتم عن طريق الاتصال المباشر وانما كانت تتم عن طريق عناصر وسيطة وان تلك العناصر كانت تتولى نقل التوجيهات ونقل الأموال فى نفس الوقت، وفى تلك الفترة لاحظت دوائر السفارة السودانية فى بيروت ، ارتفاع غير عادى فى أسعار العملة السودانية فى السوق اللبنانى بغير مبرر ، كما شهدت العاصمة السودانية فى نفس الوقت طرحا غير مألوفا لكميات من الذهب غير المصنع الا ان ماحدث فى بيروت ، وماحدث فى الخرطوم لم يلفت نظر احد فى العاصمة السودانية ، العكس هو الصحيح .. ارتفاع سعر العملة السودانية فى بيروت ، قوبل باغتباط باعتباره دليل على انتعاش اقتصاد السودان ، طرح كميات من الذهب فى أسواق الخرطوم فسره البعض باعتباره مظهرا لوعى اقتصادى شعبى ، بدأ يتخلص من عادة تجميد الأموال .

الرهان الاسرائيلى لماذا سقط ؟

◆ ◆ يبقى بعد ذلك سؤال :

لماذا سقط الرهان الاسرائيلى ؟

سقط الرهان الاسرائيلى لانه اعتمد على مقدمات خاطئة فافرزت نتائج خاسرة .. المقدمات كانت تشير فى التصور الاسرائيلى بأن سقوط النظام فى الشمال يتبعه على الفور انفصال فى الجنوب ، فانهاء الصدام كان مبادرة من جانب الرئيس نميرى شخصيا ، بل ان انهاء الصدام كان يبدو كهدف وحيد لقيامه بالثورة فى ٢٥ مايو ١٩٦٩ ، اذا كان هذا الهدف هو أول الأهداف المبرمجة ، والذى أعلنه بعد اسبوعين من قيام الثورة ، وبالتحديد فى ١٤ يونية ١٩٦٩ ذلك الهدف الذى تضمن الاعتراف لاول مرة بوجود فوارق عرقية وثقافية واقتصادية بين الشمال والجنوب ، ثم طرح وللمرة الأولى حلا جذريا للمشكلة يتمثل فى حكم ذاتى اقليمى فى اطار الكيان السودانى الموحد ثم انه واصل رغم كل الصعاب التى واجهتها الثورة عمله لرعاية مبادرته وبجهده الشخصى حتى تحقق هذا الهدف فى مارس ٧٢ .. اذن ، فان نميرى هو وحده ضمان الجنوبيين فى استمرار الصيغة التى تم قبولها ، والقضاء عليه شخصيا هو قضاء على هذه الصيغة وهى مبرر ان لم تكن مجرد لعودة الصدام مرة اخرى وبصورة أقسى واقود يكون احتمالات الانفصال بعدها اكثر من مؤكدة .

◆ ◆ الا أن تلك المقدمات اغفلت الكثير والكثير ان تمسـك الجنوبيين بقيادة الرئيس نميرى لمـا حققه وأنجزه لا يزيد عن تمسك الشماليين أيضا به لنفس السبب ، ثم ان التحرك المخطط من الخارج ومهما كانت بواعثـه محكوم بالفشل عند انتقاله لمرحلة التنفيذ فى الداخل بالاضافة الى أن العناصر التى قادته كان محكوما عليها بالفشل وانها سواء كان انقياده لتنفيذ هـذا المخطط تم بغير وعى كامل بأبعاده واهدافه وهو احتمال له وجاهتـه ؛ وسواء كان بعضها تورط رغم معرفته الغامضة ببعض جوانبه فان تأثيرهـا المحدود فى الحياة السياسية فى السودان قبل قيام الثورة كان أيضـا من عوامل الفشـل .

◆ ◆ الا أنه يبقى العامل الأهم والأبقى :

ان ما تم تحقيقه فى جنـوب السودان وبجنوب السودان عندما تحقق الاتفاقية ، كان هدفا سـودانيا فى المقام الاول أجمـع عليه السـودانيون سواء فى الشمال والجنوب .

ردولف شتاينر المانى غربى ، أوربى الملامح ، أشقر الشـــعر ، أزرق العينين . نظراته الساهمة الحالمة لا تتناسب مع قامته العملاقة ، وان كان صوته الهادىء لا يخلو من رنة تحدى ..

من بيافرا فى نيجيريا بعد فـ شلمؤامرة الانفصال ، الى جنوب السودان وبشكل لاهث كما وصف تحركاته فى هذه الفترة .

كانت مهمته فى جنوب السودان ، كما أعدها بنفســـــه ، هى محاولة يائسة لانقاذ السفينة الغارقة .

فى تلك الفترة كانت هناك اتصالات سرية تشهدها العاصمة البريطانية وبعض العواصم الافريقية ، بهدف وضع حد لنزيف الدم فى هذا الجزء من السودان .

صحيح أن الاتصالات كانت قد تعذرت بل وتوقفت غير مرة ، الا انـــه صحيح أيضا . أنها كانت تتقدم فى بطء وثقة .

فى مرحلة من مراحل الاتصالات والتى سبقت المفاوضات كانت نقاط الخلاف قد تركزت كلها حول التفاصيل .. الخطوط العريضة ثم الاتفــــاق عليها .. وهنا برز أكثر من اتجاه :

* اتجاه يرى ارجاء بحث التفاصيل ، وهى موضع الخلاف الى مائدة المفاوضات المباشرة .

اتجاه يرى أن التأجيل أشبه ما يكون بوضع قنبلة قابلة للانفجار تحت مائدة المفاوضات .

* اتجاه يرى اعلان الخطوات الاساسية أكثر ثم الوصول اليها ، ثم متابعة ردود الفعل بالنسبة للجانبين ، وذلك بهدف ازالة شكوك ترســـبت خلال سبعة عشر سنة من الصدام الدامى ، باعتبار أن ردود الفعل ، هى التى تؤكد أو تبقى امكانية الثقة فى الالتزام بتنفيذ أية خطوات تفصيلية لاحقة

فى هذه الفترة بالذات ، وصل رودلف شتاينر الى جنوب السودان ، بعد رحلة طويلة زار فيها عدد من العواصم الاوربية والتقى فيها بشخصــــيات ذات اهتمامات مختلفة .

يقول ردولف شتاينر ، فى محاضر التحقيق الرسمية :

ان المهمة العاجلة التى « كلفت » نفسى بها هى أن أعمل وبسرعة على انقاذ السفينة الغارقة فى جنوب السودان ، كانت كل الدلائل تشير ، كمـــا

أكدت لي عدة مصادر ، بأن تعثر الاتصالات بين القيادات الجنوبية وممثل الحكومة في السودان ، لا تشير على الاطلاق الى فشل محقق . كانوا قد اتفقوا بالفعل على الخطوط الرئيسية ، وكانت كل خلافاتهم حول التفاصيل في أكثر من عاصمة سمعت رأيا موحدا ، واجتهادات مختلفة .. الرأى الموحد كان يؤكد على ضرورة التحرك السريع لاجهاض أى نجاح محتمل للاتصالات الجارية .

الاجتهادات . كنت أسمعها بعد الكأس الثالثة في الغالب .

* البعض كان يرى ، أن نجاح الاتصالات لا يعنى على الاطلاق ، امكانية نجاح المفاوضات ، بل وحتى نجاح المفاوضات قد لا تشير الى امكانية الانتقال من المائدة الى الغابة والايدى تتعانق .

* البعض كان يرى أن الاتفاق على الخطوط الرئيسية هو أسهل أنواع الاتفاقات .. التفاصيل، هى دائما صخرة الصدام .

* البعض كان يرى بأن الدرس المطلوب للجناح المعتدل بين الجنوبيين هو أن ندعهم يتجاوزون مرحلة الاتصالات الى مرحلة المفاوضات ، الفشل في هذه المرحلة يكون أكثر مرارة وأبقى أثرا .

* البعض كان يبتسم وهو يقول :

لا النميرى ، ولا القيادات الجنوبية قادرة على تجاوز صدام السنين هو يبحث عن ضمادات لجراحة في ظل المعارضة لنظام حكمه .. والجنوبيين يحاولون الضغط علينا لنعطى المزيد ثم المزيد .

الا أن التعليمات بعد التفسيرات تظل هى هى .. أن أسرع لانقاذ السفينة الغارقة .

كانت مهمتى في هذه الفترة أن أحقق عدة ضربات عسكرية ناجحة ومؤثرة بهدف مزدوج .

الاول ــ التأثير في العسكريين السودانيين ، ليصمدوا من ردود الفعل بما يجهض التقدم الذى تم احرازه في مرحلة الاتصالات ، والتى كانت خافية عليهم لسريتها بطبيعة الحال .

والثانى : هو العمل على دعم الجناح المعارض للاتصالات والمفاوضات بين الجنوبيين ، والذين كانوا يستبعدون امكانية الوصول الى حل عن طريق الحوار مع قيادات سودانية .

ويقول ردولف شتاينر في محاضر التحقيق ، بعد أن تم اعتقاله بواسطة

السلطات اليوغندية وتسليمه للسودان ، ان هذا الهدف كان وراء الفشل العسكرى ، والفشل السياسى بعد ذلك .

كنت متلهفا على توجيه ضربات مركزة .. وذلك جعلنى أبتعد عن الطبيعة الخاصة لحرب العصابات والتى تعتمد على مبادىء ثلاثة :

الاول ـــ خفة الحركة والقدرة على التنقل والمناورة والاعتماد على التسليح الخفيف .

الثانى ـــ التحرك بجماعات صغيرة ، تخطط وتنفذ عمليات محدودة ، بغير اعتماد على خطوط مواصلات معقدة .

الثالث ـــ الاعتماد على جغرافية الارض ، باعتبارها عاملا مساعدا ومكملا للتحرك الناجح فى المواجهة الغير مباشرة .

كانت المبادىء الثلاثة ، التى وعيتها منذ مدة طويلة ، بل ومارستها عمليا في بيافرا وغير بيافرا ، لاتتناسب مع الهدف الرئيسى لوجودى فى جنوب السودان فى هذه الفترة .

التحرك المحدود ، والضربات المحدودة ، ستكون صورة مكررة لعمليات سبقتها ، وهى بالنسبة للفريقين اصبحت روتينيا يوميا مألوفا ، التعامل بالاسلحة الخفيفة ، يحقق فى أفضل الظروف ، أهدافا تكتيكية بينما المطلوب انجاز هدف استراتيجى مهما كان حجمه .

ولذلك ، فرغم معارضة مريره من جانب بعض القيادات العسكرية الجنوبية ، قمت بحشد أعداد كبيرة من الأفراد ، وتشوين كميات ضخمة من المعدات الثقيلة ، ونظرا لاستحالة الاعتماد على خطوط اتصال وتموين فقد قمت أيضا بتشوين كميات ضخمة من المهمات والاغذية . ولقد فرضت هذه الاجراءات نفسها ، على المسرح الذى تم اعداده ليكون نقطة الانطلاق ، وهكذا تم اعداد معسكر « كاجو كاجى » والذى كان هدفا سهلا للقوات الشمالية للاسباب الاتية :

١ ـــ أنه لم يكن بعيدا بالقدر المناسب ، عن شبكة الطرق الترابية ، وكانت تلك نقطة ضعف خطيرة فى اختياره ، الا أن حجم المعدات المنقولة اليه كانت تفرض هذا الاختيار .

٢ ـــ ان التحرك الى المعسكر فى مرحلة اعداده ، كان يتميز بكثافة ملفتة للنظر مما جعل مهمة تحديد موقعه هدفا سهلا للقوات الشمالية .

٣ ـــ اننى اشترطت ـــ وكان هذا خطا من جانبى ـــ اعداد مطار يصلح لهبوط واقلاع طائرات صغيرة واعترف الآن أن سلامتى الشخصية

وحدها كانت وراء هذا الشرط ، وتطلب تنفيذ هذا الشرط اختيار مساحة مكشوفة ، يصعب تمويه أى تحرك اليها او فى داخلها .

٤ ـــ اننى اعتمدت على بعض المجارى المائية المحيطة بمنطقة المعسكر ، باعتبارها عوائق محلية تمكننا من الرد المبكر على أى هجوم محتمل على المعسكر ، ولم يدخل فى اعتبارى طبيعة المناخ فى هذه المنطقة ، والجفاف المفاجىء للمجارى المائية الضحلة .

ثم يمضى ردولف شتاينر بعد ذلك ، وفى تفاصيل مسهبة يروى قصة تسلله من المعسكر بعد الهجوم عليه ، ووصوله الى الاراضى اليوغندية ، ووقوعه فى أيدى السلطات هناك ، والذى سلمته بعد ذلك للسودان .

الا أن الاجابة على سؤال حول دوافعه الشخصية للمشاركة فى هذا العمل ولهفته على تحقيقه جاءت متدرجة وعلى امتداد فترات اعتقاله الطويلة، باحدى معسكرات الجيش السودانى فى ضواحى الخرطوم فى البداية ، كانت رنة التحدى فى صوته واضحة ، وكما وصفها مراسل الأوبزرفر والذى سمحت له السلطات السودانية بمقابلته ، كان صوته مزيجا من التحدى والزهو والوقاحة .

تحدث مطولا عن قضية العرب فى افريقيا وكيف أنه نصيرها ضد التسلط العنصرى ، وفى المقابلة التى نشرتها الأوبزرفر ، كانت اجابة شتاينر على سؤال للمحرر الذى قابله ، والذى تساءل عن القهر العنصرى الذى يواجه الجنوبيين ، قال انهم العرب .. وعندما سأله ، عن نشاطه فى بيافرا قبل ذلك ، وعن طبيعة القهر العنصرى هناك . قال :

العرب أيضا . . . !!!

فى مرحلة تالية ، اختفت رنة الزهو فى صوته ، وان بقيت رنة التحدى . ليقول ردا على سؤال للمحقق ، بعد ان أعترف بأن نشاطه فى جنوب السودان بل وفى بيافرا ، كان مرتبطا بالمصالح العليا لاسرائيل .

قال :

تسألنى عن علاقتى الشخصية بالمصالح العليا لاسرائيل اقول لك :

اننى من صلب الشعب الذى أعد المحارق لليهود فى المانيا وفى غير المانيا ، لقد زرت بولندا بعد الحرب العالمية الثانية ، والذى يغفر للشعب البولندى خضوعهحتى الان للنازية الشيوعية الجديدة ، انه احتفظ بآثار المذابح والمجازر الذى تعرض لها اليهود فى وارسو وغيرها من المدن البولندية ، أثناء الاحتلال النازى فى بولندا .

الا تعتقد اننى مطالب كالمانى ، بالتكفير عن خطايا بلدى .. أتعجب بأن نشعر بالندم كالمان أمام ماتعرض له « الشعب اليهودى » ، وأن تترجم

هذا الندم لمصلحته .. وعندما سأله المحقق عن مايعانيه العرب من اضطهاد اليهود لهم فى فلسطين العربية .

قال ردولف شتاينر :

العرب هم حلفاء المانيا النازية ، تعرف أو لا تعرف ، أن (شـــيخ) فلسطين كان فى رعاية هتلر أثناء الحرب العالمية الثانية !!

مقابلة مع شتاينر

بعد صدور الحكم فى قضية شتاينر واستقراره كسجين فى أحد السجون السودانية ، كنت قد طلبت مقابلته تمهيدا لاعداد هذا الكتاب . الذين اعترضوا على المقابلة ، كان على رأسهم وزير الداخلية .. والــذين وافقوا ، كان الرئيس نميرى .

تمت المقابلة فى ظروف غريبة .

اختاروا الصباح الباكر جدا ، بحيث بدأ تحركى الى السجن قبل الفجر. وعندما التقيت بشتاينر بعد ذلك ، علمت انه هو الذى حدد اليوم والساعة .

حول تحديده لليوم .

قال :

انه يفضل كثيرا يوم الجمعة ، ذلك أن مشهد المساجين فى الصـــــلاة الجماعية فى هذا اليوم ، كان يحقق له راحة نفسية لا يعرف لها سببا فى جو السجن الكئيب ، ورغم أنه لا يعرف شيئا مما يقولوه أو يفعلوه ، الا أنه يلاحظ انهم بعد الصـــلاة يكونون أكثر ودا وتعاطفا .

وعن اختياره للساعة ، والتى حددها بالسادسة صباحا ، فذلك لانــه يفضل النوم نهارا ، والسهر ليلا ، تفاديا للحرارة الخانقة .. التى تســود السودان فى هذا الشهر ..

واضاف : « وأنا لا أملك جهاز تكييف هواء كما ترى » .

بدأ الحوار مجهدا بالنسبة لنا معا .

رفض فى أول الامر السيجارة التى قدمتها له ، طلبها بعد ذلك ثم قــام الى ركن فى الغرفة ، احضر منه علبة سجاير انجليزية ، انتهت بنهـــاية جلسة الحوار .

علاقته باسرائيل كانت موضع اهتمامى .. موضوع اسرائيل كان أكثر المواضيع الذى حاول أن يتجنبها سواء وأنا اسأل ملمحا ، أو حتى وأنــــا أسأل صريحا .

قلت لشتاينر بعد ثلاث ساعات من المناقشات المجهدة :

سمعت منك قصصا كثيرة عن اضطهاد اليهود فى المانيا ، هل اسمع منك قبل أن انصرف علاقة مشاعرك بالنسبة لهم ، بنشاطهم فى افريقيا عموما ، ثم الجنوب بعد ذلك .

قال شتاينر :

توافقنى اذن أننى صاحب قضية ، وهى قضية أخدمها فى الموقع الذى يتناسب مع قدراتى .. هذا السؤال مناسب جدا ، لم يوجهه الى احدا من قبلك .. ولهذا فأنا أجيب :

حاييم بارليف هل تعرفه ، رئيس هيئة الاركان السابق لجيش الدفاع الاسرائيلى ، التقيت به فى سفارة اسرائيل بلندن .

وقد تم ترتيب هذه المقابلة بناء على طلبه .

التقيت بالرجل وأنا متأهب تماما لاثبات كفاءتى العسكرية .. كنت أعلم مقدما أننى سأستمع لدروس عن حرب العصابات ، وعن التجارب التى خاضها بشخصه ، أو عايشها فى فيتنام الجنوبية .. كنت ومازلت أعتقد أن الكفاءة العسكرية ، لا تتطلب الخدمة فى القوات النظامية أو الدخول فى المعاهد العسكرية ، الكفاءة العسكرية هى الممارسة العسكرية ، هى أن تبقى حيا رغم أنك خضت عشرات المعارك ، وفى ظروف مختلفة وعلى أرض مختلفة .

الا أن الرجل حين التقيت به ، أدهشنى ومن اللحظة الاولى أن الجانب العسكرى لا يدخل فى اطار الحديث الذى سيدور بيننا بل انه تجاهل حتى شخصى .. لم يكرر ماسمعته ووعيته عن ظهر قلب عن المطلوب منى انجازه فى جنوب السودان .

تحدث الرجل عن اسرائيل .

* وضعها العسكرى المهدد دائما بامكانية التفوق العربى ، المتوازن دائما بالتفوق الاسرائيلى .

* تحدث عن وضعهاالبشرى ، باعتبارها وعاءا يستوعب ثقافات وعادات مختلفة ومتعارضة .. تحدث عن دورها الحضارى فى منطقة الشرق الاوسط ، باعتبارها امتدادا للكيان الارقى فى العالم ، فى هذا الجزء الاكثر تخلفا منه .

ثم تحدث وبتركيز شديد عن وضع اسرائيل الاقتصادى .. قال حاييم

بارليف ، وكأنه يحاضرنى .. أنت ذاهب الى افريقيا الاداء مهمة تؤمن بهـــا اليس كذلك .. يبقى اذن أن تدرك أهمية أفريقيا بالنسبة لنا .

افريقيا بالنسبة لاسرائيل هى طوق النجاة الممكن بالنسبة لكل احتمالات الغرق والذى أراها كثيرة .

ان الحروب المتعددة مع العرب التى كانت والتى ستكون لا تمثل الخطر العاجل بالنسبة لاسرائيل .. اننا حتى الان نعتمد عـــــلى معادلة مضمونة لاداعى للدخول فى تفاصيلها الان .

الا أن اسرائيل ليست كيانا مطلوب حمايته بالقوة العسكرية وحدهـــا مطلوب أكثر حمايتـــه من الناحية الاقتصادية .

لمـــاذا ؟

لاسباب عديدة ، منها :

اولا ــ أن اسرائيل كما قلت لك هى ظاهرة حضارية فى منطقة الشرق الاوسط ، يجب أن تتمايز عنه ، بل ويجب أن تتعالى عليه ، وهذا هـــــدف لا يمكن أن يتحقق الابتحقيق مستوى للحياة داخل اسرائيل يفوق عشر مرات مستوى الحياة فى أغنى الدول العربية ، وأنت تعرف .. بل أن المطلوب ان تكون وعلى المدى القريب نموذجا حتى بالنسبة لدول أوربا الغربية والولايات المتحدة .

ثانيا ــ أن اسرائيل لتحقيق هذا كله ، مطالبة بأن تعتمد عـــــلى مواردها ، فما هى مواردها ؟ الحمضـــــيات ، الصناعات التحويليـــــة ، التصنيع الدقيق لمواد خام نادرة تصلها من الخارج .. ثم بعد ذلك لا شىء . لا شىء .. حتى البترول وهو بحر تسبح تحته المنطقة ، فانه تحت اسرائيل يبتعد وينحسر .

ثالثا ــ اننا نعتمد على الدعم الخارجى من الولايات المتحدة ، والسؤال الى متى ؟

ثم أننا نعتمد على تبرعات الجاليات اليهودية فى العالم ، ولكن السؤال كيف ؟

والتبرعات التى تعتمد عليها الموازنة الاسرائيلية فى كل سنة ، تعتمد فى تقديرى على ظروف اسرائيلمنذ نشأتها حتى الان .. ظروف العصـــــفور فى مواجهة الوحوش .. هل تفهم ؟ .. اقصد العطف والرثـــاء والاشـــفاق والتعاطف .. وكلها مشاعر لن تستمر حتى لو استمر العصفور عصفورا فى مواجهة الوحوش الحضارية ؟

رابعا ــ اننا نأمل وعلى المدى البعيـــــد ، أن نكسر حائط الكراهية المضروب حولنا فى المنطقة العربية ، وهذا الامل لا تحـــــركه دواعى الامن وحدها ، وانما المصلحة الاقتصادية فى المقام الاول . أن تكون المنطقة بالموارد الخام متاحة لاسرائيل والمهارات داخلهـــــا ، ثم تكون المنطقة العربية سوقا لانتاج اسرائيل بعد ذلك .

وأنا على ثقة بأن هذا ممكن ، وهذا أكيد ، ولكن بعد كم من الاجيال ؟

خامسا : أن نموذج اليابان يبهرنا ، ولكن له محاذيره .. اليابان تبيع خبرتها الفنية ، مضافة الى مواد خام لا تنتجها فتصـــنع الرخاء الهائل ... الا أن اليابان ليست اسرائيل . اليابان بحكم كثافة السكان داخلها ، قادرة على الانتاج الكثيف والذى يحقق ربحا مهما تدنت أسعاره ، اسرائيل على العكس ، أنتاجها محكوم بكثافتها ، من هنا فان التشبه باليابان فضــلا عن منافسة اليابان تبدو مستحيلة .

ماذا تبقى ؟

تقول أنت .

ويقول شتاينر : اننى قلت وعلى الفور ، افريقيا .

أفريقيا المواد الخام ، ثم أفريقيا السوق الواسعة .

واضاف حاييم بارليف :

الاهم أفريقيا ، والتى مازالت وستبقى لبعض الوقت حساسة لاى نشاط للرجل الوافد من الغرب ، لن تكون بهذا القدر من الحساسية بالنسبة لنا . نحن من منطقة قريبة وبالكاد نحمى أنفسنا ، لا مطامع استعمارية لنا ، ثم اننا نستطيع أن نسد فراغا خلقته الاضطرابات المتعددة ، ثم اننا نملــك كل شىء .

الخبرة العسكرية ، المهارة الفنية ، القدرة على التسويق بتراث طويل .

وقال لى شتاينر :

ان بارليف أنهى حديثه الاقتصادى معى ..بمصافحة حارة وابتسامة وكلمات وعيتهـــــا :

أفريقيا هدف لاسرائيل ، وجنوب السودان مفتاح الهدف ، بل هو بابه المفتوح .. ثم عليك أن تدرك أن هناك من يحاول أن يسبقك ، لابد أنك سمعت عن اتصالات ومفاوضات .. والامل فيك وحدك لانقاذ السفينة الغارقة .

الباب الخامس

جنوب السودان

القضية ، الحل .. والرجل

الرجـــــل

توقيع الاتفاقية كأى حدث تاريخى أفرز ردود فعل متناقضة ، وعـــلى اتساع العالم .

الدوائر الغربية ذات المصلحة فى فصل الجنوب ، تحدثت مطـــولا عن تاريخ الشكوك الطويل الذى حكم العلاقة بين السودان الشمالى وجنــــوب السودان ، وتساءلت بعض الصحف البريطانية عن امكانية أى وثيقـــــة فى تجاوز هذا التاريخ ، ومهما كانت نوايا أصحاب التوقيع عليها . الصـــحف الامريكية تحدثت عن النمو الاقتصادى المتدنى فى الجنوب وما أســــــمته بظروف الحياة المستحيلة فى هذا الجزء من افريقيا ـــ ولم تقل من السودان ـــ وكيف أنه (عبء) اقتصادى على السودان الشمالى ؟!

بعض صحف أوروبا الغربية تحدثت عن ماأسمته القهر الاســــــلامى والذى لم يستطع أن يمارس تأثيره بالقوة ، ثم تساءلت عن امــكان تحقيق ذلك بالمفاوضات .

اسرائيل .. ظلت ولشهور طويلة بعد توقيع الاتفاقية وكأنها فقـــدت أى قدرة على اخفاء مشاعر الفشل والحقد ، فظلت ولفترة طويلة تختلق فى برنامج الاذاعة الاسرائيلية العربى ، أخبارا كاذبة عن تجدد الاشتباكات فى الجنوب ، ثم بدأت تتحدث عن أسماء من شمال السودان ومن جنـــــــوب السودان تحركت بالفعل لمقاومة تنفيذ الاتفاقية بالقوة .

أطرف ما فى حملات الاذاعة والصحف الإسرائيلية ، رنة الاشفاق على الجنوب وعلى الشمال بالتوالى .

بالنسبة للجنوب ، تحدثوا طويلا ، عن (القهر) العربى الزاحف عبر بنود الاتفاقية .

بالنسبة للشمال ، تحدثوا مطولا أيضا ، عن تخلف الجنوب ، وكيف أنه يمثل عبئا على الاقتصاد السودانى ، وأن هناك بنود سرية فى الاتفاقية لم يكشف النقاب عنها ، تعطى للجنوبين حق فصل الاقليم فى أى وقت .

ولقد كانت ردود الفعل السودانية لهذه الحملات جميعها ، هو الصمت بل ان الرئيس نميرى فى لقاء مع سيادته رفض مجرد التعليق عليها ، واكتفى بقوله ، بأنها دلالة نجاح ، ليس من المصلحة التصدى لها ولا تفنيدها ، فلو كانت الاتفاقية ضد مصلحة السودان شماله أو جنوبه ، لكانت حملات تشجيع ومباركة بالاتفاقية . فنحن نعرف الاهداف والمخططات والدوافع ، نعرفها منذ كانت القضية مستعصية على أى حل ، كما نعرفها . والقضية قد وصـــلت بالسودان الى شاطىء السلام .

الا ان الرئيس نميرى لم يكن يكتفي بالرد المختصر بالنسبة لاتهامات صاغتها بعض الأقلام العربية فى بعض الصحف العربية المعروفة بلونها الفكرى فان رده على الدوام باترا ومحددا .

حول ما قيل فور توقيع الاتفاقية ، بأنها بداية تراجع بالسودان انتماءا واهتماما بقضايا الأمة العربية ، واستغراقا كاملا فى قضايا القارة الافريقية.

كانت اجابة لرئيس نميرى الحاسمة .

ولما لا ؟...

لماذا لا يهتم السودان بقضايا القارة الافريقية ، ان اهتمام السودان بالقارة سابق على حل قضية الجنوب بل سابق حتى على وجود قضية للجنوب . السودان جزء من القارة ، وهوبالتأكيد كان على الدوام راغب فى المشاركة ايجابيا فى حل قضاياها ، الا أن رغبته فى المشاركة كانت مغلول قبل توقيع الاتفاقية ، كان الوصف الشائع للسودان بأنه رجل افريقيا المريض ، كان السودان انشغالا بمواجعه وهمومه عن قضايا القارة . والآن، وقد تمكن السودان من أن يخلع عنه ثوب المرض ، ويجد من طاقاته مايمكنه من القيام بدور فعال ومؤثر لخدمة قضايا التحرير والتنمية الافريقية هل يضع نفسه موضع الاتهام ؟

ويستطرد الرئيس نميرى ليقول :

السودان بموقعه داخل القاره مطالب بدور فعال داخلها ، وهو دور لا يمكنه حتى لو أراد أن يتنصل من مسئولياته ، كنا معذورين فيما قبل توقيع الاتفاقية عن الوفاء بمسئوليات التزام السودان الافريقية .

والان نحن أقدر على تحملها ، واذا كانت تلك فى نظر البعض اتهام ، فانها بالنسبة لنا التزام .

ثم يسأل الرئيس النميرى :

هل يعلم الذين يبثون الشكوك حول الاتفاقية . بأنهم يثبتون حتى لتلاميذ المدارس الابتدائية بأن معلوماتهم فى الجغرافيا فضلا عن التاريخ مخجلة ؟

ان الحديث عن ابتعاد السودان عن الامة العربية ، كمقابل لاهتمامه بالقارة الافريقية هو منطق جهل ، أكثر منه منطق عمالة .

لن أتحدث عن الروابط التاريخية بين الأمة العربية والقارة الافريقية ، لن اتحدث عن ضرورات العصر والتى تفرض التفاعل والتكامل بين شعوب العالم الثالث ، لن أتعرض لواقع النضال المشترك ضد العدو المشترك والذى يواجه بما هو أكثر من العداء للقارة الافريقية والامة العربية . لن أقول أن الاستعمار الذى استنزف موارد القارة ، هو ذات الاستعمار الذى نهب موارد العالم العربى .

لن أوضح مدى الارتباط الوثيق بين الكيانات العنصرية داخل القارة والكيان العنصرى الذى لمثله اسرائيل داخل القارة .

لن أعيد الى الاذهان ، بأن تفتيت الكيانات الافريقية هو مدخل اسرائيل للقارة ، كما حاولت فى الكونغو ، وكما شاركت فى بيافرا .

ولكن أضع حقائق بغير تعليق .

ومنهـــــا :

ان ثمانى دول من دول الكثافة البشرية العربية تقع فى افريقيا . هى بغير ترتيب جمهورية مصر العربية ، السودان ، المغرب ، الجزائر ، موريتانيا تونس ، ليبيا ، ثم أخيرا الصومال .

ومنهـــــا :

ان ثلثى العرب ، يعيشون داخل القارة الافريقية .

ومنهـــــا :

أن منظمة الوحدة الافريقية ، انجاز عربى افريقى بحكم الدول المؤسسة لها ، وهى مصر والسودان .

ومنهـــــا :

التداخل الحضارى العربى الافريقى على امتداد التاريخ .

ثم منها أخيرا .. سؤال لن اضع له اجابة .

وهو لماذا تحاول اسرائيل التغلغل فى افريقيا ؟

وهل المطلوب حتى يكون السودان أكثر وفاء للأمة العربية ، أن يتخلى عن دوره داخل القارة الافريقية لاسرائيل !

ثم يضيف الرئيس نميرى .

ان نظرة واحدة الى شكل العلاقات السودانية الافريقية ، فيما قبل حل قضية الجنوب وبعدها ، تعطى الدليل على أن حل القضية كان وحده انجازا للأمة العربية .

قبل توقيع الاتفاقية :

● كانت علاقات السودان بأثيوبيا متوترة ، وهو توتر انعكس بأثاره على علاقات الجارة الشقيقة بالأمة العربية .

● كانت علاقات السودان بافريقيا الوسطى فاترة ، ولقد كان الفتور مدخل لغير الصداقة العربية بأن تمد يدا وتحتل موقعا داخل القطر الشقيق .

● كانت علاقات السودان مع تشاد يشوبها التوتر ، ومع كينيا يشوبها التصدع ، ومع الكونغو ويوغندا فلقد كانت علاقاتها جميعا مع السودان دون المستوى المطلوب .

والذين يتساءلون عن سر التقارب العربى الافريقى الراهن ، عليهم أن يبحثوا عن مفتاح السر فى العلاقات المزدهرة حاليا بين السودان وبين أقطار القارة .

القلق الاسرائيلي في موضعه

في اغسطس ١٩٧٣ كانت عاصمة ساحل العاج تستقبل الرئيس نميرى في أول زيارة يقوم بها رئيس عربي لهذه الدولة . مر اليوم الأول للزيارة عبر المراسم التقليدية . الا أن اليوم التالي كان يوما حافلا .. مباحثات تتناول العلاقات السياسية بين البلدين .. برامج مطروحة لنقاش طويل . صور مقترحة للتعاون الاقتصادي بين السودان وساحل العاج ، جولات قام بها الرئيس السوداني شاهد خلالها معالم العاصمة ، وحينما أوى الى فراشه في القصر الذي أعد لاقامته ، كانت الساعة قد جاوزت منتصف الليل بقليل . وفي تمام الثانية صباحا ، كانت طرقات مترددة تدق على باب الرئيس ، ثم يفتح الباب برفق ليطل منه وجه المرافق العسكري للرئيس نميرى ، يستأذنه في مقابلة عاجلة لأحد رجال وزارة الخارجية والذي حمل تقريرا تلقته البعثة المرافقة للرئيس نميرى قبل لحظات .. التقرير يقول أن سفارة ساحل العاج في تل أبيب كانت تحتفل في الليلة السابقة بالعيد الوطني . وفوجيء السفير بدخول جولدا مائير الى مبنى السفارة بدون دعوة مسبقة ، ثم انها لم تشارك في الحفل وانما اهتمت بالوقوف فترة خرجت بعدها لتستدعي سفير ساحل العاج لمقابلة عاجلة . في تلك المقابلة تساءلت رئيسة الوزارة الاسرائيلية عن حجم الترحيب الهائل للرئيس نميرى في ساحل العاج ، وأبدت قلقا من نتائج هذه الزيارة على العلاقات الاسرائيلية مع ساحل العاج ، ثم طلبت تفسيرا يؤكد أن هذه الزيارة لا تعني تحولا يؤثر فيما أسمته العلاقات الوثيقة بين اسرائيل وساحل العاج ، تساءل الرئيس نميرى بعد أن قرأ التقرير عن سر الاهتمام بايصال تفاصيله اليه في مثل هذه الساعة وبمثل هذا الالحاح ، ففوجيء بأن الرد المطلوب لتل أبيب يعتمد على مايراه الرئيس نميرى مناسبا . قال الرئيس نميرى لمن حمل التقرير اليه بأن مبدأ الرد أو الايحاء بالرد غير وارد بالنسبة له صلة السودان باسرائيل هي صلة عداء لا يسمح حتى بالايحاء لغيره بالرد عليه ، واذا كان له تعليق على التقرير وماورد فيه فانه يتمنى أن يكون القلق الاسرائيلي في موضعه ، وخرج حامل التقرير . ثم يمر على هذا الحدث أسبوعان بغير زيادة ، تقطع بعدها ساحل العاج كل علاقاتها باسرائيل والذين عاشوا عابرين في عاصمة ساحل العاج . يدهشون بغير شك لنهاية الوجود الاسرائيلي في هذا القطر الافريقي . والتي كانت اسرائيل داخله وجودا سياسيا واقتصاديا مؤثرا .

هيلاسلاسي والود المفقود

وفي السابع من اكتوبر سنة ١٩٧٣ كان قصر الرئاسة في الخرطوم يطلب بالحاح القصر الامبراطوري في اديس ابابا وحينما رفع الامبراطور الاثيوبي السابق السماعة سمع صوت الرئيس نميرى يقول له :

ان رسالة عاجلة مني في طريقها اليك . الا أن الساعات التي تستغرقها

الرحلة من الخرطوم الى اديس أبابا ، سوف تكون محسوبة على القـــارة الافريقية كلها نظرا لتطور الحوادث كما تعرف فى منطقة الشرق الأوســـط مصر الآن مشتبكة فى قتال ضد اسرائيل ، وهـــو قتال مشروع أقرت بـــه منظمة الوحدة الافريقية والقمة الافريقية التى شهدتها عاصمة بلادك منذ شهور .. لذلك فلقد تعجلت الاتصال بك لأقول ان مضمون الرســـالة التى بعثت بها اليك لا تتعدى عدة سطور : أن استمرار العلاقات بين أثيوبيا واسرائيل لايمكن أن تكون اتساقا مع اجماع القارة الافريقية على أدانتها .

وسمع الرئيس نميرى ماسمع . الا أن الدنيا كلها فوجئت قبـل مغيب شمس ذلك اليوم ، الشمس بقطع العلاقات الأثيوبية الاسرائيلية .

حينما سألت الرئيس نميرى بعد أن استعرضت معه تلك الأحـــداث عن قدرة التأثير التى يملكها داخل القارة الافريقية ابتسم وقال :

لا أملك شيئا بشخصى كما لا أملـــكه لشخصى .. ما أملكه للقـــارة الافريقية .. تجربة نجحت . كيان توحد . وطن عملاق يمتد من قلب الامة العربية الى أعماق القارة الافريقية .. وهو هنا وهناك له وزن متعادل .. يعطى ويأخذ . يشارك ويسهم . وهذا هوقدر السودان .. الواحد الموحد.

اتفاقية الوحدة الافريقية فى قمة الرباط :

ان الذين قصدوا مؤتمر القمة الافريقى بالرباط فى يونيو سنة ١٩٧٢ ، هزهم المشهد الرائع لاستقبال الرئيس نميرى فى قاعة الاجتماعات الـكبرى بفندق « هيلتون » الرباط .

كان المؤتمر هو أول لقاء افريقى على مستوى القمة بعد توقيع اتفاقية أديس أبابا، والتى كانت قد وقعت فى شهر مارس من نفس العام .

دخل الرئيس نميرى القاعة ، فالتهبت الاكف بالتصفيق ، ولمدة دقائق كان فيها قادة القارة الافريقية وقوفا والرئيس السودانى يشق طريقه الى مقعده فى القاعة ، ثم استمر لبعض الوقت ، ليقطعه الرئيس السنغـــالى سنجور والذى طلب الكلمة ليقول :

اننى باسم القارة الافريقية ، أحيى جهدك يا فخامة الرئيس فى تحقيق وحدة السودان ، كنموذج لوحدة افريقيا المأمولة ثم يضيف :

ثم اننى بعد ذلك كشـــاعر لا كرئيس دولة ، أقول أنك بما حققت من وحدة للسودان ، انما كنت تعبر عن ضمير قارة بأسرها ، كانت تعلن تطلعاتها للوحدة من ناحية ، ثم تعانى التفكك والانقسام داخل أقطارها منجانب آخر .

وفى نفس الجلسة ، وقف الرئيس الجزائرى هوارى بومدين ليقول :

هذا المؤتمر بانجاز الرئيس نميرى الذى حققه بوحدة بلاده ينبغى ان يكون مؤتمرا للوحدة والتضامن .. ولهذا فانه يسعدنى ان اعلن ان الجزائر على استعداد لتصفية كل مشاكل الحدود مع المغرب .

ثم وقف الرئيس الغانى ليعلن ، انه بهذه الروح . روح الوفاق والتضامن الافريقى ، الذى تحقق وتجسد بانجاز الرئيس نميرى فى بلاده ، فهو يعلن للمؤتمر بأن بلاده مازالت على ولاءها القديم لرائد الوحدة الافريقية الرئيس الراحل نكروما ، وأنها تطلب من الحكومة التنزانية السماح بنقل رفات الرئيس نيكروما من تنزانيا الى غانا .. واستجاب الرئيس نيريرى للطلب على الفور .

وفى قمة الرباط ، والتى كانت كما وصفها الرئيس مختار ولددادة ، بأنها تجمع للاحتفال بانجاز السودان في مجال الوحدة ، تمت تصفية الخلافات المغربية الموريتانية .

حوار مع الرئيس نمـــــيرى

كنت مدعوا لمرافقة الرئيس نميرى لزيارة مدينة واو بمديرية بحر الغزال بالاقليم الجنوبى ، مـــوعد قيام الطائرة كان السادســـة والنصــف كمـــا أخبرنى مندوب وزارة الاعلام .. حرصت على الوصول الى القاعدة الجوية التى ستقلع منها الطائرة قبل الموعد بربع ساعة .. ومع هذا فلقد تحركت الطائرة على الفور ، وأذكر أننى قلت لاحد المرافقين بأن الطائرات فى كـل المطارات تتأخر عن موعد الاقلاع ، الا فى هذه القاعدة فانها تسبق الموعد ، وكانت دهشتى كبيرة ، حينما أخبرنى بأن موعد الاقلاع كان تمام السادسة . وان الرئيس نميرى أمر بتأخير اقلاعها لحين وصول الصحفيين .. ولم يكن هناك صحفيون مدعوون لمرافقة الرئيس فى هذه الرحلة سوى الزميل محمد السماك رئيس الشئون العربية بمجلة الاسبوع العربى وأنا .

أحسست بالحرج ، فتقدمت الى مقدمة الطائرة حيث يجلس الرئيس نميرى معتذرا الا انه ابتسم وطلب منى الجلوس فى المقعد المجاور له .

وعلى امتداد ثلاث ساعات ، وهى المدة التى تستغرقها الرحلة دار حوار طويل بين الرئيس نميرى وبينى وكان بالطبع ، يدور حول الجنوب .

سألته : ولم تكن الاوراق معى :

ارى انك تركز باهتمامك على الجنوب يا سيادة الرئيس .. رحلاتك الى هناك تتكرر ، فى خطبك وفى كل المناسبات تتحدث عن الجنوب ، اشـــعر فى نبرات صوتك رنة اعتزاز خاصة بهذا الجزء من السودان فلماذا ؟

وصمت الرئيس نميرى طويلا قبل أن يقول . هل الحديث للنشر ؟ أم هو « للونسة » والونسة تعبير سودانى عن تجاذب أطراف الحديث بغرض السمر .

قلت : كما ترى يا سيادة الرئيس .

قال : بل الرأى لك . ومع هذا ، دع الاوراق والاقــلام حتى يمضى الحديث بيننا بغير تحفظ ، لا من جانبك ولا من جانبى .

قلت :

لا اشترط ياسيادة الرئيس ولكن اطلب ، ان يكون لى حرية النشر ، اعتمادا على ثقتك فى ذاكرتى .

قال :

ذاكرتك تعرفها وحدك ، ومع ذلك فأنا موافق .

قال الرئيس نميرى :

قد يكون الجنوب بالنسبة لمن يشاهده او حتى لمن يعيش فيه فى الظروف العادية ، رقعة تمتد بالخضرة . قد ينبهر بالطبيعة الساحرة ، قد يدهش لامكانيات الاستثمار الواسع ، قد يستمتع بالعادات الغريبة التى يمارسها سكانه ، قد يرى فيه امكانيات ضخمة ، زراعية وصناعية وحيوانية ، قد يعشق مناخه الرائع .

الا اننى لا ارى فى الجنوب هذا كله .

ذلك أن خدمتى الطويلة نسبيا فى القوات المسلحة ، كانت على الدوام لاتتيح لى هذه الرؤية الوردية للجنوب ، الجنوب بالنسبة لى كان دما وقتالا وموت للاعزاء من أبناء الجنوب والشمال ، كانت رؤيتى السياسية لابعاد قضية الجنوب تضخم من حجم المشكلة فى تفكيرى بل وفى وجدانى ، القضية من الناحية السياسية تهديد لموارده ، ثم هى من الناحية البشرية اهدار لاغلى ما يملكه السودان ، الانسان على ارض السودان ، والانسان هنا هو المواطن السودانى من الجنوب أو الشمال ، ثم أننى ومنذ كانت الثورة هاجس فى فكرى ، كانت وسيلة لا غاية كانت بداية وليست نهاية.

كانت الثورة فكرة ومسلكا وهدفا وغاية ، هى أن تكون اداة مجرد أداة لتغير الواقع السودانى . وهو واقع كنت أعرف وأعترف أنه محكوم بالتخلف وهو تخلف لا حيلة لنا أمامه سوى الاستسلام لعوامل اعددها معك على النحو التالى :

أولا : أن السودان محكوم بمساحته ، وهى مساحة عملاقة قد يكون من السهل تجاوزها بشق الطرق ، أو تحديث وسائل المواصلات ، الا أن الاستحالة كانت تكمن فى الفروق الاقتصادية الضخمة ، التى تعكس رخاء اقتصاديا فى منطقة ، جدبا يصل الى حد المجاعة فى اجزاء أخرى .

ثانيا : أن السودان بحكم التاريخ الاستعمارى الطويل ، ثم بالتحكم الطائفى والقبلى والذى كان اداة التحكم الاستعمارى ، كان قد استحال بالفعل الى جزر لا تفصلها المساحات وحدها ، وانما التباين فى الفكر والاختلاف فى الراى ، والتشتت فى الارادة .

ثالثا : كانت الطائفية والقبلية مدخلا لما هو أخطر ، وأعنى بها العنصرية والتى كانت وليدا شرعيا لهما .

وتلك كلها عوامل لا تحقق للسودان امكانية الحركة بقدر ما تفرض عليه السكون والعقود ، والتنمية فى ظل هذا الواقع خرافة ، اذا ما أخذنا فى الاعتبار بأن النتيجة وان كانت من حيث أهدافها خدمة الانسان ، الا أن وسيلة تحقيقها فى البداية والنهاية هى الانسان نفسه .

والتنمية فى تقديرى كانت تنمية للسودان كله ، وليست مشروعات متناثرة هنا وهناك تلك تكون اصلاحات أو مسكنات لاتحقق للسودان أيا من أهدافه .

لهذا كله كان ايمانى على الدوام ، بأن معادلة الثورة يجب أن تكون على النحو التالى :

لا تقدم للسودان بغير التنمية ، ولا تنمية فى السودان بغير جهد الانسان السودانى ، ولا يملك الانسان فى السودان جهده الا اذا تحرر من السيطرة الطائفية والقبلية والعنصرية ، ولن يستطيع أن يملك ارادته الا اذا تجاوز انتماءه الى الطائفة أو المنطقة التى يعيش فيها ، الى الكيان الاكبر الذى ينتمى اليه وهو السودان .. من هنا كانت دعوتى ومنذ اليوم الاول للثورة هى دعوة للوحدة الوطنية .. وهى دعوة ظنها بعض أصحاب الهوى ، فى أيام الثورة الاولى ، بأنها دعوة للمصالحة الوطنية بين التيارات السياسية والفكرية المتعارضة والمتصارعة .. كانوا فى ظل هذا الوهم يتجادلون ، بينما كانت الثورة تتعالى بشعار الوحدة الوطنية على الفكر الجامد والمتخلف والوافد والغريب .

الوحدة الوطنية كما أعلنتها الثورة ، هى دعوة للتخلى عن الانتماءات الطائفية والعنصرية . الوحدة الوطنية ، هى بلورة الشعور بالانتماء القومى وبروز القومية السودانية ، والانتماء للسودان كوطن ، وليس للقبيلة أو الطائفة أو العرق .

وكنت قد وجهت حتى قبل تفجير الثورة ، باعداد دراسات حول امكانيات التنمية الاقتصادية فى السودان على عدة أسس منها :

١ — أن تكون التنمية شاملة للسودان كله ، شرقه وغربه ، شماله وجنوبه وأن يراعى بالنسبة لامكانيات التنفيذ ، أن تكون البداية شاملة . بحيث لايؤدى التركيز فى منطقة الى وجود خلل فى المستويات الاقتصادية بين أجزاء السودان المختلفة .

٢ — أن تحقق المشروعات بعائدها ، التكامل بين مناطق السودان المختلفة ،

٣ — أن يواكب العائد الاقتصادى لاى مشروع وفى أى منطقة عائد اجتماعى وثقافى .

وكان هدفى من ذلك كله ، أن واقع التمزق القبلى والطائفى والعنصرى الذى ساد السودا نقبل الاستقلال وبعده ، ينبغى القضاء عليه .

وذلك هدف لايمكن أن يحققه قرار وحتى مجموعة قرارات مهما كانت صرامتها ، كانت أومن بأن التخلف الاقتصادى يكرس ويؤكد عزلة مناطق السودان بعضها عن بعضها الاخر ، وأن التكامل فيما بينها هو مدخلها جميعا للتفاعل والالتئام والانصهار فى كيان واحد .

كنت أعلم ان شق الطريق ، اى طريق له عائده الاقتصادى الذى لايستهان به ، ولكن كان هدفى أن يكون العائد الاقتصادى تابعا للعائد القومى الذى أنشده ، ان يكون الطريق معبرا يحقق التكامل بين مناطق السودان المختلفة .

كنت اعرف ان المشروعات الاقتصادية ذات العائد المتوسط ، ستبقى عديمة القيمة من الناحية السياسية والاجتماعية ، اذا كان عائدها يحقق الاكتفاء الذاتى فحسب للمنطقة التى يقام فيها المشروع ، ولهذا فلقد كان توجيهى بأن يكون التخطيط لمشروعات التنمية فى كل أجزاء السودان ، يقوم على أساس تحقيق فائض يتجاوز حاجة المنطقة الى غيرها من مناطق السودان المختلفة .

ما اريد أن أقوله ، بأن فكرى السياسى بدأ بالتركيز على اهمية الوحدة الوطنية كقاعدة للانطلاق الاقتصادى ، ثم انتهى بى هذا الفكر الى توظيف التنمية لتأكيد وتركيز الوحدة الوطنية .

ومع هذا ، فأنا لا أرى تعارضا بين البداية والنهاية .

ماأريد قوله :

ان الوحدة الوطنية كانت على الدوام هاجسى وشاغلى . والوحدة الوطنية فى السودان كانت أشبه ما تكون بالمريض فى شمال السودان ، كنتيجة لتعدد الولاءات الطائفية والفكرية والعقائدية ، الا أن الوحدة الوطنية فى الجنوب كانت وكنتيجة لواقع السودان السياسى فى ظل الاحزاب ، مريضا جاوز مرحلة المرض الى حد الاحتضار . . كانت الولاءات مقسمة فى الشمال ، بين الاحزاب ، والطوائف . . الا أن الصدام بينها كان فى صورته الغالبة صدام مصالح على مستوى القمة ، وضياع مصالح على مستوى القاعدة .

فى الجنوب ، وصل الامر الى حد القتال ، الى حد الدم ، الى حد توقف الحياة تماما ، وانعدام أى أمل فى تجاوز النكبات المتراكمة كنتيجة لتواصل الصدام على أرض الجنوب .

ولقد كان مطلوبا منى ومنذ البداية ، أن أضع حد لنزيف الدم ، من هنا كان اعلانى للحل الثورى لقضية الجنوب فى التاسع من يونيو سنة ١٩٦٩ ، أى بعد أسبوعين فقط من قيام الثورة ، الا أن الحل المطروح لم يتوفر لـــه جهد مثابر يتابع التبشير به فضلا عن العمل على تنفيذه ، وذلك لان الثورة دخلت بعد ذلك وعلى الفور فى سلسلة من المعارك . معارك ضد الطائفية وصلت الى حد الصدام المسلح .

ثم معـــارك ضـــد التسلط الشـــيوعى والذى تصـاعد وتصاعد ، وكان الانتصـــار فى كل من هـــذه المعــــارك له ثمنه الفـــادح وفى كل المجالات .. ولقد كان أفدحها فى اعتقادى أنها كلها قد أخرت الحل المنشـــود لقضية الجنوب . وبعد القضاء مباشرة على مؤامرة ١٩ يوليو الشـــــيوعية فى ســـنة ١٩٧١ ، فأننى وجطت بأن تتجه كل جهـــود الدولـة لحـل قضية الجنوب ، وعلى أساس ما أعلنته الثورة فى أيامها الاولى .. وأذكر أن بعض الاخوة طالبوا منى التمهل حتى تتمكن الثورة المنتصرة من تصـــفية جيوب التآمر الشيوعى ، والاهم مواجهة بعض ردود الفعل الدولية للاحداث التى شهدها السودان .

الا أننى كنت أصر على رأيى ، وأقول لك ــ وللمرة الاولى ــ ، أن السبب فى هذا الاصرار ، هو ساعات المؤامرة السبعين والتى عشتها معتقلا فى قصر الشعب اثناء مؤامرة يوليو المشئومة فى تلك الساعات ، استعرضت ماقدمتـه الثورة للشعب السودانى .

ولقد كانت الحصيلة رغم كل الظروف وفى تلك الفترة المبكرة كبيرة ، الا أننى احسست بأننى لم أحقق الهدف الاكبر وهو حل قضـية الجنوب .. ومن هنا كان اصرارى على حل هذه القضـــــية بحيث تكون لها الاسبقية والاولوية على غيرها .

وهـــكذا انتصرت الثورة فى يوليو ١٩٧١ ، وتمت انتخابات رئاســة الجمهورية فى اكتوبر من نفس العام ، وانعـــقد المؤتمر التأسيسى للاتحـــاد الاشتراكى فى مطلع عام ١٩٧٢ ، وبعد ذلك بشهر واحد ، تم الوصــول الى الاتفاقية ، والتى تم بمقتضاها حل قضية الجنوب .

ولم يكن توقيع الاتفاقية بداية جهد ، بل كان بالطبع تتويج لجهد ، وهو جهد لم نبخل عليه بالوقت رغم كل المشاغل والاعباء التى ذكرتها لك .

واليوم وأنا أزور الجنوب فى هذه المرة ، وفى كل مـــرة سبقتها ، فأنا أعتقد أن ثورة مايو قد حققت واحد من أكبر انتصاراتها ، هو انتصار حققه هذا الجيل ، الا أنه أهداه لكل الاجيال اللاحقة والتى ستعيش وطنا موحدا ، قادرا على صنع الحياة على أرضه ، وفيا لامته وقارته .

مع القيادات الجنوبية والشمالية

القضــية والحل

قبل أن أبدأ حوار طويل معه بادرنى الســـيد أبيل الير نائب رئيس الجمهورية ورئيس الحكومة الاقليمية للاقليم الجنوبى قائلا : لعل أول سؤال تحب ان تعرف الاجابة عليه هو : كيف يبدو الموقف الان فى الجنوب منــذ توقيع اتفاقية اديس أبابا فى ٢٨ مارس عام ١٩٧٢ ؟ . ثم مضى يجيب فى رأيى أنه لا يمكن تقدير قيمة هذه الاتفاقية التاريخية دون العوده قليلا الى الوراء لمعرفة واقع المشكلة وجذورها ، ثم النتائج التى ترتبت عليهـــا ليس لصالح السودان فقط ، بل لمصلحة الامة العربيه والقارة الافريقية بأكملها ،بالطبــع لاحاجة بنا الى بحث طويل لكي نشرح كيف خلق الاستعمار المشكلة ثم عمقها ضيق افق الحكومات الحزبية السابقة .. لقد أراد الاستعمار لاكبر الاقطار الافريقية مساحة الا يؤدى دوره كجسر يربط أفريقيا بالشرق الاوسط وعمل على تمزيقه وتقسيم السودان الى شمال وجنوب . وكانت أبواق الاستعمار تردد دائما ولسنوات طويلة «. انه ليس ثمة مايجمعبين الشمال والجنوب .

وان الصـــلة الوحيـــدة التى يمـــكن ان تقـــوم بينهـــا هى الاختـــلاف والتنـــاقض والتعـــارض ، وتبـــع ذلك اختـــلاف أسلوب المعاملة .. فبينما كان يحقق بعض التطور الاجتماعى والاقتصادى للشمال ، ابقى الوضع فى الجنوب متخلفـــا يعانى من الفقر المدقع والحرمان والتدهور فى كل شىء .. ومع ذلك فقد كان أكثر ما يزعج بريطانيا ان هــذا البلد الشاسع « ٤٠ مليون ميل مربع » كان يلتقى كرجل واحد فى مقـــاومة الاستعمار والسيطرة الاجنبية .. ولقد توج هذا التحالف الوثيق فى مؤتمر عقد فى عام ١٩٤٧ بين العناصر المثقفة فى الجنوب والشمال تقرر على أثره انضمام الجنوب الى الحركة الوطنية فى الجنوب لمقاومة الاستعمار كنفر واحد واضطر الانجليز الى تعين ممثلين للجنوب فى المجلس التشريعى الذى كـــان يضم ممثلى الشمال والجنوب معا .. حقيقة أخرى اذهلت بريطانيا وهى أن العروبة والافريقية ظلتا تمتزجان امتزاجا تاما يستحيل التميز بينهما بحيث يشعر السكان أنهم عرب وافريقيون فى وقت واحد رغم الزعم المتواصـــل على تشويه هذه الحقيقة وكان لهذا الامر مغـــزى عميق ، كان معنـــاه أن الاختلافات الثقافية او العنصرية فىالبلد الواحد لايمكن أن تؤثرعلى مشاعرهما المشتركة رغم السياسة الانفصالية التى انتهجتها الادارة البريطانيـــة لاكثر من نصف قرن من الزمان . وتحقق الاستقلال عام ١٩٥٦ وتطلع الجنـــوب الى حل لمشكلة التخلف الضارب أطنانه فى جميع مناطقه .. وصدرت وعود لا حصر لها فى البيانات الاولى للحكومات المتعاقبة . غير أننا فوجئنا بأنهماتكاد الاحتفالات تنتهى حتى تتجاذب السودان حركات انفصالية تعتمد على القبلية وعلى العصبية وعلى روح الاقليمية .. نفس النظرة التى كان ينظر بهـــا الينا الاستعمار .. وجدناها عند الحكومات المرتبطة به ، واستمرت الاحـــوال

على هذا المنوال الى ان بوغت الشعب بانقلاب ١٩٥٨ الذى أقدم على الغاء الدستور ومصادرة الحريات وتعطيل البرلمان واتبع أسلوب البطش والارهاب ازاء الجنوب مما عقد المشكلة وحمل الالاف من أبناء الجنوب على مغادرة ارضهم .

هكذا نشأ التمرد

ومضى ابيل الير مستكملا حديثه فقال : ابتداء من عام ١٩٦٣ بدأت الهجرة الى البلاد المجاورة مثل اثيوبيا ، كينيا ، أوغندا ، زائير وافريقيا الوسطى حتى قارب عدد اللاجئين ١٠٠ر٠٠٠ ومن هنا نشأت حركة التمرد بعد أنْ أحس الجنوبي أنه مواطن درجة ثانية فى وطنه .

ثورة أكتوبر وانتكاساتها

وقال : ولما طفح الكيل وتمادت الدكتاتورية فى الطغيان فجر الشعب ثورته في ٢١ أكتوبر ١٩٦٤ ، وكان من دواعى سعادتنا ان هذه الثورة الشعبية جاءت بنظرة جديدة للمشكلة فاعترفت لاول مرة بأن ثمة فوارق اقتصادية واجتماعية بين الشمال والجنوب ولابد أن تحل مشكلة الجنوب على هذا الاساس وأعلنت العفو العام ، وسعت لاعادة من ترك البلاد كلاجيء ثم دعت لعقد مؤتمر قومى تشترك فيه جميع الاحزاب السياسية السودانية جنوبية وشمالية ويشهده مراقبون من سبع دول أفريقية وذلك للنظر فى المشكلة برمتها وعقد بالفعل مؤتمر المائدة المستديرة في مارس ١٩٦٥ ، واتخذ عدة قرارات ظلت حبرا على ورق لان الحكومات الحزبية لم تلتزم بها وظلت المشكلة قائمة ، الى ان قامت ثورة مايو ١٩٦٩ ، وكان من أبرز مايميز هذه الثورة انها استوعبت جيدا كل محاولات حل هذه المشكلة وخرجت بتصورها الخاص وفى أقل من أسبوعين اعلنت قرارها باعطاء الجنوب الحكم الذاتى وشكلت وزارة جديدة لشئون الجنوب ، وأعدت برنامج جاد لتنفيذ هذه السياسة شمل كل الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والثقافية .

بداية مرحلة جديدة

وقال :

ولقد وجه الرئيس نميرى كل اهتمامه لتنفيذ كل ماوعد به بأقصى سرعة فشكل لجنة من المثقفين الجنوبيين والشماليين لوضع الصيغة الدستورية للعلاقات بين الشمال والجنوب فى اطار السودان الموحد .. فى نفس الوقت قمنا بجولات فى انحاء العالم لكى نتشاور مع اخواننا الجنوبيين فى المنفى وتمت سلسلة من الاجتماعات السرية فى باريس ولندن ونيريرى وكمبالا وكينشاسا ودخلت كل الغابات وطافت بجميع المواقع وعندما وجدنا أن الرغبة فى حل المشكلة هى هدف الجميع توجهنا الى أديس أبابا لتوقيع الاتفاقية .

تنفيذ الاتفاقية

قلت : وكيف يتم تنفيذ الاتفاقية الان ؟

قال : كل ما اتفقنا عليه يسير بشكل طبيعي ، ولم نكن نتصور ان يأخذ هذه الصورة . هل تصدق أنه منذ توقيع اتفاقية وقف اطلاق النار لم تنطلق رصاصة واحدة بعد ١٧ سنة من القتال المتصل . من ناحية أخرى فان كل الاسلحة التى كانت موجودة لدى الانيانيا سلمت للحكومة .. وقوات الانيانيا « ٢٠,٠٠٠ » تحت أمرة الجيش السوداني وبالفعل تم ضم ٦ آلاف للجيش و ٣ آلاف للبوليس و ٦٥٠ للسجون والباقون شغلوا أعمالا مدنية فى الجنوب .

* وكيف كانت نظرتكم للذين شككوا فى الاتفاقية وقالوا أن روح استعمارية أملتها ؟ .

ـ لقد قصدت من الشرح الطويل للمشكلة أن ابين لك كيف خلق الاستعمار هذه المشكلة .. وكيف عمقها ، وأهمية بقاءها لتنفيذ سياسته وليس من المعقول أن يكون سعيدا بوقف قتال الاشقاء .. أن حل مشكلة الجنوب يقوى السودان ويجعل تأثيره فى افريقيا عميقا وهذه نتيجة لا ترضى الاستعمار ولا اسرائيل .. وقال ابيل الير ان ظاهرة التحول الافريقى عن اسرائيل سمة واضحة فى القارة الافريقية الان بعد بروز عدائها السافر لحركات التحرير وسياستها التوسعية ... ان اسرائيل تحاول الان تشويه الاتفاقية ومن حسن الحظ أن الرئيس نميرى تنبه لهذه المحاولات فأصدر قانون العفو العام وقانون وقف اطلاق النار وكون اللجنة الفنية العسكرية المشتركة لاستيعاب قوات الانيانيا فى صفوف قوات الشعب السوداني وكون صندوق دعم العائدين الى جانب لجان الاغاثة والتوطين . الخ ...

التنظيم السياسى

قلت له : من المؤكد أن مؤامرات الاستعمار واسرائيل لن تتوقف لتأزيم هذه المشكلة من جديد ماذا تقترح لتأمين السودان من أية مؤامرات محتملة ؟

قال : هنا يأتى دور التنظيم السياسي فى السودان وهو منتشر الان فى كل مكان وهنا تأتى أهمية التوعية بالوحدة الوطنية ثم أن المكاسب التى حصلنا عليها فى الجنوب مدارس .. طرق .. مستشفيات .. الخ .. ستزيد من تمسك الجميع بهذا المكسب الكبير .

وختم أبيل الير حديثه قائلاً :

ان العلاقات المصرية السودانية قد عادت الان الى صورتها الطبيعية ولا غنى عن التنسيق الدائم بين القاهرة والخرطوم وأود أن أؤكد لك كجنوبى أننا قد قابلنا تباشير تصحيح مسار العلاقات المصرية السودانية بكل الارتياح والتفاؤل . كما أنه يعيش فى الجنوب جالية مصرية كبيرة فى «ملكال بأعالى النيل » تلقى كل الحب من التأييد ، ومن جانبنا سندعم بكل الاخلاص والتضحية كل محاولات صادقة لتدعيم العلاقات المصرية السودانية تنفيذا لمنهاج التكامل بين البلدين .

جيش موحد للسودان

خطوات الانصهار

وفى لقاء مع مصدر عسكرى كبير قال انه بعد توقيع اتفاقية الوحدة فى الثالث من مارس ١٩٧٢ م ، بدأت الاطراف المعنية فى تنفيذ بنودها حيث نصت من الناحية العسكرية على ان تكون القيادة الجنوبية قومية التشكيل من قوات الشعب المسلحة والانانيا .

ولقد نصت الاتفاقية على استيعاب قوات الانانيا بواسطة لجنة فنية عسكرية مشتركة يرأسها ضابط من قوات الشعب المسلحة على أن يكون نصف أعضائها من قوات الشعب المسلحة والنصف الآخر من قوات الانانيا .

وكخطوة أولى فقد تم تشكيل اللجنة وتبعا لذلك تم استيعاب الذين قدمت أسماءهم بواسطة قوات الانانيا لضباط أولا حيث تم بعد ذلك تعيينهم كأعضاء حسب رتبتهم فى اللجنة المذكورة ، واللجنة الأخرى الخاصة بوقف اطلاق النار .

وحسب الاتفاق فقد توافدت قوات الانانيا الى نقاط التجمع التى حددت لهم على الحدود حيث أعدت الترتيبات واتخذت الاجراءات لاستقبالهم وترحيلهم الى المناطق التى حددت لاقامتهم وهى اماكن روعى فيها الراحة فى السكن ، والخدمات الصحية ، وترتيبات الاعاشة اللازمة .

وقد عملت لجنة الاستيعاب مع قادة الانيانيا على تجهيز الكشوفات المطلوبة بالأسماء والتى تبين جميع المعلومات المطلوبة ، ثم أجرى الكشف الطبى على الجميع وتبع كل ذلك المعاينة بواسطة اللجنة لجميع القوات حيث تم استيعاب اللائقين منهم للخدمة العسكرية ، وتحددت رتبهم بواسطة نفس الجنة :

وقد تم تشكيل لجنتين تابعتين للجنة الاستيعاب المذكورة حيث كانت مهمة

اللجنة الأولى الاستيعاب بقوات الشرطة والسجون والادارة ، بينما أسندت للجنة الاخرى مهمة توزيع الباقين حسب مؤهلاتهم الى المصالح الحكومية ومختلف الوظائف المدنية المناسبة .

ولقد كانت اجراءات الاستيعاب شاقة للغاية حيث ان اللجنة قد زارت جميع نقاط التجمع وقامت بمقابلة جميع القوات العائدة ، وراجعت نتائج الكشف الطبى كما قامت بالمعاينة الفعلية لجميع القوات فردا فردا .

ثم بعد ذلك انتظم الذين استوعبوا فى المعسكرات حيث بدأ تدريبهم الذى قام به زملاؤهم من قوات الشعب المسلحة حيث كانت تلك الفترة فرصة عملية للاحتكاك والتقارب قبل أن تكون فرصة للتدريب والتأهيل حيث ساعد حسن النية والرغبة الاكيدة لدى الطرفين فى كسر الحواجز ، وتوفر عنصر الثقة الذى فقد منذ أمد طويل لظروف سياسية واجتماعية واقتصادية قامت ثورة مايو من أجلها وسعت ولازالت تسعى لحلها .. ولذلك فان موضوع انصهار القوات المستوعبة بقوات الشعب المسلحة يعنى الثقة المطلقة بين الجميع والتى كانت ثمارها أن تمت الصداقات التى كانت الاساس المتين للتدريب الجيد والتفاهم الاكيد .

ثم بدأ بعد ذلك العمل فى اعادة التنظيم للقيادة الجنوبية التى تكونها القوات المستوعبة وقوات الشعب المسلحة للعمل كقوة واحدة .

ولقد سار تنفيذ الاتفاقية حسب الخطة المرسومة حيث تم تدريب القوات المستوعبة فى مراكز التدريب المختلفة وانخرطوا فى صفوف قوات الشعب المسلحة .. كما عقدت الفرق التعليمية للضباط من القوات المستوعبة فى المعاهد العسكرية مع زملائهم من الضباط القدامى ، وتبع ذلك تدريب الصف والجنود حسب مؤهلاتهم للتخصصات المختلفة من مدرعات ، مدفعية مهندسين ، اشارة ، أسلحة ونقل وغيرها من التخصصات .

ومهما يكن من أمر فقد سار تنفيذ خطة الانصهار كما قدر له وقطع اشواطا كثيرة ووصل الى مراحل بعيدة خلال الثلاث سنوات الماضية تحقيقا للانصهار الكامل بين القوات المستوعبة وقوات الشعب المسلحة .. وصولا الى قومية تشكيل القيادة الجنوبية قلبا وقالبا وجعل الوحدة واقعا معاشا استتبابا للامن استقرارا للسودان ، نهوضا به ، تقدما له ، وفرة ورخاء ، عدلا وكفاية ، تنمية وعمرانا ليصبح السودان الجديد ، سودان مايو الواحد الموحد ليصبح رجل افريقيا الاول بعد أن كان رجلها المريض .

بعد توقيع اتفاقية أديس ابابا تمت عمليات اساسية بدأت لاعادة توطين واستيعاب الاخوة العائدين من قوات الشعب المسلحة والقوات النظامية الاخرى واعادة الحيوية لمشروعات الخدمات ويقام مجلس الشعب الاقليمى وعقد مؤتمرات الاتحاد الاشتراكى ومنظماته الجماهيرية

والفئوية على كافة المستويات كما شهدت جهود التنمية فى الاقليم الجنوبى دفعة لم تشهدها فى ظروف عدم الاستقرار ولقد أرسى الرئيس القائد حجر الاساس للعديد من المؤسسات الصناعية الزراعية .. كما أن الاعداد لتنفيذ اكبر مشروعات التكامل وهو مشروع قناة جونقلى من المؤسسات الاقتصادية المرتبطة به سيتم فى الاقليم الجنوبى ولمصلحة شعبنا ولعل ما يميز هذه الفترة بجانب هذا جميعه هو عودة الاستقرار والطمأنينة النفسية والاتجاه الى المشاركة الايجابية الفعالة من جانب الاخوة فى الاقليم الجنوبى من العمل الوطنى من موقع الانتماء للوطن الواحد والالتزام لتحقيق وحدته ورضائه .

البعد الثالث للحل والقضية

أحمد عبد الحليم ، أستاذ سابق بجامعة الخرطوم اعداده الاكاديمى يفرضه على نظرته للواقع السياسى طابع علمى ، لايعزل الظاهرة السياسية عن مكوناتها وعن آثارها .

قضية الجنوب ، كانت موضع حوار ساخن دام طويلا ، وامتد من الجنوب الى العاصمة ، من السودان الى القاهرة ، وفى كل مرة ، كان أحمد عبد الحليم المفكر ، يفرض نفسه على أحمد عبد الحليم ، عضو المكتب السياسى مساعد الأمين العام للاتحاد الاشتراكى فى السودان ، ووزير الثقافة والاعلام .

قضية الجنوب كما يراها ، كانت بأبعادها فيما قبل الحل ، تحديا بل وتعارضا مع تيار التكامل بين الثقافة العربية ، والثقافة الافريقية ، كانت تهديدا خطرا وخطيرا للتعايش الممكن للاسلام كدين وعقيدة بين مختلف الثقافات والحضارات .. كانت انقطاعا لايمكن أن يستمر لمجرى التاريخ الحضارى فى أفريقيا ، والذى يرفض منطق التبلور والتقوقع الحضارى من منطلقات عنصرية .

القضية فيما قبل الحل ، كانت تراكمات لسياسة استعمارية وممارسات حزبية ، فرضت عزلة غير مقبولة لتيارات ثقافية متفاعلة بطبيعتها ، متبادلة التأثير ، قادرة على ان تتطور فى اطار التمايز وليس فى اطار الانعزال .

كانت القضية فيما قبل الحل عصية على كل محاولات التصعيد الحضارى على الاقل ، والذى يصل الى حد التمايز فضلا عن الانشطار .

بريطانيا فى عهد امبراطورية الشمس التى لاتغيب ، حاولت :

١ * حاولت بفرض الانجليزية كلغة للتعامل اليومى والمعاملات الرسمية فى الجنوب .

* حاولت بفرض العزلة التى وصلت الى حد التهجير بالقهر لكل الشماليين من جنوب السودان .

* حاولت بالتمايز الاقتصادى فى معدلات التنمية بين الجنوب والشمال حتى تتحول الهوة الاقتصادية الى هوة حضارية تفضـــــل بين أجزاء الكيان الواحد .

ثم كانت عهود ما بعد الاستقلال .

كانت الطائفية بواجهاتها السياسية ، حليفا للعنصرية ، رغم ضراوة الحرب التى عاشها الجنوب تحت اسم محاربة العنصرية ، بينما فى الســـودان كله تدعم العنصرية الطائفية بل وترتكز عليها .

كانت فى جانب تحاول بالسلاح والقهر أن تواجه مظهــر العنصرية ، بينما كانت فى سائر الممارسات تدعم الجوهر ، ولقد كان هذا هو الاصـــل فى الفشل ثم فى المزيد من الفشل فى الوصول الى حل لقضية الجنوب على امتداد سنوات الاستقلال وحتى قيام ثورة مايو .

بدأت الثورة بحل التناقض بين موقف للحكومة فى الجنوب ، ومـوقف للحكومة فى الشمال .

حددت موقعها من الطائفية ، باعتبارها دعوة عنصرية مغلقة ، أو هى على الاقل تحالف غير معلن معها . عملت على بلورة الشـــعور القومى السودانى ، والمتعالى على الانتماء الطائفى أو العنصرى أو الجغرافى .

واجهت وصادمت فى سبيل دعوتها مرتين .

مرة فى مواجهة التكتل الطائفى .

واخرى فى مواجهة التكتل العقائدى .

وبغير تناقضات فى موقفها بعد ذلك تحركت إيجابيا لحل قضية الجنوب على أساس الاعتراف بالبعد الحضارى لابعاد القضية . وفق خطوات اتسمت بعلميتها .

* اوستوعبت الفوارق العرقية والاقتصادية والثقافية بين الجنوب والشمال ، اعترافا به كواقع لايمكن تجاهله .

* اتخذت من الاعتراف بالتباين الحضارى بأبعاده المختلفة ، كدليـــل على امكانية التكامل والتفاعل .

* أعلنت أن العزلة الحضارية للثقافة الانسانية فى أى موقع ، هى بداية احتضار ، وليست ارهاص ميلاد وتطور .

* تجاوزت القرارات الفوقية ، فاشترطت مشاركة القاعدة الاوســـع فى تنفيذ الحل ، وليس الوقوف على البعد مباركة له ، أو استثمارا لمعطياته .

والذين راهنوا على فشل الحل عنـــد توقيع الاتفاقية ، غابت عنهم الاسس التى قامت عليها ٠٠ فالاتفاقية اعتمدت فى مقومات نجاحها ٠٠ عـــلى أنها امتدادا لتيار حضارى لم تعارضه ولم تعترض عليه .. ثم أن الاتفاقية بالاعتراف بالتباين الواقع ، انما اسـتوعبته كمدخل للتطور والارتقـاء ٠ ثم أن الاتفاقية ببعدها الحضارى لم تهمل الانسان ، دوره ، عطاءه ، قدرته وقدره على التفاعل مع البيئة السياسية المتعالية ، وانما التقت بالانســان فى القاعدة الاوسع ، تطالبه بأن يقـــوم بدوره ، ولا تبشره فحسب لجنى الثمار .

الاتفاقية كنصوص حددت المسار .

الا أن الاتفاقية كمنهج واسلوب حياه ، ومعايشة يومية حددت للفــرد دوره ، بل وطالبت بالمتابعة والالحاح بأن يقوم به .

* مشروعات الاعاشة لمئات الالاف من العائدين ، كانت مســـئولية العائدين .

* مشروعات التنمية الاقتصادية والاجتماعية كانت ولســوف تبقى مسئولية الملايين .

* المشاركة الجماهيرية فى السلطة ، بالانتخاب المباشر ، من مجلس الشعب الاقليمى ، الى مجالس الحكم المحلى فى القرى والمدن .

* العمل السياسى من قمة التنظيم الى قواعده ، مكفولة ومطلوبة .

* الاستيعاب فى القوات المسلحة ، الذى لم يكن اضافة وانما هـــو انصهاره تحقق بالمبادرة ، التى تمثلت فى جهد مشترك اقامه للمعســكرات والتدريب المشترك ثم الوقوف معا فى موقع واحد .

* فى السودان حماية لوحدة ترابه .

* خارج السودان فى مواجهة العدو الواحد .

يبقى بعد الاتفاقية نتائج الاتفاقية .. على الصعيد السياسى . اعطت واثرت فى المجالين العربى والافريقي ٠

على الصعيد الحضارى .

فالاتفاقية فى مضمونها النهائى ، ازالة لمعوقات اعترضت تيار التفاعل الحتمى بين الثقافة الافريقية ، وثقافة العروبة والاسلام ، تلك التي نراها بارزة حتى في اللهجات الافريقية المعاصرة ٠

مع جوزيف لاجـــو

قال لى اللواء جوزيف لاجو قائد القيادة الجنوبية والقائد العسكرى لقوات الانيانيا سابقا . اننى لاأميل الى الحديث طويلا حول خلفيات المشكلة ، فالمفروض أن اتفاقية اديس أبابا أسدلت الستار على هذا الفصل المؤلم فى مسالة الجنوب لتبدأ مرحلة جديدة فى كل شىء .

تسألنى عن قصة حياتى؟ واقول لك باختصار . اننى من مواليد قرية « مولى » التى تقع بين نمولى وجوبا .. عمرى الآن ٤٢ سنة .. درست فى ٣ مدارس . الدراسة الاولية بمديرية بحر الغزال ثم الدراسة الثانوية فى منطقة « لوكا » وهى تقع بين جوبا وباى ثم التحقت بمدرسة ثانوية اخرى فى منطقة « رمبيك » ببحر الغزال ثم بعد ذلك وبسبب اغلاق هذه المدرسة أكملت دراستى فى الخرطوم فى السنوات من ١٩٥٦ — ١٩٥٨ ثم التحقت بالكلية الحربية فى أم درمان وعينت بالقوات المسلحة السودانية من عام ١٩٦٠ الى عام ١٩٦٣ .. تركت الخدمة العسكرية فى عام ١٩٦٣ وانضممت الى حركة تحرير جنوب السودان (التى تعتبر قوات الانيانيا جزء منها) وهذه الحركة قديمة أنشئت منذ استقلال السودان .. رافقت مولد الاحزاب السياسية فى السودان وكان يوجد قبلها حزب الاحرار .. بالمناسبة كنا من وقت الآخر نغير اسماء حركاتنا اذكر مثلا من هذه الحركات حزب الأحرار الذى أشرت اليه وكان يرأسه بنجامين لوكى وهو موجود الى الآن فى الخرطوم والى جانب حزب الأحرار كانت توجد احزاب اخرى ، من ضمنها الحزب الاتحادى الفيدرالى برياسة أزيونى منديرى ، وعندما حلت الاحزاب عام ١٩٥٨ تشكل حزب سانو خارج السودان ، وقد لقى هذا الحزب انقسامات عديدة داخله .. كان هناك جناح وليم دينج الذى كان يعمل داخل السودان مع الأحزاب الشمالية وكان هناك جناح يرأسه جوزيف أدوهو .. وبعد معارضة عدد من افراد الحزب لسياسة وليم دينج أجريت انتخابات جديدة أسفرت عن تغيير جوزيف أدوهو وفوز اجرى جادين .. لم يعترف وليم دينج بزعامة اجرى جادين فانشق ودخل السودان وكون حزب سانو من جديد . فى الوقت الذى كان يعمل فيه وليم دينج مع الأحزاب الشمالية .. حدث تطور بعد ذلك حيث قام جادين بتغيير اسمه الى جبهة تحرير السودان الافريقى .. واستمر هذا الوضع حتى يناير ١٩٦٥ .. نسيت أن أقول لك ان جوزيف ادوهو لم يعترف بزعامة اجرى جادين فكون حزبا جديدا سماه أزانيا وفى يناير ١٩٦٥ تم دمج حزب جوزيف وحزب اجرى فى حزب واحد سمى جبهة تحرير ازانيا وتنازل اجرى جادين عن زعامة الحزب لجوزيف أدوا .

ولكن هذا الوضع لم يدم طويلا حيث كون اجرى جادين حكومة مؤقتة وقد استدعانى لشغل منصب رئيس أركان الحكومة المؤقتة غير اننى رفضت بسبب هذه الخلافات التى انتهت بدورها بمجرد اجراء انتخابات جديدة أسفرت عن فوز جوردون مورتات الذى كون حكومة النيل .. واستمر لفترة الى أن قام « تافنج » الذى كان يتولى منصب القائد العام بمحاولة انقلاب عمقت الانشقاق من جديد .

وقال جوزيف لاجو : كان لهذا الانشقاق وكثرة الخلافات اثر واضح على جنود الانيانيا الذين انفصلوا عن هذه القيادة وجاءوا للعمل تحت قيادتى وبعد فترة ومنذ ذلك الوقت وانا أعمل كقائد عسكرى لقوات الانيانيا .. لم افكر فى تكوين حزب سياسى الى ان حدث التطور البارز فى عام ١٩٧٠ وعندما بدأت الاتصالات للتفاوض لانهاء مشكلة الجنوب .. ولهذا الغرض كونت حركة تحرير جنوب السودان (كتنظيم سياسى) لكى يمكن التفاوض باسم كل المنظمات .

التقدم بالجنوب فى ظل الوحدة

ومضى جوزيف لاجو يقول :

ولقد انتهى مبرر التمرد بتوقيع اتفاقية أديس ابابا وانصهرت قوات الانيانيا فى الجيش السودانى الموحد .. لقد حققت شجاعة الرئيس نميرى الحلم الذى كنا نعمل لتحقيقه وهو الحكم الاقليمى فى اطار السودان الموحد نحن ضد انفصال الجنوب عن الشمال وسيقاوم الشعب السودانى كله فى الشمال أو الجنوب أى محاولة من هذا النوع .. بالطبع نحن نعانى من التخلف ولكن نثق فى حتمية التقدم فى ظل الوحدة الوطنية .. الذين يرددون ان الحكم الاقليمى كخطوة للانفصال هم الذين ينزعجون لأى استقرار فى السودان لأنه يصطدم مع تطلعاتهم وأهدافهم المشبوهة .

التكامل مع مصر خطوة نحو الوحدة :

وقال : تجربة السودان نموذج لكل دولة تعانى مما كنا نعانى منه مثل حل المشكلة ، تسألنى عن رأينا فى منهاج التكامل بين مصر والسودان واقول لك بكل الصدق انه عمل جاد على طريق تحقيق الرخاء والاستقرار لمصر والسودان وأى تكامل بين قطرين شقيقين يعود بالفائدة عليهما معا ونحن كجزء من الشعب السودانى سنستفيد من هذا المنهاج الذى يمكن أن يكون خطوة لتحقيق الوحدة المدروسة الناجحة خلافا لرأى أنصار دعوة الوحدة الفورية الذين اثبت التاريخ سطحيتهم .. اننى زرت مصر بعد حرب أكتوبر وأعجبت بالروح القتالية العالية للجنود فى مصر وتأكدت من حتمية انتصارهم على اسرائيل فنحن ضد انتزاع اراضى أية دولة بالقوة .. ولا يمكن أن ينتصر منطق الغاب وما رأيته فى عيون موسى بالذات يؤكد لى هذه الحقيقة فهناك تصميم على القتال للتحرير حتى آخر جندى مصرى ونحن نتطلع الى مساهمة أكبر فى مساندة مصر حتى يتحقق لها جلاء القوات الاسرائيلية عن كل أراضيها فلا يمكن أن ينسى دورها فى دعم حركات التحرير العربية والافريقية ..

الباب السادس

اتفاقية الجنوب
والتعادل الأمثل للتوازن الخطر
(وجهة نظرنا)

الاهتمام الغربى بقضية الجنوب ، فيما قبل الحل ، فاق بمراحل الاهتمام العربى والاهتمام الافريقى .. صحيح ان القضية قبل الحل بابعادها السياسية والاقتصادية والبشرية كانت ومازالت هموم سودانية فى المقام الاول ، الا أن النظر الأبعادها الاعمق كانت قاسما مشتركا ، من اهتمامات اسرائيل واستراتيجيتها السياسية والعسكرية والاقتصادية فى أفريقيا ، وبين بعض الجيوب الاستعمارية فى الغرب ، والتى كانت تجد فى القضية ثغرة من الممكن أن تتسع ، بحيث تكون على المدى البعيد مدخلا من النافذة ، بعد أن تم أغلاق أبواب داخل القارة أمام ما تبقى من تلك الجيوب .

جنوب السودان — فيما قبل حل القضية — من وجهة النظر الاسرائيلية ، كما عبرت عنها دراسات وتقارير ، لم يترجم معظمها عن العبرية للتداول الواسع حتى الان . كانت على النحو الآتى :

أولا : ان جنوب السودان بتصاعد الصراع داخله ، هو بؤرة مؤهلة لتصاعد تيار من الكراهية للعرب ، وهى بؤرة من الممكن أن يتصاعد تأثيرها بالانتقال والانتشار الى داخل القارة الافريقية .

ثانيا : ان المحافظة على عناصر التفاعل النشطة لمبررات الصراع ، ثم التصاعد به ، سوف يؤدى فى النهاية الى استقطاب يتعدى السودان الى الدول العربية المتعاطفة معه من ناحية ، كما سيؤدى الى استقطاب قوى أفريقية تواجهها من ناحية أخرى .

ثالثا : أن الاستقطاب الحاد بأطرافه الأصيلة ، ثم بالقوى المساندة لكل طرف ، سوف تؤدي فى نهاية الامر الى (بلقنة) الصراع أن صح التعبير ، بحيث تخرج القضية من اطارها المحلى المحدود باعتبارها مشكلة سودانية ، الى اطار أوسع ، باعتبارها قضية مواجهة عرقية ، بين العرب والافارقة من ناحية ، الاسلام وغير الاسلام من ناحية أخرى .

رابعا : ان التناقضات الاسرائيلية الافريقية والغير منظورة ، سوف تتراجع اتجاهاتها بديلا لها وبصورة حادة وملحة ، تناقض عربى أفريقى ، تحدد وضع اسرائيل بالنسبة لأطرافه مسبقا ، وهو تحديد لايتيح لها فرض التواجد المؤثر فى أفريقيا فحسب ، وانما التواجد المقترن بالتحالف أيضا .

خامسا : ان النظم الوطنية في أفريقيا ، على اختلاف إتجاهاتها اعتدالا أو تطرفا ، تسلمت السلطة فى اقطارها على اشلاء موارد منهوبة ومستنزفة من جانب الرجل الابيض . والذى أصبح مرفوضا مهما أبدى من حسن النوايا . والبديل المطروح خبرة وتمويلا فى أفريقيا فى مجال التنمية والا تثمار الاقتصادى . هم العرب بحكم الجوار وتكامل المصالح والقدرة على التمويل من ناحية ، واسرائيل ككفاءة فنية وتمويل بالوكالة عن الاحتكارات العالمية من ناحية أخرى . وامكانية التنافس بين العرب واسرائيل فى هذا المجال معدومة لصالح العرب على المدى البعيد لاعتبارات موضوعية . الا أن تجاوز هذه الاعتبارات ممكنة اذا ما برزت عوامل موازنة جديدة لصالح اسرائيل .

أهمها بروز تناقضات حادة بين العرب والافارقة .

سادسا : إن قضية الجنوب فيما قبل الحل ، كانت تمثل جرحا . استقطب بالفعل تيارا سياسيا فى العالم العربى ينظر فيما يشبه الحذر من اتجاهات افريقيا ، كما انه استقطب قوى فى افريقيا لاينظر بعين الارتياح للتحرك العربى . ولقد كان مطروحا من وجهة النظر الاسرائيلية ، أن التيار السلبى المحدود هنا وهناك ، والمحاصر بأصوا التعقل ، من الممكن ان يكون هو التيار السائد ، اذا ما تصاعد الصراع وتعدى مراحل التأزم الى حالة من الجمود القلق . سواء بانفصال الجنوب نهائيا عن السودان ، أو استمرت الاوضاع داخله على ماكانت عليه .

سابعا : أن امكانيات جنوب السودان الهائلة ، فى مجالات التعدين والثروة الحيوانية ، والغابات ، والزراعة . هى امكانيات قابلة للاستثمار بالتعامل مع الموارد العربية المتاحة ، وهى من هذا المنطلق أضافة تتعارض مع الاستراتيجية الاسرائيلية ، والتى نعتمد على محاصرة امكانيات النمو الاقتصادى فى منطقة الشرق الاوسط وأفريقيا .

ثامنا : أن الجنوب بالنسبة للسودان ، كجرح نازف ، هو تشتيت لجهد السودان فى مجالين .

● فى المجال العربى حيث لا فائض يملكه السودان للاسهام فى قضايا العرب .

● فى المجال الافريقى ، حيث السودان طرف صراع ، لايملك ان يكون محايدا ، ولا يملك أن يكون مؤثرا ، بل ولايملك أن يكون غير طرف مشتبك مع جيرانه مدفوعا بعوامل الامن ، حيث يستحيل له أو لغيره تأمين الحدود ، فى ظل تداخل القبائل .

تاسعا : أن اسرائيل كانت هى الاسبق فى إستخدام تعبير العمق الاستراتيجى مقرونا بالسودان بالنسبة لمصر . وهو عمق من السهل شل فاعليته بالنسبة للبلدين عن طريق التطويق من الخلف ومن خلال الموضع الضعيف والذى كان يمثله تصاعد قضية جنوب السودان فيما قبل الحل .

عاشرا : كانت بعض الجامعات الامريكية وبتمويل اسرائيلى ومنذ سنة ١٩٦٧ ، قد خصصت منحا متعددة لدراسات نظرية عن امكانيات تحويل مجارى الانهار الفرعية ، أو تشتيت رضيدها ، أو زيادة الفاقد منها عن طريق التسطيح ، مع طلب اجراء دراسات تجريبية لتحديد معدلات البخر مقارنا بعمق ومدى وانحناء المجرى .

وكانت بعض دوائر المخابرات الغربية ، قد سربت معلومات حول هذه الدراسات ، باعتبارها ردا اسرائيليا لمحاولات الدول العربية لتحويل مجرى

نهر الاردن ، الا أن توقف مشروعات التحويل ، مع استمرار هذه الدراسات والتجارب ، بل واتساع مداها ، وانتقالها الى مراحل التجريب الميدانى فى جنوب افريقيا (روديسيا ، كان مع غيره من المعلومات التى تسربت ، قد كشف أن المخطط كان يستهدف مجار الانهار الفرعية فى جنوب السودان .

من هذا كله ، يتضح أن القضية فيما قبل الحل ، لم تكن مشكلة داخلية، أو هموم سودانية ، كما شاع هذا التعبير فى بعض العواصم العربية ، كانت القضية أثناء تصاعدها استثمارا متاحا للاستراتيجية الغربية عموما والاسرائيلية خصوصا ، وهو استثمار له عائده الاقتصادى والسياسى والعسكرى كذلك .

كانت قضية الجنوب ، ببعدها الحضارى ، فيما قبل الاتفاقية ، امكانية مواجهة بين الحضارة العربية والافريقية • كبديل للتكامل والتفاعل الطبيعى بينهما ، وليس صدفة ان التضامن العربى الافريقى ، بدأ يفرض نفسه على الواقع الدولى منذ توقيع الاتفاقية ، وليس قبلها ، كما انه ليس صدفة أن السودان على وجه الخصوص ، تستطاع بعد الاتفاقية ان يقوم بدوره العربى فى أفريقيا دون أن يشعر بتناقض موقفه ، بل كان يقوم بهذا الدور فى اطاره المتكامل •

كانت قضية الجنوب فيما قبل الاتفاقية . نزيفا لموارد السودان . وهى موارد ، سواء كانت بشرية او مادية ، كانت فى النهاية طرحا من معادلة القوة العربية والقدرة العربية فى مواجهة العدو الاسرائيلى .

كانت قضية الجنوب فيما قبل الاتفاقية ، وفى أجهزة الاعلام الغربية عموما ، والاسرائيلية خصوصا ، مطروحة كصراع عنصرى محسوب على العرب فى المقام الاول ، ولقد سقطت هذه الدعوة بتوقيع الاتفاقية . ذلك أن الصدام العنصرى لايمكن تجاوزه بالحوار او الاتفاق . وهذا واقع أدركته اجهزة الدعاية الاسرائيلية ، فركزت فيما بعد توقيع الاتفاقية ، على شمال السودان بدلا من جنوبه ، تباكيا على الشماليين ، بعد ان استنزفت دموع التماسيح على الجنوبين فيما قبل الاتفاق .

وبهذه النظرة لقضية الجنوب . بابعادها الخطرة . وتأرجحها الحاد ايجابا وسلبا بالنسبة للنضال العربى ، فأنها كانت تمثل فى مرحلة تصاعدها توازنا خطرا لم يكن من الميسور امكانية تعادله ، بل كانت القضية فى مرحلة التصاعد ، وقوى غير محلية ، بل وغير اقليمية تتلاعب بها ، رغم أرادة اطرافها بل وبغير وعى من جانبهم ، انما تخدم فى المدى القريب والبعيد اهدافا موضوعه لتلك القوى .

الا ان توقيع الاتفاقية بالصورة التى تمت بها ، التطبيق المخلص لبنودها ، ثم الاستقرار الذى واكبها ، وكل ذلك ادى الى تعادل أمثل للتوازن الخطر . ونقول التوازن ولا نقول للاستقرار . ذلك أن الجنوب كواقع قبل أن يكون قضية • مشكلة شكلت ظروفه الاقتصادية عقلية

استعمارية عريقة ، ادركت وفى وقت مبكر ، أن اى جهد للاستثمار فيه ، سوف يؤدى الى تحولات اجتماعية وسياسية متناقضة مع المصالح البريطانية فى الشرق الاوسط وشرق أفريقيا على وجه الخصوص .

والسذاجة السياسية وحدها ، هى التى ترى أن النوايا المخلصة وحدها هى ضمان الاستقرار ، صحيح أن النوايا المخلصة هى قاعدة للاستقرار الا انها وحدها لاتكفى . والظروف التى ضاعفت مشكلة الجنوب هى فى بعض جوانبها ظروف تخلف ، والقضاء على جذور المشكلة ، انما يكون بالقضاء عليه ، من خلال طفرات وليس من خلال تدرج .

فالقضاء على العلاقات القبيلية ، يتطلب اعادة تشكيل لعلاقات الانتاج فى المقام الاول . وتلك بدورها تتطلب وجود أوعية للانتاج ووسائل للانتاج المتقدم ، والذى يتعدى بفائضه احتياجات الفرد .

خدمات الثقافة والتعليم والصحة . هى مداخل التوعية ، وليست الاناشيد والشعارات .

وهى خدمات لايمكن أن تكون متاحة ، لتجمعات بشرية لاتتعدى العشرات ، متناثرة فى الغابات والاحراش ، والتجمعات البشرية الكبرى لاتجتذبها الخدمات ، وانما يجتذبها امكانيات التوظيف المجزى لطاقاتها فى مشروعات اقتصادية كبرى ، ثم أن الوعى لايتم بغير الاحتكاك والتفاعل ، والمسافات تشكل عوائق ، وتجاوزها لن يكون بغير شق الطرق وتحديث وسائل المواصلات ، بالاضافة الى التوسع فى خدمات الاتصال الجماعى .

واذا كانت قضية الجنوب ، فيما قبل الحل ، كانت هموما سودانية ، فأنها وبعد الحل مازالت وللاسف هموما سودانية .

القضية فيما قبل الحل بابعادها الخطرة تجاوزت السودان ، وان تحملها السودان ، الا أن القضية بعد الحل ينبغى أن لاتكون كذلك .

● مشروعات الاعاشة لمئات الآلاف من العائدين ، لايمكن أن يكون الاسهام العربى فيها تبرعا ، وانما المطلوب أن يكون مشاركة .

● مشروعات التنمية فى الجنوب ، والذى تم تخطيطها لتتكامل مع مشروعات مماثلة فى الشمال ، ينبغى أن يضاف اليها مشروعات جديدة بتمويل عربى وبخبرة فنية عربية .

وان كان الجهد العربى فى هذا المجال مطلوب لدواع قومية ، فهو مطلوب وفى نفس الوقت لمبررات اقتصادية . ذلك ان الجنوب ثروة متاحة ، امكانية هائلة ، عائد مكفول بثراء الرقعة الزراعية ، وتنوع الثروة الحيوانية ، بالاضافة بالاضافة الى أخشاب الغابات ، امكانيات التعدين ، والسياحة .

واذا كان السودانيون ، تحرجا على الدوام بالنسبة لطلب المال العربى، فأن المال العربى قادرا لو اراد ، أن يتحقق قبل ان يتحرك ، من العائد الاقتصادى لاسهامه فى مشروعات التنمية فى الجنوب ، ذلك لو كان العائد القومى لايغرى .

تقييم لتجربة الحكم الذاتى

من أهم نتائج التجربة .. ان مشكلة جنوب السودان كانت مشكلة ثقة مفقودة صاغتها ظروف موضوعية وظروف خارجية .. من المعروف أن الجنوب كان طوال الحكم الاستعمارى البريطانى منطقة مغلقة أمام الشماليين كما أن حركة التجارة والاتصال كانت متوقفة تماما باجراءات قانونية كما كانت متعذرة أيضا بالعزلة المضروبة على الجنوب وعدم وجود وسائل مواصلات متاحة .

من الناحية الثقافية والاقتصادية ، كان التطور فى الجنوب يكاد يكون متوقف تماما فى الوقت الذى كانت فيه عجلة التطور تسير بصورة افضل نسبيا فى الشمال . لم يشهد الجنوب توسعا فى التعليم ولا خدمات فى الصحة كما لم يقم فيه نشاط اقتصادى يتعدى الجهد الفردى والذى لم يكن يحقق فائضا للتبادل خارج احتياجات الفرد وحده ، وكذلك عمد الاستعمار البريطانى الى اقامة مراكز تعليمية محدودة ولاعداد لا تتجاوز العشرات لخلق قيادات ادارية ترتبط بالثقافة البريطانية وتعادى فى الشمال فى الوقت نفسه فاذا اضفنا الى ذلك الواقع الموضوعى فى الجنوب والذى يعكس تمايزا ثقافيا واجتماعيا واقتصاديا عن نظيره فى الشمال لأمكن من خلال ذلك الكشف عن بؤر التناقض بين الشمال والجنوب والذى كان من المستحيل تجاوزه الا بالاعتراف بهذا التمايز دون أن يكون ذلك قيدا على وحدة لسودان . من هنا كان قرار ٩ يونيو ١٩٦٩ هو أول اعتراف على المستوى الرسمى بوجود الخصائص المميزة للجنوب والاعتراف بوجود قضية ونبذ الصورة القديمة التى كانت تصور الأوضاع فى الجنوب باعتبارها حركة تحرر بغير مضمون اجتماعى أو سياسى . من هنا كانت شجاعة المبادرة ثم المثابرة فى العمل لانجاحها من أكبر العوامل التى أدت الى تجاوز الصراع الطويل الدامى الذى استمر لأكثر من ١٧ سنة .

الاشاعات التى رافقت توقيع الاتفاقية

لعل من الطريف أن الابواق الاستعمارية والتى طالما رددت بامتداد الصراع فى جنوب السودان بأن العرب فى الشمال يحاولون محو افريقية الجنوب أن ذات الأبواق هى التى رددت نغمة جديدة فور توقيع الاتفاقية متباكية على مااسمته عروبة السودان وانجرافة افريقيا والعزلة التى اختارها لنفسه بعيدا عن هموم الأمة لعربية واذا كانت هذه النغمة الجديدة كانت مبرره بأهداف أصحابها ، فان المثير للدهشة أن بعض الصحف العربية قد ابتلعت الطعم ومضت فى نفس الاتجاه تتباكى عن الاتفاقية باعتبارها مقبرة لعروبة السودان وقد أثبتت مجموعة من المتغيرات الاقليمية والدولية أن أصحاب هذا الاتجاه كانوا أبعد مايكونوا عن فهم مجموعة من العوامل يمكن اجمالها على النحو التالى :

١ ـ ان السودان بقضية الجنوب المتأزمة كان قد تم اختياره استراتيجيا من جانب القوى المعادية للقارة وللأمة العربية كحاجز فاصل بين التيار المعادى للكيانات العنصرية فى كلا المجالين .

٢ ـ ان محاولة الفصل بين القارة الافريقية والعالم العربى انما كان هدفا تكتيكيا واستراتيجيا لعزل النضال العربى عن النضال ولاتخاذ السودان واجهة تصور تناقضا موهوما فيما بينه .

٣ ـ ان التشابه الذى يصل الى حد التطابق بين الواقع التاريخى والاقتصادى والاجتماعى فى القارة الافريقية والمنطقة العربية كان ومازال يؤهل كل منهما ليكون سندا للاخر فى مجالات التنمية والتحرر والاستقلال السياسى والاقتصادى .

والنظرة التى توحى بعدم امكانية الالتقاء بينهما انما تقصد بها اقامة عازل يحول دون التفاعل فيما بينهم .

٤ ـ فى الوقت الذى ترى فيه الكيانات العنصرية فى افريقيا مدى ارتباطها المصيرى بالكيان الاسرائيلى فى العالم العربى والذى يصل الى حدود الدعم المتبادل بل والمشاركة الفعلية فى العمليات العسكرية هنا وهناك فان الدعاية الاستعمارية كانت تجاهد للفصل بين النضال المشترك للقارة وللأمة العربية ضد ذات الكيانات .

٥ ـ ان الواقع الموضوعى لاقتصاديات العدو الاسرائيلى يعكس مدى الاهتمام الدائب بالقارة الافريقية باعتبارها المجال الحيوى الوحيد المتاح للتمدد الاقتصادى الاسرائيلى بما يتبعه أو يسبقه من نفوذ سياسى بل وجود عسكرى . فالاقتصاد الاسرائيلى عاجز بحصار الكراهية فى المنطقة العربية عن التمدد داخلها كما انه عاجز عن التنافس مع الصناعة الأوروبية والامريكية . كذلك فان الانتعاش الصناعى اليابانى والصينى فى القارة الآسيوية لا يتيح له مجالا للحركة . من هنا فان القارة الافريقية كسوق مفتوحة وكمورد للمواد الخام كان ومازال مطمع الحركة الاسرائيلية النشطة .. تلك الحركة التى لن يتاح لها أن تمارس أى فعالية فى اطار اللقاء العربى الافريقى .

٦ ـ ان حجم المساعدات الاسرائيلية وخاصة فى منطقة شرق وغرب افريقيا تميزت بالانتشار الواسع فيما قبل حل قضية جنوب السودان بل واستنادا عليها واستثمارا لها . وان الانكماش الملحوظ فى النشاط الاقتصادى الاسرائيلى فى هاتين المنطقتين كان توقيته مرتبط بتوقيع الاتفاقية .

٧ — تعتبر قمة الرباط الافريقية سنة ١٩٧٢ أولى تجمعات القمة التى برزت فيها اتجاهات الادانة الافريقية للاحتلال الاسرائيلى للأرض العربية وقد واكبت هذه القمة مباركة جماعية لحل قضية الجنوب من سائر قادة القارة وفى هذه القمة التى وقعت فيها اتفاقية اديس ابابا افريقيا تم تشكيل لجنة العشرة كما ارتفع فيها بالصوت العالى ادانة اسرائيل من قادة افارقة من غير العرب للمرة الأولى .

٨ — استطاع السودان بعد توقيت الاتفاقية فقط أن يمارس دورا فعالا فى تحقيق الاتصال بين القارة الافريقية والأمة العربية بصورة متدرجة بدأت بالتقبل الافريقى لدوره العربى ثم انتهت بالاستجابة للجهود الذى شارك فيها السودان لطرد اسرائيل من القارة .

٩ — كان السودان الموحد جنوبا وشمالا هو صاحب الدعوة للتعاون الاقتصادى العربى الافريقى كما اصبحت الخرطوم مركزا لتعليم اللغة العربية فى افريقيا وموقعا لبنك التنمية العربى الافريقى ومقرا مقترحا للقمة العربى الافريقى .

١٠ — ان القوات السودنية المرابطة الآن فى مواجهة العدو الاسرائيلى على أرض سيناء بمصر تضم اعدادا كبيرة من الجنوبيين ضباطا وضباط صف وجنود وهم مع الشماليين فى مصر والسودان فى مواجهة عدو مشترك .

حديث الى الرجـــل

ســــيادة الرئيس جعفر نميرى

كما يخاطبك شعبك ، اسمح بالحديث اليك من موقعى كمواطن أنتمى لوادى النيل مسكنا ٠ للامة العربية وطنا ٠٠ لاقول لك :

ان الفشـــل لايغرى الحاقدين ولكن النجاح ٠

ان النصر اغراء بل واغواء لاعداء هـــذه الامة ، والذين وفى كـــل العصور ما عايشوا انتصارا للامة العربية الا تكتلوا لاجهاضه ٠٠ هكذا كانت هبة صلاح الدين مهددة بغزوات التتار ٠٠ هكذا كانت صحوة مصر فى عهد محمـــد على تمهيدا لهجمة الاستعمار البريطانى ٠٠ بل هكذا وفى جيلنا المعاصر قد عايشنا انتصارات أوطاننا وفى القلب غصة ومع ابتسامة الزهو مرارة المخاوف ٠٠ هكذا عايشنا تأميم القناة وكأنها تمهيد للعودة لاحتـــلال القناة ٠٠ هكذا انطلقنا على طريق النهضـــة الصناعية الكبرى والصحوة العربية العظمى لنواجه بغزوة الغدر فى ٥ يونيو ١٩٦٧ ، وأقول لك ياسيادة الرئيس أن ماتحقق بك لوطنك وشعبك وأمتـــك من انتصار أجهضت مطامع اسرائيل ، ثم مطاردة لنفوذ اسرائيل ثم اجهاض لاحلام اسرائيل ، ان ذلك يغرى الحقد بأن يحاول ويحاول ٠٠ يغرى المطامع ان تعمل وتحـــاول العمـــل فى ثوب جديد وفى اتجـــاه جديد تجاوزا لفشلها العظيم ٠

مطلوب منك ياسيادة الرئيس باسم هذا الشعب وباسم هذه الأمة بأن تكون صوت التحذير من أن المعارك التى يتوجها النصر تتطلب يقظة فى حراستهـا ‥ ان انجازاتهـا التى يصادفهـا التوفيق فى حاجة الى ما يدعمها ‥ فلتكن معنا ياسيادة الرئيس صوت النذير كما كنت صوت البشير يوم أعلنت وحدة ترابك واندمال جرحك ، وتوقف نزيف الدم من شرايين بلادك ، فأعلنت وحدة الجنوب والشمال ، ليقف السودان الموحد بك وخلفك حارسا لوادى النيل كله ، بل وأفريقيا كلها من مطامع اسرائيل ومخططات اسرائيل وأهداف اسرائيـــل ٠

وســـلام اللـــه عليك رعايته وتوفيقه ٠

عـــادل رضـــــا

فهــــرس

الموضوع	الصفحة
الاهــــداء	٧
تقديم : بقلم الرئيس جعفر نميرى	٩
كلمة المؤلف	١٣
الباب الاول	
اطلالة سريعة على التطور التاريخى لمشكلة الجنــوب قبل استقلال السـوادان	١٧
الباب الثانى	
جنـــوب الســـودان	
الارض ... والســـكان	٣٣
الباب الثالث	
أيام فى جنوب السودان	٦١
الرحلة الاولى : مديرية اعالى النيل	٦٣

صفحة

الرحلة الثانية : مديرية بحر الغزال ١٢١

الرحلة الثالثة : المديرية الاستوائية ١٦١

الباب الرابع

الرهــــــان الاسرائيلى
على جنوب الســــودان ١٨١

الباب الخامس

جنـــــوب الســــــــــودان
القضـــــية ، الحــل .. والرجــل ٢٠١

الباب السادس

اتفاقية الجنوب
والتعادل الامثل للتوازن الخطر (وجهة نظرنا) ٢٢٥

تقييم لتجربة الحكم الذاتى ٢٣١

حديث الى الرجل ٢٣٤

للمـــؤلف

●● كتب صـــدرت :

١ ـــ **عمان والخليج قضايا ومناقشات**

(دار الكاتب العربى ـــ القاهرة)

٢ ـــ **ثورة الجنوب .. تجربة النضال وقضايا المستقبل**

(دار المعارف ـــ القاهرة)

٣ ـــ **تطور ومسار الحركة الوطنية فى اليمن الديموقراطية**

(دار النصر ـــ القاهرة)

٤ ـــ **وصفى التل .. القاتل والقتيـــل**
الاغتيال فى الفكر السياسى والقانونى

(دار هيردوت ـــ بيروت)

٥ ـــ **محاولة لفهم الثورة اليمنية**

(المكتب المصرى الحديث ـــ القاهرة)

٦ ـــ **الرهان الاسرائيلى على جنوب السودان**

(المكتب المصرى الحديث ـــ القاهرة)

●● كتب تصـــدر قريبـــا :

١ ـــ **الحزب الشيوعى السودانى فى الميزان « تحت الطبع »**

٢ ـــ **اسرار وخفايا أسطورة ٦ أكتوبر .. معلومات سياسية وعســكرية تنشر لاول مرة**

٣ ـــ **١٣ سنة فى بلاط أخبـــار اليـــوم**

٤ ـــ **الحـــركة العربيـــة الواحـــدة**

٥ ـــ **قطع من التاريخ العربى المعـــاصر**

٦ ـــ **التنظيمات السياسية فى الوطن العربى**

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٧٥/٢٢٨٢

مطابع مؤسسة روز اليوسف



هـذا الكتـاب

هذا الكتاب دراسة سياسية لمشكلة تعرض لها الغرب بالتشويه والاثارة وقت أن كانت متأججة بالنار والدمار . بينما وقفت أجهزة الاعلام العربية منها موقف الصمت الخجول .

واليوم بعد أن استحالت النار رمادا . والحرب سلاما . والشقاق وفاقا يجئ هذا الكتاب للاستاذ عادل رضا المعلق السياسى بمؤسسة أخبار اليوم تسجيلا للواقع عاشه السودان . وهو نموذج لكل شعب وكيان يعمل على تجاوز التناقضات بالشجاعة والمواجهة . وليس بمجرد معالجة الظواهر السطحية .

وكما يقول الرئيس جعفر نميرى فى تقديمه للكتاب : « فان انتصارنا على صعيد مشكلة الجنوب ، لا يعد وقفا علينا ، بل اضافة بالقــــوة الى الامة العربية ، ثم اضافة بالقدرة الى القارة الافريقية . فالسودان المستقر صما أمان للامة العربية . والسودان المتكامل فى وحدته ، قدرة ٪ عمل من أجل أفريقيا كلها ، والسودان الرخى عون للعالم فى مواجهة سنوات الشد المقبلة . وهكذا فاننا أثبتنا أن رخاء الوطن يبدأ من جنوبه وأن قدرة الوطن بشماله وجنوبه » .

الناشر

أحمد يحيى

الثمن ١٠٠ ص